

Anly

<http://arabiccivilization2.blogspot.com>

# عجائب و اساطير

د. شوقي ضيف



دارالسلام

# عجائب وأساطير

---

تأليف

الدكتور شوقي ضيف

---

*Amly*

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

مقود الطبع محفوظة لدار الهلال



الغلاف للفنا  
جمال قطب



## مقدمة

هذه طائفة طريفة من العجائب والاساطير ، دونها العرب  
فى العصور الوسطى لغرض اللهو والتسلية وعلء أوقات  
القارغين نهارا والسامرين ليلا عنيت باستخراجها من  
بطون الكتب العربية وتصنيفها ، لما وجدت فيها من مادة  
قصصية خيالية جديرة بأن تكون جماما للقارئ ومتاعا ، فان  
من كتبوها تحولوا بكثير منها الى حكايات أحسنوا رصفها  
وضردها . وهى تدل دلالة بينة على أن من ألفوها كانوا بارعين  
فى النسيج القصصى ، براعة من زادوا من خواطرهم وأخيلتهم  
فى قصص كتاب ألف ليلة وليلة على مر العصور العربية  
الوسيلة

ومعروف أن هذا الكتاب الاخير تكون حول أصل فارسي  
استمد من أصول هندية ، وأن قصاص العرب من بغداديين  
ودمشقيين ومصريين أدخلوا عليه اضافات كثيرة . ولا نرتاب  
فى أن من نهضوا بهذا الصنيع كانوا يستمدون من هذه  
العجائب والاساطير التى جمعنا أمشاجا وأطرافا منها ،  
قوشائج القربى وثيقة بينها وبين كثير من قصص ألف ليلة  
وليلة

واقراً فى الصحف التالية من هذه المجموعة ، ثم اقراً فى  
ألف ليلة وليلة موازنا مقارنا ، فستجد نفسك أمام عجائب  
وخرافات وأساطير مشتركة ، فهنا وهناك الرخ الذى يطير  
ببعض الناس من موضع الى موضع ، والافاعي الحيرة والشريرة ،  
والتنين الذى يسقط من السحاب فيحرق كل ما يمر به من  
سفن أو حيوانات أو يلتهما التهاما ، والآدميون الذين يطفرون  
من شجرة الى شجرة وآخرون من نسل قوم عاد ، وجزر  
القرود ، وكائنات بحرية آدمية أو نصف آدمية ، وأخرى  
تعظم جثتها حتى تصبح جزيرة قائمة فى عرض البحر ، تنبت  
عليها الحشائش وترسو المراكب . وفى البحار البعيدة جزر  
النساء اللائى يعشن فى عزلة عن الرجال ، ونبات الماء ذوات  
الاجنحة ، وجزر واق الواق وهى أشجار لا تثمر ثمارا ، وانما  
تثمر آدميات مغلقات من شعورهن يصحن على الفروع والاغصان  
«واق واق ، تبارك الله الخلاق ،

وهنا وهناك كثير من الكهانة والعرافة والسحر ، ولا يوجد  
تمثال فى مدينة ، ولا حفر فى صخور ، ولا نقش فى حجارة ،  
الا وهو طلسم كبير يصد الأعداء والآفات . وهنا وهناك كثير من  
الملوك الاسطوريين ، أو من ملوك الفرس الاولين ، أو ممن يفهمون  
منطق الطير والحيوان

وحدث ولا حرج عن الجن والعفاريت والمردة ، والحضر، والاسم  
الاعظم ، وقامق سليمان ، والحوت الذى يحمل الارض ومن عليها ،  
والمدن المفقودة ، والآخرى التى بنيت بلبنتات الذهب والفضة ،  
ومدينة النحاس المطلسة التى تسحر كل من علا سورها ،  
فيرى من بعيد ضاحكا ، ويهوى فيها ولا يعود أبدا

ولم أقصد بهذه المجموعة من العجائب والاساطير وما ارتبط

بها من أقاصيص غريبة أن أبحث بحثا مقارنا  
بينها وبين مادة ألف ليلة وليلة ، إنما قصدت  
الى نفس الغاية التي قصد اليها من دونها ، وهي أن تكون  
تسلية ومتاعا لقارئها . ومن المحقق أن كثيرا من عناصرها  
موسب في حكاياتنا الشعبية المتوارثة ، ومرجع ذلك أنها كانت  
جزءا لا يتجزأ من تراثنا الأدبي ، فظلت الاجيال تتناقلها  
وتداولها جيلا بعد جيل

واذا كان قصاصنا في العصور الوسطى استطاعوا أن  
يستغلوها في حكاياتهم ، وفيما أضافوه الى كتاب ألف ليلة  
وليلة من قصص تقوم على الحوادث والمغامرات الخيالية ، لا على  
رسم شخصيات نابضة بالحياة محددة المعالم والأبعاد واضحة  
للملامح والقسمات ، فأولى بقصاصنا ائبارعين في هذا  
النصر الذي انبعثنا فيه لاحداث نهضة قومية حقة أن يكون  
استغلالهم لهذه العناصر وما اجتمع فيها من مواد قصصية  
أتم تصرفا واكمل مجتني وأطيب ثمرة . ولنا مثل في  
النهضة الادبية الغربية ، فان الغربيين استعانوا منذ نشأتها  
بأساطير الاغريق والرومان ، واستوحوها في آدابهم القومية على  
اختلافها ، ولا يزالون يستوحونها الى اليوم

وما أشك في أن هذا العتاد الأسطوري الذي جمعه  
مما كتبه أسلافنا سيدفع غير قاص بيننا الى الاستفادة من عناصره  
الخيالية في بناء بعض قصصه ، فيتصل شاهدنا بغائبنا وحاضرنا  
بماضيها ، ومن يدري لعل من قصاصنا من يبنى منه بناء لا  
يقل جمالا وروعة عن بناء ألف ليلة وليلة التي طارت شهرتها  
في الشرق والغرب . والله ولي الهدى والتوفيق

شوقي ضيف





في عالم البحر



## البحر المحيط

كان العرب يتصورون - كما تصور اليونان - أن الأرض المغمورة يحيط بها بحر واسع لاحت له وهو يستدير حولها على نحو ما تستدير المياه حول بيضة مغمورة بها في كاسن ، ويحيط بالماء محيط الهواء ، وفوقه محيط من النار ، وكل ذلك تحت التجويف الممدود في فلك القمر

وهذا المحيط أو البحر الواسع تخرج منه سائر البحار ، وله في كل جهة من الأرض اسم ، سماه به اليونانيون والفينيقيون ومن قبلهما ، فهو في الجهة الغربية يسمى البحر الأخضر وبحر الروم ! البحر الأبيض المتوسط ( ويتصل هذا البحر بالاقيانوس أو بحر الظلمات ( المحيط الاطلسي ) عن طريق أعمدة هرقل ( بوغاز جبل طارق ) • ويسمى المحيط في الجهة الجنوبية بحر القلزم ( البحر الاحمر ) وبحر الهند ( المحيطين الهندي والهادي ) • وتخرج من المحيط خلجان متصلة به ، مثل البحر الاسود ، وكان العرب يظنون أن بحر الخزر ( بحر قزوين ) متصل به ، وكذلك بحيرة خوارزم ( بحر أورال ) • وكانهم لم يتصوروا بحرا ينقطع عن هذا المحيط ، فكل البحار متصلة به وتستمد منه ، فهي جميعها بحر واحد مالح محيط بكرة الأرض

وكان العرب - كغيرهم من الأمم القديمة - يعتقدون أن من

توغل فى هذا البحر المحيط غربا فى المحيط الاطلسى ، وجنوبا فى بحر الهند ، دخل فى ظلام شامل ، والفى نفسه فى دوامات ومهاو لا يستطيع الرجوع منها ، وكانوا يعتقدون أن به قارات وجزائر مجهولة كقارة أطلنطس ، كما كانوا يعتقدون أن به كثيرا من الحيوانات المائية والطيور البحرية العجيبة ، والامم الغريبة التى تشبه الانسان ، وهى وسط بينه وبين أنواع من النحويان والطيور ، فمنها ذوات الاجنحة التى تطير ، ومنها ما لا يتجاوز طوله أربعة أشبار ، ومنها ذوات الخراطيم ، ومنها ما يزحف ، ومنها ما يمشى على رجلين ، ومنها ما يشبه رأسه رأس الكلاب ، ومنها العور ، ومنها ماله آذان كأذان الفيلة وسنرى كثيرا من أساطيرهم عن البحار ، وليس معنى ذلك أن العرب ومن سبقهم من الامم القديمة وقفوا منها موقف دهشة ولم يتوغلوا فيها ، فقد اقتحموا كثيرا منها اقتحاما ، وكان الفينيقيون من أسبقهم الى ذلك ، فقد تجولت سفنهم فى سواحل أوروبا وأفريقيا وآسيا ، باحثة عن الذهب والفضة والتوابل والكهرمان وغيره من الجبارة النفيسة ، وتبعهم اليونان يلججون فى البحار ومن جاء بعدهم من الرومان ، وجميعهم كانوا يتحدثون عنها أحاديث تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة . وخلفهم العرب ، فخرجوا بسفنهم الى المحيط الاطلسى ، ولكنهم لم يبعدوا فيه ، انما أبعدوا فى المحيطين الهندى والهادى على سواحل آسيا وأفريقيا ، ولم يتركوا جزيرة فى المحيط الاول الا زاروها وعرفوها ، ومن هنا وهناك كانوا يجمعون الحقائق ، وينسجون الاساطير ، وقد سجلوا ما شاهدوه وتخلوه فى كتبهم الجغرافية وفى رحلاتهم ، ولم يلبثوا أن أفردوا للعجائب والغرائب فى الكون كتباً مستقلة

ومن اطرف الاشياء حقا أن نقرأ هذه الكتب ، لا لتنفيذ منها معرفة بعالم البحر ، فقد كشف عصرنا الحديث هذا العالم وما فيه من جوانب وقرارات وتيارات وأسماك وحيوانات وثروات ، وانما لتنفيذ منها اللذة الفنية الخالصة التي نفيدها من الاساطير والاقاصيص الخيالية ، تلك التي تصور لنا نحوامن أنحاء الحياة الانسانية



وطبيعى أن تكثر الاقاصيص والاساطير عن البحر عند العرب وغيرهم ممن سبقوهم ، وهم يضربون على لجججه ، وهو يمتد أمامهم امتدادا تحيطه الظلمات من كل جانب ، ونجوم تظهر لهم فى بعض الليالى وتختفى فى أخرى ، وسحب تملأ السماء وأخرى تقترب أو تبتعد ، وأحياء مائية لا تحصى تتراعى لهم والتيارات والعواصف تتجاذبهم ، وهم فى يد القدر اما أن يصلوا الى غايتهم أو يبتلعهم البحر ابتلاعا . وكم من سفن ابتلعها ، وكم من ملاحين لم يعودوا منه . ان الخيال لا يد أن يلعب بعقولهم ، ولا بد أن يدفعهم دفعا الى تصورات غريبة ينسجون منها خرافات واساطير ، كانت يوما معتقدات لشعوب وأمم

ومن غير شك عرف العرب كثيرا من جوانب البحار والمحيطات معرفة حقيقية ، بل من المحقق أنهم عرفوا اتصال المحيطين الاطلسي والهندي ، ولذلك لانعجب اذا عرفنا أن فاسكو دى جاما البرتغالى المشهور لم يصل الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح الا بواسطة دليله العربى « ابن ماجد » الذى قاده اوقاد بعثته من البرتغاليين الى الهند ، غير مدرك خطورة عمله وأنه يجنى به على الملاحة العربية فى المحيط الهندى جناية آثمة

بما أوجد لها من منافسين برتغاليين وغير برتغاليين ممن تبعهم من الاوربيين والانجليز المستعمرين الفاشمين

وقد وصفت ألكتب الجغرافية العربية كثيرا من البحار المحيطة بالهروب في العصر الوسيط وصفا دقيقا ، غير أنا لسنا بصدد البحث العلمى فى تصورات العرب عن عالم البحر ، وإنما نحن بصدد الوصف الاسطورى ، ولندع ابن الوردى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى يعرفنا بالبحر المحيط فى كتابه « خريدة العجائب » يقول :

« المحيط هو البحر الاعظم الذى منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة ، وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه وفى هذا البحر عرش ابليس ، لعنه الله ، وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وفيها أهلها من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الارض ، وفيه حصون ، وفيه قصور على وجه الماء ظافية ، ثم تقيب ، وتظهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ثم تقيب فى الماء . وفيه الاصنام التى وضعها أبرهة تبسع الحميرى قائمة على وجه البحر ، وهى ثلاثة أصنام ، أحدها أخضر ، وهو يومئ بیده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع . والصنم الثانى أحمر يشير الى نفسه ، كأنه يخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزة . والصنم الثالث أبيض يومئ بأصبعه الى البحر كأنه يقول : من جاء وجاوز هذا المكان هلك ، وعلى صدر كل صنم مكتوب بالاسود : هذا مسا وضعه أبرهة تبسع الحميرى لسيدته الشمس تقربا اليها . وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض »

ويزعم ابن وصيف شاه المتوفى فى القرن التاسع الهجرى أن البحر المحيط يشتمل على سبع وعشرين ألف جزيرة ، وأن الله خلق ألفا وعشرين أمة بعدد الكواكب الثابتة ، يسكن منها

فى جزائر البحر ستمائة وفوق الارض اربعمائة وعشرون ، وفى  
شرقى العالم جنس يجمع بين الوحش والانسان فى صورته  
قوامه رأس أسد وآذانه طويلة ، وجسمه جسم انسان ، غير  
لن له ذبلا ومخالب فى موضع الايدى والأرجل ، وأقرب  
للخلوقات الى الانسان من كل هذه الاجناس جنس الوقواق ،  
ومن نساء ، علقن بشعورهن فى أشجار ، ومن يصخن : واق  
واق ، واذا سقطن من أشجارهن فارقتن أرواحهن



ويروى القزوينى المتوفى فى القرن السابع الهجرى حكاية  
عجيبة ، اذ يقول : « أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل  
للحيط الاقصى فبعث مركبا ، وحمله الماء والزاد ، وأمره  
أن يسير سنة كاملة فى اتجاه واحد ، لعله يأتى بشىء من  
خبره ، فسار المركب سنة ، ولم ير شيئا ألا سطح الماء ، وما  
يخرج منه من دواب كبسار ، فأراد الرجوع ، فقال  
بعض من فيه : نسير شهرا آخر ، لعلنا نطلع على شىء ، نبيض به  
وجوعنا عند الملك ونحتمل ضيق الماء والزاد فى الرجوع ،  
فساروا شهرا آخر ، فاذا هم بمركب فيه ناس فالتقى المركبان  
ولم يعرف أحدهما كلام الآخر ، فدفع قوم ذى القرنين اليهم  
رجلا ، وأخذوا منهم امرأة ، ورجعوا بها ، فزوجوها من رجل  
فى المركب معهم ، فأتى منها بولد ، ففهم كلام الابوين ، فقبل  
له سل أمك من أين جاءت ؟ فقالت : جئت من ذلك الجانب  
وأشارت الى جهة مجيئها ، فقال لها ابنها : لائى شىء جئت ؟  
فقالت : بعثنا ملكنا لنعرف حال هذا الجانب ، فقالوا له :  
سلها : هل هناك ممالك وملوك ؟ فسألها ، فقالت : نعم لنا  
ملك أعظم من ملككم ، ومملكته أعرض من مملكتم وأوسع ،



وما كنا نعلم أن هاهنا الا المساء »

وليس البحر المحيط وحده الذى تروى عنه الاساطير ، فلكل بحر أساطيره ، وهى تتداخل فى كل ما تحت أيدينا من أخبار عن البحار ، منذ كتب التاجر سليمان سنة ٢٣٧ للهجرة وصف رحلته من البصرة على خليج العرب الى الصين ، واجتيازه للبحار السبعة التى كانت تجتازها السفن الى هذه الجهة النائية . وتبعه ابن وهب الذى قام برحلة مماثلة لرحلته سنة ٢٥٦ للهجرة ، فاضاف الى أخباره أخبارا ، وقص أقاصيص عجيبة . وكثرت الرحلات ، وكثرت الاقاصيص والأعاجيب ، لا عن بحر الهند وما يجرى فيه من سبعة أبحر ، بل عن جميع البحار ، ولكن بحر الهند أو بعاره هى التى ظفرت بأكثر الاقاصيص والاساطير ، لكثرة ما لججوا فيها طلبا للتوابل والاحجار النفيسة وقد ظلت طوال العصور الوسطى زاخرة بالظلمات والطلاسم والاسرار مليئة بالغرائب والعجائب والخرافات . ولذلك لم يكن غريبا أن تكون مسرح قصة السندباد البحرى المشهورة فى ألف ليلة وليلة ، وهى نفسها المسرح الكبير لاساطير الرحالة والبحارة من العرب وما شاهدوه فى البحار من خوارق وعجائب ، وما قصوا عنها من حكايات وأقاصيص ، تعتمد على الاسطورة أكثر مما تعتمد على الحقيقة

## بحر الهند

أكثر العرب من تجوالهم فى بحر الهند ، أو كما نسميه الآن المحيط الهندى ، وما يتصل به من المحيط الهادى الى الصين فقد كانت سفنهم تمخر عبابه ذاهبة آيبة من عمان والبصرة وعدن الى بربرا ( الصومال ) وسقطرى ومدغشقر ، وسفالة ( موزمبيق ) غربا ، والى سيلان والهند ومالقة والزابج ( جزر الهند الشرقية ) وسيام ، والهند الصينية ، والصين واليابان شرقا . وكادوا لا يتركون جزيرة فى مياه هذا البحر الا زاروها وحملوا كنوزها من الذهب والفضة والياقوت والماس واللؤلؤ والزمرّد وغير ذلك من الحجارة الكريمة ، كما حملوا ما فيها من ثروات معدنية ، ومن مسك وعود وجلود وصندل وكافور وفلفل وقرنفل وجوز هنّد ( نارجيل ) وساج وعاج وورصاص وعنبر ومنسوجات حريرية أو قطنية . وكم رأى ملاحوهم الموت بأعينهم سواء على لجج المحيطين الهندى والهادى أو فوق جزرهما وبين سكانهما ، ولكن ذلك لم يفت فى عضدهم فقد كانت تبذلهم هذه البقاع النائية كأنها الفردوس المفقود ، وكانوا لا يزالون كلما خرجوا منها عادوا اليها أشد شوقا ولهفة

وكانوا يسمون أجزاء هذا البحر الكبير بأسماء مختلفة ، فهو فى الغرب يسمى بحر الزنج حيث يصافح أفريقيا الشرقية وهو فى جنوبى بلاد العرب يسمى باسمهم ، أما جنوبى إيران فاسمه

بحر فارس ، ومنه خليج العرب وخليج عمان ، ونخرج من بحر فارس الى بحر لاروى ، وهو يواجه شاطئ الهند ويمتد الى الشرق محاذيا لشبه جزيرة الهند ، وتقع عليه مدينة قاليقوت وكولم ملي ، وهي آخر ثغور شاطئ الملبار ، ويتصل بهذا البحر شمالى جزيرة سرنديب بحر هر كند أو خليج بنغالة ، ويمتد شرقا الى جزائر أندمان ولنجبالوس ، ويتصل ببحر كلاه وبحر سلاهط ، حيث جزيرة الرامنى ( سومطرة ) والزابع أو جزائر الهند الشرقية ، وشبه جزيرة مالقيا ، وقد سمى بوغازها باسم بحر كلاه ، ويختلط اسمه هنا باسم بحر سلاهط ، ونخرج منها الى بحر كندرنج ( خليج سيام ) الذى يمتد على شواطئ قمار ، ويتصل به مباشرة بحر الصين ( الهند الصينية ) ومنه الى بحر سنخي أو بحر الصين حيث توجد خانفو ( كانتون ) ، وهي سوق عظيمة للتجارة مع العرب ، وفي شمالها سيللا ( كوريا ) وفي الشرق جزائر وآق الواق (اليابان) وتضطرب هذه الاسماء التى أطلقوها على أجزاء هذا البحر ، كما تضطرب معها أسماء الإقليم والجزر ، وهي فى كثير من الاحيان تخالف أسماءنا الحديثة ، فكانوا يطلقون مثلا على جزر الهند الشرقية اسم بلاد الزابع أو بلاد المهاراج ، وكانوا يسمون جاوة صندابورة ومدغشقر قنبلة ، وهكذا



وكان ملاحو العرب وتجارهم يجوسون خلال هذه الاقاليم والجزر ويلججون فى مياهها باحثين عما فيها من كنوز لا تحصى ، على رأسها التوابل والعطور والحجارة النفيسة . وقد شغلت هذه الكنوز العالم القديم منذ عصور الفراعنة والفينيقيين والاعريق والرومان ، كما

شغلت المسلمين في العصور الوسطى ، وأوربا في العصر الحديث ،  
وهي التي دفعت البرتغاليين وغيرهم من الاوربيين لكشف البحار  
والمحيطات ، فقد اندفعوا يبحثون عن طرق جديدة ، غير طريق  
مصر والشام تصلهم بالهند ومحيطها الزاخر بالثروات ، فكشفوا  
طريق رأس الرجاء الصالح ، ولم يلبث كولومبوس أن قام  
بمغامراته نحو الغرب بحثا عن طريق آخر ، فاكشف أمريكا  
وتبعه المكتشفون يزيحون سبج الظلمة عن البحار والمحيطات  
والقارات الجديدة

وقبل هذه الاكتشافات كان العرب هم الذين يحملون هذه  
الكنوز الى العالم ، ومن قبلهم أسهمت أمم مختلفة  
في حملها . وبمجرد أن أصبح لهم ملك غربي آسيا  
وأفريقيا ، أصبحوا هم سادة هذا البحر الكبير ، بحر الهند  
وجزره وأقاليمه . فكانت تسيل هذه الكنوز الى حجورهم ،  
وينبغي أن نعرف أن قيمتها لم تكن مادية فحسب ، فقد كان لها  
قيمة روحية وعقلية ، اذ طالما نسجت الاساطير حول كثير منها ،  
مشيرة الى فائدتها في العلاج وفي حفظ الانسان من الآفات والشرور  
حتى التوابل فانها لا تفيد من حيث طهي الطعام فحسب ، بل  
تفيد أيضا في العلاج من الامراض ، ومثلها العطور وأنواع  
الافاويه والحجارة الكريمة ، بل أن منها ما اذا تحلى به الشخص  
زاد عقله وقضيت حوائجه عند الحكام والسلاطين وتبعه الناس ولم  
يقلبه أحد في الحسومة . ولا نستطيع أن نفهم ذلك حق الفهم الا  
اذا رجعنا الى كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات »  
للقرظيني ، وهو دائرة معارف ، تصور في دقة قيمة التوابل  
والعطور والحجارة الكريمة ، ومدى ما كان الناس يعتقدون  
فيها لعصره ، ولنستعرض بعض ما كتبه عنها

يقول عن الفلفل : « شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى  
 مليار ، وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها ، فإذا هبت  
 الريح تساقط حملها على الماء ، ويجمع من فوقه . وحملها عليها  
 أبدا شتاء وصيفا ، وهو عناقيد ، فإذا حميت الشمس عليها  
 انطبقت على كل عنقود منها عدة أوراق لتلا يحترق بالشمس  
 فإذا زالت الشمس زالت الأوراق عنها ، لتنال من النسيم .  
 وشجرته تشبه الرمان ، وبين الورقتين منها شـمراخان  
 منظومان بالفلفل ، وشمراخها في طول الأصبع ، وأول ما تطلع  
 ثمرتها تسمى دار فلفل ، ثم تنفصل عن حب ، يكون هو الفلفل  
 ثمرتها . أما الدار فلفل فينفع في نهش الهوام أكلا ، وطلاء  
 بالدهن ، ويقوى ويفيد في الغشاء ( خبث المعدة ) مع كبدا الماعز  
 شيئا . وأما الفلفل فهو بالنظرون جلاء للبهق ، وهو يبر  
 البول ، وينفع في ظلمة البصر ،

ويقول عن النارجيل ( جوز الهند ) : « هو الجوز  
 الهندي ، لبنة حلو لذيق ان كان رطبيا ، وأن كان  
 يابس عتيقا يتقى البدن من حب القراع ، وأكله يقوى ، ودهنه  
 نافع للبواسير خصوصا اذا كان عتيقا ،

ويقول عن الياقوت : « حجر صلب ، شديد اليبس صاف شفاف  
 مختلف الالوان : أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ، والاحمر  
 أشرفها وأنفسها ، ومن علق شيئا من الثلاثة الأولى وكان في بلد  
 طاعون سلك منه ومن تختم به نيل في أعين الناس ، وسهلت  
 عليه أمور المعاش »

ويقول عن الماس مازجا الحقيقة بالاسطورة : « حجر يقرب  
 لونه من لون النشادر الصافي لا يلصق به

شيء من الاحجار الا هشيمه وكسره ، ولو جعلته  
 لقف قطعة كانت جميع قطعه مثلثة ، وكلما كان حجمه  
 اكبر كان اقوى فعلا ، والصناع يجعلون قطعه فى طرف المثقب  
 وثقبون بها الاحجار الصلبة . والموضع الذى فيه حجر الماس لم  
 يصل اليه احد من الناس الا الاسكندر ، وهو واد متصل  
 بقرض الهند ، لا يدرك البصر اسفله ، وفيه من صنوف الافاعي  
 حاتم ير احد مثلها . وهذه الافاعي ماراها احد الامات ، فأمر  
 الاسكندر باتخاذ مرايا مثبتة على حديد تراها فى طريقها ، فلما  
 تقبلت ووقع نظرها على صورتها فيها ماتت لساعتها . وأراد أن  
 يخرج الماس من ذلك الوادى ، فخاف الناس ولم يقدم أحد على  
 النزول فيه ، فراجع حكماء الهند ، فأشاروا عليه أن يلقي قطع  
 اللحم بالوادى ففعل ، فالتصق بها الماس ، فجاءت الطير من الجو  
 فاختفت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادى ، فأمر الاسكندر  
 أصحابه باتباعها والتقاط ما تنثر من اللحم . وهكذا يفعلون  
 قى سرنديب فى اخراج الماس من وادى الحيات المشهور بها  
 فيرمون به اللحم وتسقط عليه النسور ، فيلتصق بما تأخذه  
 حته مقدار العدسة والحمصه . والاشراف والسلاطين يتخذون  
 حته أنفصوص ، وهو نافع من المغص وفساد المعدة ، وهو سم  
 قاتل جدا ،

وانما نقلنا ذلك عن القزوينى ، لنبدل على قيمة التوابل  
 والاحجار النفيسة عند الناس فى تلك العصور ، وهى قيمة  
 كانت ترفع من أثمانها وتدفع التجار ومن ورائهم الملاحون  
 الى المقامرة فى سبيلها ، حتى يحصلوا على هذه الكنوز والتحف  
 الثمينة

## بين الحقيقة والخيال

لا يكاد يخلو كتاب يصف بحر الهند وغيره من البحار ، من سرد العجائب والأساطير في ثنايا وصفه ، نجد ذلك في رحلتى سليمان وابن وهب اللتين احتفظ بهما أبو زيد السيرافي ، في كتاب طبع له بباريس في القرن الماضي ، بعنوان « سلسلة التواريخ » . وبمجرد أن نقرأ في رحلة سليمان التي قام بها من البصرة الى الصين في سنة ٢٣٧ للهجرة نجده يفسح للخيال فيما يكتب ويصف ، ففي بحر لاروى سمك ألبال ( الحوت ) الذي ينفخ الماء من فيه فيكون كالمنارة العظيمة ، وفيه سمكة يحكى وجهها وجه الانسان تطير فوق الماء . أما بحر هر كند ففيه سرنديب ، وبأرضها جبل يدعى الرهون ، هبط عليه آدم عليه السلام ، وقدمه ظاهرة برأس هذا الجبل منغمسة في الحجر ، وهي قدم واحدة ، ويقال انه خطا بقدمه الثانية خطوة أخرى في البحر . وهذه القدم التي على رأس الجبل تبلغ نحو سبعين ذراعاً ! . وفي هذا البحر جزائر كثيرة بها اقوام يأكلون الناس ! وتعظم أمواجه ، وتتقد كأنها النار

ولا يتحدث سليمان عن البحر وعجائبه وغرائب جزره فحسب ، بل يتحدث أيضاً عن الهند والصين . ويصنع صنيعه ابن وهب الذي رحل بعده بقليل الى الصين . وكانما وضع هذان الرجلان اساس الكتابة عن بحر الهند وسواحلها فقد خلفهما الجغرافيون والمؤرخون والرحالة والملاحون يضيفون

الى اخبارهما واساطيرهما اخبارا واساطير جديدة . واقرأ في المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ومختصر البلدان لابن الفقيه ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، وغير ذلك من كتب الجغرافيا مثل نزهة المشتاق للادريسي ، وفي كتابات التاريخ عند المسعودي وفي كتب الرحلات المختلفة وخاصة عند ابن بطوطة ، فستجد سيولا من الخرافة والاسطورة ، وهي سيول يتخللها كثير من الحقائق ، وكأنما كان القوم يجدون فيها ما يشوق الناس الى قراءة كتبهم ، فتوسعوا فيها ، وجمعوا كثيرا من غرائبها

ولا نلبث أن نراهم يفردون لتلك الغرائب والعجائب كتباً خاصة ككتاب القزويني « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » وله موسوعة أخرى سماها « آثار البلاد وأخبار العباد » وهي تشتمل مثل موسوعته الأولى على كثير من أعاجيب الكائنات والموجودات . وليس القزويني وحده الذي انفرد بالكتابة في ذلك ، فقد كتب كثيرون ، منهم الدمشقي في كتابه « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » وابن الوردي في كتابه « خريدة العجائب وفريدة الرغائب » . وتجمع هذه الكتب كل ما جاء في كتابات الرحالة والجغرافيين وما سمع على السنة البحريين ، وتضيف اليه كثيرا من الحكايات الشعبية وتسوق ذلك كله ليتسلى به الناس ، فهي كتب للتسلية والترفيه ، وهي ليست أساطير خالصة ، بل تمزج الاساطير بالحقائق . وبذلك كانت قراءتها من اكبر المتع في أوساطنا الشعبية السابقة ، وسنسوق منها أطرافاً . فمن ذلك ما جاء في القزويني عن جزيرة سرنديب في تضاعيف كلام طويل ، يقول :

« جزيرة في بحر الهند . بها أنواع العطر والافاوية والعود والنارجيل ( جوز الهند ) ودابة المسك وأنواع اليواقيت والذهب



وانفضة والؤلؤ ، وبها جبل أهبط عليه أبونا آدم ، وبها كباش  
لها عشرة قرون ! وبها جبال عليها الياقوت وهو ينحدر مع  
السييل ! ،

ويتسع ابن الوردى فى ذكر اعاجيب الجزر ، بأكثر مما يتسع  
القزوينى ، فمن ذلك وصفه لجزر الزابج وهو يطرد على هذا  
النحو :

« جزر الزابج ( جزر الهند الشرقية ) تشتمل على جزائر  
كثيرة ، وهى عامرة خصبة ، وليس فيها خراب ، والناس  
يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة . وملك  
هذه الجزر يسمى المهرج . وجبايته كل يوم ثلثمائة «من» ذهباً  
خالصا (والمن ستمائة درهم) ، ويطحرجها فى البحر وهو خزائنه !  
وبهذه الجزر سكان تشبه الأدميين ! ، ولهم  
كلام لا يفهم ، وعندهم أشجار كبيرة وهم يطيرون  
من شجرة الى شجرة ! وبها نوع من السنائير الوحشية  
حمراء منقطة ببياض ، أذنانها كأذئاب الطباء . وبها أيضا نوع  
من السنائير المذكورة ، لها أجنحة كأجنحة الحفاش ، وبها  
أبقار وحشية حمراء منقطة ببياض أيضا ولحومها حامضة .  
وبها دابة الزناد وهى كالهرة ، وفأرة المسك ، وبها جبل يقال  
له النصان مشهور ، به حيات عظام تبتلع الفيلة ! وبه قردة  
كأمثال الجواميس والكباش الكبار . وبها من السقاء شئ كثير .  
وبها خلق على صورة الانسان ( لعله يقصد الغوريلا ) يأكلون  
ويشربون ويتكلمون بكلام لا يفهم ، ولهم أجنحة يطيرون بها  
وحكى ابن السيراقى ، قال : كنت ببعض بلاد الزابج فرأيت  
وردا كثيرا أحمر وأبيض وأزرق وأصفر والوانا شتى ، فأخذت  
بملاء وجعلت فيها شيئا من ذلك الورد فلما أردت حملها رأيت

تلوا في الملاة ، فأحرقت جميع ماكان فيها من الورد ، ولم  
 تحترق الملاة ! فسالت الناس عن ذلك ، فقالوا ان في هذا  
 الورد منافع كثيرة ، ولا يمكن اخراجه من هذه الفياض بوجه  
 ابدى . وفى الجزر شجر الكافور ، وهو شجر عظيم هائل . وفى  
 هذه الجزر قوم يعرفون بالمخرمين ، مخرمة أنوفهم وفيها  
 حلق ، يأكلون كل من وقعت أعينهم عليه ! وجزيرة رامننى  
 ( سومطره ) عظيمة طويلة وبها عجائب كثيرة ، منها أناس  
 حفاة عراة ، رجال ونساء ، على أبدانهم شعور تغطى  
 صوأتهم ، ومآكلهم من الثمار ، ويستوحشون من  
 الناس ، وينفرون منهم الى الفياض ، وطول أحدعهم أربعة  
 أشبار ، وشعرهم زغب بحمرة ، وهم لا يلحقون لسرعة جريهم ،  
 وبساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب فى البحر سباحة  
 وعى تجرى فى تيارها ، فيبيعونهم العنبر بالحديد ، ويحملون  
 الحديد فى أفواههم ، ويرجعون الى الجزيرة ولا ندرى  
 ما يصنعون به . وحكى الجيهانى ان بهذه الجزيرة الكركدن ،  
 وهو حيوان على شكل البقر ، الا ان على راسه قرنا واحدا  
 معقوفا ، وفيه منافع كثيرة ، منها أنه يصنع منه انصبة  
 لسكاكين الملوك ، وتوضع على المائدة ، فان كان الطعام مسموما  
 عرق النصاب واختلج ! ويصنع منه حلية للمناطق ، وتبلغ  
 قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركدن أربعة آلاف مثقال من  
 الذهب ، واكثر هذه المناطق تصنع ببلاد الصين . وبهذه  
 الجزيرة جواميس بغير اذنان . وبها شجر الكافور والبقم ،  
 وأنخيزران ، وعرقه دواء من سم الحيات والاناعى . وبها  
 طيب عطر ومعادن كثيرة ،

هذه صورة جزر الهند الشرقية فى كتاب خريدة العجائب

لابن الوردى ، وهى صورة تعتمد على وصف بعض الحقائق ، وخاصة فيما يتصل بكنوز تلك الجزر من التوابل والحجارة النفيسة ، ولكنها لا تلبث أن تمتزج بها خطوط مختلفة من الخرافة ، فهناك أناس يطبرون من شجرة الى شجرة ، وسنانير لها اجنحة كأجنحة الخفاش ، وحيات عظام تبتلع الفيلة ، وقرودة كأمثال الجواميس ، وورد يحترق بمجرد حمله ، وأناس طول أحدهم أربعة أشبار ، الى غير ذلك من عجائب تغلب عليها الخرافة ، وهى عجائب اقحمت على هذه الكتب ، بعضها مما رواه المخرفون من البحارة ، وبعضها مما زاده المؤلفون الذين أرادوا اجتذاب العامة لقراءة مؤلفاتهم

ولست كتب العجائب كلها بهذه الصورة الخرافية التى رايناها عند ابن الوردى ، فكتب القزوينى وكتابات الدمشقى فى « نخبة الدهر » تتوخى الواقع ، ومع ذلك ففيها كثير من الخرافة ، وربما كان الدمشقى أكثر مؤلفى كتب العجائب تحرياً للصدق والدقة ، اذ كان له عقل عالم ، ويقف القزوينى بينه وبين ابن الوردى ، فهو يتوخى الحقائق ، وان كان ذلك لا يمنع أن يمزجها فى أكثر الأحيان بالمبالغة بل بالخرافة

واذا كنا وجدنا أصحاب كتب العجائب يبالغون أو يهرفون فيما يروونه عن الجزر الحقيقية التى نعرفها اليوم ، فانهم ساقوا بجانبها جزراً وهمية ، ولعل بعضها جزر حقيقية لم يلاحظوا أو لم يلاحظ الملاحون الحياة فيها ملاحظة دقيقة ، وتكثر الاخبار عن هذه الجزر وتخرج الى ضروب من الخيالات المسرفة ، حتى تصبح نوعاً من نسج الاساطير ، كأن يزعموا أن ببحر الهند جزيرة تسمى الجزيرة المحترقة لان كل ما عليها من الكائنات والموجودات يحترق مرة كل ثلاثين سنة ، وبه ايضا

جزيرة تسمى جزيرة العوز ، كل اهلها بهم هذه الافة ، وجزيرة  
سكسلر ، وهى لقوم لا عظام لارجلهم ولا سيقان ، وجزيرة  
الدعلان وهو شيطان فى صورة انسان ، راكب على طير يشبه  
النعامة ، يأكل لحوم البشر ، وجزيرة الصريف وهى جزيرة تلوح  
لاصحاب المراكب ، فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت ، وجزيرة  
الفندج ، وهى جزيرة بها صنم من رخام اخضر ودموعه تسيل  
على مر الليالى والايام ، ويقال انه يبكى على قوم كانوا يعبدونه  
من دون الله ! وجزيرة سرندوسة ، وهى جزيرة كبيرة جدا  
وعند اهلها من الذهب قناطر مقنطرة ، وكل مواعينهم واوانيهم  
وقدورهم من الذهب . ومن هذه الجزر الخيالية جزيرة النساء ،  
وفىها يقول القزوينى : « هى جزيرة فى بحر الصين ، فيها  
نساء لا رجال معهن اصلا ، وهن يلقحن من الريح ولا يلدن الا  
اثاى مثلهن ، وقيل انهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن ،  
ياكلن منها ، فيحملن ويلدن »



ويظهر ان بعض ملاحي العرب نزولوا اليابان ، وهم يسمونها  
جزر واق الواق ، وما قصوه عنها يدل على أنهم لم يعرفوها  
معرفة صحيحة ، اذ يغلب على ماحكوه الاسطورة والخرافة ،  
بل انه ليتحول الى خرافة خالصة ، واقرأ ما يقوله القزوينى  
عنها :

« جزر واق الواق فى بحر الصين وتتصل بجزائر الزابج  
( جزر الهند الشرقية ) والمسير اليها بالنجوم ، قالوا انها الف  
وستمائة جزيرة . وانما سميت بهذا الاسم لان بها شجرة لها  
ثمار على صور النساء ، معلقة بشعورهن ، فاذا نضجن يسمع  
منهن صوت واق واق . وهى بلاد كثيرة الذهب ، يتخذون

سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب ويلبسون انقمصان  
المنسوجة بالذهب . وتملكهم امرأة ، حدث من رآها على سرير  
عريانة وعلى رأسها تاج ، وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكارا  
أبكارا »

ويزيد ابن الوردي فى الاسطورة خيوطا فيقول :

« جزائر واق الواق ألف وسبعمائة جزيرة ، وملكتهم تسمى  
دمهرة ، حدث من رآها عريانة على سرير من الذهب وفوق رأسها  
تاج من الذهب ، وبين يديها أربعة آلاف وصيفة أبكارا حسانا  
على مذهب المجوس ، وهن عاريات ، وفى رأس كل واحدة  
منهن مشط من عاج مكلل بالصدف ، وهن يختلفن فى اتخاذ  
الامشاط ، منهن من تتخذ اثنين وثلاثة وأربعة الى عشرين  
.. وبهذه الجزيرة شجر يحمل ثمرا كالنساء ، بصور وأجسام  
وعيون وأيد وأرجل وشعور وأنداء ، وهن حسان الوجوه  
معلقات بشعورهن ، يخرجن من غلف كالجوارب السكار ،  
فاذا أحسسن بالهواء والشمس يصحن : واق واق ، حتى  
تنقطع شعورهن ، فاذا انقطعت متن . ومن تجاوز هؤلاء وقع  
على نساء يخرجن من الأشجار اعظم منهن قدودا وأطول منهن  
شعورا واكمل محاسن ، ولهن رائحة عطرة طيبة ، فاذا انقطعت  
شعورهن ووقعن من الشجرة عشن يوما أو بعض يوم ، وهن  
حينئذ يعاشرن الرجال . وأرضهن أطيب الاراضى ، وأكثرها  
عطرا وطيبا ، وبها انهار أحلى ماء من العسل والسكر المذاب ،  
وليس بها حيوان الا الفيلة ، وربما بلغ ارتفاع الفيل فى هذه  
الجزائر أحد عشر ذراعا »

واذا قابلنا بين ما كتبه القزوينى عن شجر واق الواق وما كتبه  
ابن الوردي ، رأينا كيف تطورت الخرافة من شجر له ثمر

يشبه صورة النساء الى نساء حقيقيات يعشن يوما أو بعض يوم ، بل ان ابن الوردى يجعلهن يأنسن للرجال فيقبلن عليهم .  
واللمشقى هو الوحيد بين هؤلاء القصاصين الذى حاول ان يتبين الحقيقة من خلال هذه الخرافة ، اذ قال :

« واما جزائر واق الواق الداخلة فى المحيط فيوصل اليهامن بحر الصين . والواق شجر صينى شبيه بشجر الجوز ، ويحمل حملا كصورة الانسان ، فاذا نضجت الثمرة سمع السامع منها واق واق مرات ، ثم تسقط »

ففى ليست نساء معلقات بشعورهن كما يقول القزوينى ولا نساء حقيقيات كما يقول ابن الوردى ، وانما هى ثمار حقيقية كثمار جوز الهند ، وربما كانت هى نفس ثمار هذا الجوز ، تحركها الريح ، فيخرج منها ما يشبه هذا الصوت : واق واق . وهذا التفسير الصحيح لم يلتفت اليه القصاصون ، فقد كانت بغيتهم القصص من حيث هو ، وبذلك ثبتوا الخرافة فى اذهان العامة وفى ادبنا الشعبى العربى ، فدارت فى الحكايات وليست حكايات واق الواق وجزر النساء هى الحكايات الخيالية او الخرافية فقط عند مؤلفى العرب ومن رووا عنهم من البحارة ، فأكثر منها خيالا وخرافة مارووه عن أحياء شاهدها ببحر الهند فى جزيرة الحوت ، كما شاهدها فى العيون والغدران وعلى شواطئ بعض البحيرات وهى أحياء صورتها بين الانس والحيوانات المائية . وتبلغ بهم الخرافة ان يزعموا انها قد تعاشر الانسان ، وان منها نساء تزوجن فعلا بعض البشر ، وأنجن منهم البنين والبنات . وعند الامم القديمة أساطير كثيرة تدخل فى هذا الباب ، ويظهر ان العرب أخذوها وتموها ، وخاصة انهم راوا على سطح المياه أسماكا تشبه الأدميين ، من

أنواع سبع البحر، إذ رأوا لها شوارب ورؤسا وعيوناً، ورأوها  
تقف على قوائمها ، فظنوها أناسى واتسع بهم الخيال ، فجملوا  
منها الجوارى الحسان



والدمشقى فى « نخبة الدهر » هو العالم الدقيق  
الذى عرف هذه الحيوانات معرفة حقيقية ، فهو كلما ذكرها  
أو عرض لها قال انها حيوانات مائية على صورة الانسان ، ومن  
وصفه لها قوله فى نوع منها :

« سمك كصورة الرجل ، فمه كتكوين فم القرد ، وليس  
له رجلان ، وله يدان صغيرتان ، وبدنه من نصفه  
الاسفل بدن سمكة بذنوب مفروش ، يظهر بوجه  
الماء نصفه الاعلى ويتلفت برأسه يميناً وشمالاً ، وعيناه كبيرتان  
كعين البقر مستديرتان فى وجهه ، ثم يغطس على رأسه فى الماء  
كالقلب سفلاً من العلو »

ولكن من آمنوا بما آمن به الدمشقى قليلون ، أو قل ان  
الكثرة حاولت ان تخرج هذه الحقيقة الى باب الاسطورة حتى  
يتسلل بها الناس . ولم تصنع ذلك كتب العجائب وحدها ،  
فتحن نجد جغرافى العرب ورحالتهم يحكون حولها الاساطير  
قابن خرداذبة يروى فى كتابه المسالك والممالك ان راعياً كان  
يورد غنمه الى عين فى ناحية سمرقند ، فيرى بها سكان الماء فى  
صورة آدميين واضحين ، يقول :

« وكان هذا الراعى يضرب الوتر واليراع والمزمار ، وكان اهل  
العين يطفون على وجه الماء ويستمعون اليه ، فيتلذذون بصوت  
غنائه ، فبينما هو ذات يوم قد ضرب بالوترين ، ونام على رأس  
العين ، اذ عمد له اهل العين جهاراً على وجه الماء ، وقبضوه كرها

الى عندهم ، فلما تم عليه يوم وليلة ولم ينصرف الى اهله اغتموا له ، فأتوا تلك العين لاقتفاء الاثر ، فوجدوه وهو طاف على وجه الماء يسير ذاهل العينين ، يكرهونه على الزمر وضرب الوتر ، واهله يتضرعون اليهم ويسألونهم تخليته ، فلم يجيبوهم الى سؤالهم . فبقوا على ذلك ثمانية أيام ، لا يتجرأ أحد منهم ان يدخل العين ، فيخلصه ، فلما أصبحوا بعد اليوم الثامن لم يروا الراعى ، ولا أحدا منعه منهم ، وخفى عنهم أمره »

ويروى القزوينى ان بارض الهند بحيرة كبيرة « ماؤها ينبع من اسفلها ، لا يأتيها شيء من الأنهار ، وفي تلك البحيرة حيوانات على صورة الانسان ، اذا كان الليل خرج منها عدد كثير يلعبون على ساحل الماء ويرقصون ويصفقون باليدين ، ومنهم جوار حسناوات .. والناس في الليلة القمرء يقعدون من البعد وينظرون اليهم ، وكلما كان النظار اكثر كان الخارجون اكثر ، وربما جاءوا بالفواكه الكثيرة فأكلوها وتركوا ما فضل منها على الساحل »

ويزعم ابن الفقيه في كتابه « مختصر البلدان » أن الاسكندرية « كانت تضيء بالليل والنهار ، فكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج منهم أحد من بيته ، ومن خرج اختطف ، وكان لهم راع يرعى الغنم على شاطئ البحر ، وكان يخرج من البحر شيء ، فيأخذ من غنمه ، فكمن له الراعى في بعض المواضع حتى خرج ، فاذا جارية قد نفثت شعرها ، فتشبت بشعرها وماعتة عن نفسها ، ولكنه قوى عليها وذهب بها الى منزله ، فأنست به وبأهله »

ويقول أبو حامد الاندلسى الذى زار البُلغار (التتار) على نهر الفولجا في القرن السادس الهجرى بكتابه تحفة الاصحاب :



« حدثت بيلغار أن سمكة مثل الجبل العظيم صادوها من بحر الخزر في بعض السنين ، ولما صادوها ثقبوا أذننها وجعلوا فيها حبالا ، ليجروها منها ، فانفتحت اذن السمكة ، وخرجت من داخلها جارية كالجوارى الأدمية ، بيضاء ، حمراء الخدين ، سوداء الشعر ، حسنة الصورة ، تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح . وقد خلق الله لها في وسطها مثل جلد أبيض كالثوب الصفيق القوى ، من وسطها الى ركبتها يستر عورتها كأنه ثوب مشدود ، فأمسكوها حتى ماتت عندهم »

وعلى هذا النحو تتسع اسطورة بنات الماء ، فتشمل جميع البحار والبحيرات والعيون والآبار ، وهى دائماً فى صور النساء الجميلات ذوات الشعر المسترسل، وكثيرا ما يقرن الحديث عنهن بأنهن ظهرن لبعض الناس ، فأوثقوهن ، حتى الفهم ، فاقترنوا بهن وتزوجوا منهن . وكان بينهن من تهرب الى البحر حتى بعد أن تلد الأولاد ، فان ذكريات حياتها القديمة لا تزال تعاودها ، فاذا وجدت فرصة عادت اليها مضحية بحياتها الجديدة على وجه الارض ، وبكل ما أوتيت فيها من نعمة الاولاد وغير الاولاد ، وكان نداء خفيا لا يزال يدعوها أن ترجع الى وطنها البحرى ، وأن تهجر هذا الوطن البرى الجديد الى غير رجعة

وكلنا نعرف ما تمتاز به البحار والمحيطات من حيوانات كبيرة مثل البال (الحوت) والسلاحف والسرطان والاختبوط، وكثير منها حيوانات مفترسة ، وكم من معركة نشبت قديما بين البال وبين بعض السفن ، واذا عرفنا أن منه ما يزن سبعين طنا ، وأن طوله قد يبلغ مائة ذراع وأكثر ، عرفنا مقدار ما كان

يلقيه من هول وفزع فى نفوس الملاحسين والتجار .  
وهو من الحيوانات الثديية ، وله أسنان مخيفة ويعيش على  
ابتلاع ما يصادفه فى البحار من أسماك وأخطبوطات ، وكم له  
من معارك مع الأخيرة التى قد يبلغ طولها فى البحار العميقة  
ثلاثين قدما أو تزيد . وقد عرف العرب الصلة بينه وبين  
العنبر ، فقالوا انه موجود بجوفه وانه يلفظه ، ومعروف انه  
ينشأ فى امعائه بسبب بعض الامراض التى تصيبه ، فيتكون هذا  
الحصى ، وقد يقذف به البال أثناء حياته ويوجد فى جوفه بعد  
معااته . وظن بعض الملاحين من العرب حين راوه طافيا على  
البحار أو راسيا فى قيعانها انه نبات ينمو فيها ، وقصوا عنه  
الاقاصيص كما قصوا عن البال . وأقدم ما نقرأ عنه فى كتب  
الرحلات عندما جاء فى رحلة التاجر سليمان - التى سبق أن  
أشرنا اليها - اذ نراه يقول انه : « رأى سمكا مثل الشراع  
ربما رفع راسه ، فتراه كالشئ العظيم ، وربما نفخ الماء من  
فيه فيكون كالمنارة العظيمة فاذا سكن البحر اجتمع السمك  
فحواه بذنبه ، ثم فتح فاه ، فيرى السمك فى جوفه يفيض  
كانه يفيض فى بشر . والمراكب التى تكون فى البحر تخافه ،  
فهم يضربون بالليل بنواقيس مثل نواقيس النصارى مخافة  
أن يتكىء على المركب فيفرقه »

ويقول أبو زيد السيرافى الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى  
عن العنبر والبال :

« أما العنبر وما يقع منه الى سواحل بحر الهند  
فهو شئ تقذفه الامواج ، على أنه لا يعرف مخرجه ، على  
أن أجوده ما وقع الى بربرا ( الصومال ) أو حدود بلاد الزنج  
( موزمبيق ) وهو البيض المدور الأزرق . ولاهل هذه النواحي

أبل يركبونها في ليالى القمر ويسمرون بها على سواحلهم ، قد ربيضت وعرفت طلب العنبر على الساحل ، فاذا رآه البعير برك بصاحبه فأخذه . ومنه مايوجد فوق البحر ويزن وزنا كثيرا ، وربما كان كهية الثور ودونه ، فاذا رآه الحوت المعروف بالبال ابتلعه ، فاذا حصل في جوفه قتله ، وطقا الحوت فوق الماء . وله قوم يراعونه في قوارب قد عرفوا الاوقات التى توجد فيها هذه الحيتان المبتلعة العنبر ، فاذا عابنوا منها شيئا اجتذبوه الى الارض بكلاليب من حديد فيها حبال متينة تنشب في ظهر الحوت ، فيشقون عنه ، ويخرجون العنبر منه . . وهذا الحوت المعروف بالبال ربما عمل من فقار ظهره كراسى يقعد عليها الرجل ويتمكن . وذكروا أن بقرية بالقرب من سراف (ميناء على خليج فارس ) بيوتا عادية لطافا ، سقفوها من أضلاع هذا الحوت . وسمعت من يقول : انه وقع في قديم الايام الى قرب سراف منه واحدة ، فقصد للنظر اليها ، فوجد قوما يصعدون الى ظهرها بسلم لطيف ، والصيادون اذا ظفروا بها طرحوها في الشمس وقطعوا لحمها ، وحفروا له حفرا يجتمع فيها الودك (الدهن) ويفرف الودك من عينيها بالحرارة اذا أذابتها الشمس ، ويجمع ، فيباع على أرباب المراكب ، ويخلط بأخلاق لهم ، تمسح بها مراكب البحر ، ويسد ما انفتق من خرزها . »



وتدور حكايات البال في كتب الرحالة واختها كتب العجائب ، وقد يجعلونه خمسمائة ذراع طولا وعشرين أو خمسين عرضا ، ويجعلون له جناحا كالجبل العظيم . وكما يتحدثون عن البال يتحدثون عن السلاحف البحرية وأن منها ما تبلغ استدارته أربعين ذراعا ، ويبيض ألف بيضة . ويصف ابن الوردي

## الاخطبوط فيقول :

« سمكة من راسها الى صدرها مثل الترس ، ولها عيون كثيرة تنظر بها ، وباقي بدنها طويل مثل الحية في مقدار ثلاثين ذراعاً ولها أرجل كثيرة ، ومن صدرها الى ذنبها مثل أسنان المنشار ، كل سنة منها في طول شبر ، كالحديد في الصلابة او الفولاذ في القطع ، ولا تتصل بشيء من المراكب الا شقته ، ولا تضرب شيئاً الا قطعته نصفين ، ولا تنطوى على شيء الا اهلكته » .

ويتحدثون عن سرطان البحر فيقولون انها كالترس الصغير ، ولا يلبثون ان يقولوا انها اذا صارت في البر على الشواطىء تحولت حجراً حالاً . ولعلمهم رأوا بعض اصداقها التي كانت تعيش فيها ، فظنوا انها هي نفسها . وتلعب المبالغة دورها فاذا من الملاحين من يزعم انه كان مجتازاً بناحية من بحر الزابج وأنه سلك في بعض الايام بين قرنين ظاهرين في البحر ، قدر أنهما جبلان في الماء ، ولما جاوزهما غاصا في البحر ، فعرف انهما ظفرا سرطان . ويزعم بحار آخراته قرب من البر في بلاد الذهب ببحر لامرى ، ورمى بالانجر الكبير ( الهلب ) في الماء ، فلم يقف به المركب ومضى على حاله ، فقال للغائص انزل واعرف الخبر ، ولما نزل رأى عجباً ، اذ وجد الانجربين ظفري سرطان يتلاعب به ويجر المركب ، وأعلم الربان الخبر ، فصاح الناس وطرحوا في الماء الحجارة حتى ترك السرطان الانجر ، وكان وزنه نحو ألف وخمسمائة رطل . ووراء السرطان والاخطبوطات والسلاحف والبال أنواع كثيرة من السمك يتحدثون عنها ، وخاصة السمك الطيار الذى ينطلق في الهواء الى ارتفاع كبير . وكان

من أشد ما يلفت نظرهم السمك ذو الوميض الفسفوري ، وكثيرا ما قصوا عنه الحكايات ، حتى ليزعم بعض البحارة ان الامواج فى جوانب من بحر الهند تضطرب وتتكرر ليلا ، فتتقدح منها النار ، حتى يخيّل الى الملاحين انهم يسرون فى بحر من النار المتوهجة

ويظهر انهم راوا فى بحر الهند وغيره من البحار ضروبا من الحيات الكبيرة ، وقد ربطوا بينها وبين الاعاصير الدائرة فى نطاق السحب الكثيفة ، وكونوا من ذلك اسطورة التنين الذى يسكن فى السحب ، ويسير من افق الى افق ، فاذا اراد الله بسفينة شرا سقط عليها وابتلعها ابتلاعا ، وقد يسقط فى البر فيبتلع الخيل والابل والبقر والناس ويهلكهم ، ويعرفنا به القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » على هذا النحو :

« التنين يكون اول امره حية متمردة ، تأكل من دواب البر ما ترى ، فاذا عظم فسادها بعث الله تعالى ملكا يحتملها ويلقيها فى البحر ، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ، ويعظم جسمها ، فيبعث الله تعالى ملكا يحملها ويلقيها الى يأجوج ومأجوج . وروى بعضهم انه رأى تنينا سقط ، فوجد طوله فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، ورأس مثل التل العظيم كراس الانسان ، واذنان طويلتان ، وعينان مدورتان كبيرتان جدا ، ويتشعب من عنقه ستة اعناق طوال ، كل عنق نحو عشرين ذراعا ، على كل عنق رأس كراس الحية »

وتتداخل فى هذا الوصف للتنين صورة الاخطبوط كما تتداخل صورة الاعاصير العاتية التى تنشأ من التقاء ريحين مختلفتى الاتجاه ، فتدور فى شكل عمود كبير ، يعصف

بكل ما يلقاه ، فاذا لقي مركبا أغرقها ، وقد يمر بالارض فيحدث كثيرا من الخسائر . ومهما يكن فقد نشأت أسطورة التنين بين البحارة ، واكثروا حوله من القصص المخيفة ، حتى جعلوه حية تنقض انقضاضا سريعا على كل ما يصادفها ، وتمحوه من الوجود محوا . وحاول الدمشقي على عادته ان يرفض هذه الاسطورة فقال :

« كثيرا ما يظهر بالبحر الاسود التنين الذى يزعم من لا علم عنده انه حيوان حى وانه تنقله الملائكة من البحر الى جهنم عند عتوه وطفيانه على دواب البحر . والتنين يوجد فى البحر الرومى وبحر الخزر وبحرورنك وسواحل المحيط بالاندلس » وهو يوجد ايضا فى بحر الهند ومايتصل به من المحيط الهادى . فالدمشقي لا يؤمن بأن التنين حيوان حى ، وقد وقف موقفه ياقوت فى « معجم البلدان » فكذب ما يقال عنه ، ولكن رواية العجائب وبعض البحارة وجدوا فيه مادة خصيبة للخيال والقصص ، وتبعته العامة تروى حكاياتهم وقصصهم ، وتزيد فيها زيادات مختلفة ، حتى ليزعم بعض الرواة او القصاصين ان منه ما يتكلم ، ومنه ما يبتلع الفيل وتسمع قعقة عظامه فى بطنه من بعد بعيد



ولا تقف عجائب البحر عند حيواناته المائية ، فلطير فصول فى القصة ، واذا كان التنين هو أسطورة الماء والسحاب فان طائر الرخ هو أسطورة الهواء ، وهو طائر هائل ، يزعم البحارة انه يظهر فى شكل غمامة سوداء ، حين يرتفع عن الافق ، اما حين يهبط على البحر ، فهو جبل ضخم أو حصن مشيد ، وحين يطير يسمع من ريشه صوت كصوت الاشجار عند

هبوب الريح ، وهو لا يصيد الا فيلا او دابة كبيرة او تنينا .  
ويذكر اللمشقى انه يوجد في غربى بحر الهند ، اذ يرى هناك  
طائرا فى الجو الاعلى ، ويسقط بعض ريشه فى جزيرة مدغشقر ،  
فيتخذونه اوعية للماء . وعرض قصبة الريشة منه اكثر من شبر  
ونصف وطولها نحو القامة . اما ابن الوردي فيبالغ ويزيد فى  
الاسطورة خيوطا ، فيقول :

« الرخ طائر عظيم غريب مهول الهيئة ، حتى قيل أن طول  
جناح الواحد نحو عشرة آلاف باع . حكى عن بعض التجار  
الذين سافروا الى الصين انه احضر معه قصبة ريش من جناح  
فرخ الرخ وهو فى البيضة ، لم يخرج بعد منها الى الوجود ،  
فكانت تلك القصبة تسع قرية ماء ، وكان الناس يتعجبون  
لذلك ،



وكان طبيعيا ان يتحول الحديث عن عجائب بحر الهند وغيره  
من البحار على السنة الملاحين والتجار والرحالة من العرب الى  
حكايات وأقاصيص ، يروونها بعد عودتهم من الجزر والسواحل  
النائية ، يصفون فيها ماشاهدوه من الكائنات البحرية والبرية ،  
والسامعون من حولهم يستزيدونهم ويستثيرونهم ، فيمعنون فى  
القصص ، وقد يمعنون فى الخيال ويشبون وثبا بما يقصونه عن  
السكان والحيوانات والاسماك والطيور الى مراقى الاساطير .  
وكان بين الملاحين والتجار والرحالة - كما بين الناس جميعا -  
من يولعون بالمبالغة والتهويل ، فاذا تحدثوا او قصوا تجاوزوا  
المقول الى التهريف والخرافة ، وتنتج عن ذلك تراث  
قصصى بديع فى أدبنا العربى الفصيح والشعبى  
وتتفوق كتب العجائب على كتب الرحلات فى وفرة هذه المادة

القصصية ، لذلك سنبدأ بها فى سرد ما اخترناه من طرائفها ، حتى اذا استوفينا ذلك معنا يكتب الرحلات ، ونستهل حديثنا بعرض ما احتواه كتاب « عجائب الهند بره وبحره وجزائره » لبزرگ بن شهریار الناخداه ، ومعنى كلمة « الناخداه » ربان السفينة ، وكان يعيش فى القرن الرابع للهجرة . وهو لا يروى فى الكتاب عن نفسه ، وانما يروى عن غيره من الربانة والملاحين الذين لججوا فى المحيطين الهندى والهادى ، وشاهدوا غرائب الاحياء والحيوانات المائية والبرية . وقد زیدت على الكتاب حکایات على مر العصور، وكان القصص اعجبوا بما فيه من مادة قصصية ، فزادوا عليها ماسمعه او تخيلوه . وبذلك أصبح هذا الكتاب أشبه بكتاب الف ليلة وليلة ، الذى اضافت اليه العصور المتعاقبة قصصا جديدة دخلت على قصصه القديمة ، فزادتها روعة وجمالا

ولا تستند الحکاية عند بزرگ بن شهریار على الحقيقة الواقعة، بل انها فى اکثر الاحيان تتحول الى أسطورة خالصة من صنع الخيال ، وهذا مما يضعف قيمتها القصصية ، اذ تتحول من باب الواقع الذى لا يتجاوز الخبر الى باب القصص الخيالى الذى يبالغ الى حد الحرافة



## من كتاب عجائب الهند

### أعصار بالقرب من جزيرة النساء

. سافر رجل في مركب عظيم ومعه خلق من أخلاط التجار من كل بلد ، وهم يسرون فى بحر ملايو ، وقد قربوا من أطراف أرض الصين وابصروا بعض جبالها ، فلم يشعروا الا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التى يقصدونها ، فلم يسعهم الا الانصراف معها حيث توجهت ، وركبهم من هول البحر مالا طاقة لهم به ، ومرت بهم الريح الى سمت سهيل ( نجم ) ومن اضطر فى ذلك البحر الى أن يصير سهيل على قمة رأسه فقد دخل بحرا لا رجعة له منه ، وتتكس فى لجة هابطة الى الجنوب تصوبه الى تلك الجهة ، فلا يستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره ، وهو فى لجج البحار المحيطة . فلما رأوا أمرهم يؤدى الى الدخول تحت سهيل ، ودخل عليهم الليل ، واطلم وادلهم ، وحال بخار البحر ودجنته ونداه وزخره ( ارتفاع امواجه ) بينهم وبين النجاة ، وهم يجرون فى قار وضباب طول ليالهم ، واصبحوا فلم يشعروا بالصباح لشدة ظلمة ما هم فيه ، واتصال قار البحر مع ضباب الجو وغلظ الريح وكدورته ، وهم فى قبضة الهلاك ، قد حكمت فيهم الريح العاصفة ، والبحار الزاخرة ، والامواج الهائلة ، ومركبهم ينث ( يصوت ) ويئن ويتعقسع ، توادعوا ( ودع بعضهم بعضا ) وصلى كل منهم الى جهة معبوده ، لانهم

كانوا شيعا من أهل الصين والهند والعجم والجزائر، واستسلموا  
 للموت ، وجروا هكذا يومين وليلتين لا يفرقون فيهما بين الليل  
 والنهار . فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل ، رأوا بين  
 أيديهم نارا عظيمة ( هي الوميض الفسفوري ظنوه نارا ) قد  
 أضاء أفقها فخافوا خوفا شديدا ، وفزعوا الى ربانهم ، وقالوا :  
 ياربنا ! اما ترى هذه النار الهائلة التى ملأت الافاق ونحن  
 نجرى الى سمتها ، والفرق أحب الينا من الحريق ، فيحق معبودك  
 الا قلبت بنا المركب فى هذه اللجة والظلمة ، لا يرى احد منا  
 الآخر ، ولا يدرى ما كانت ميتته ، ولا يتجرع لوعة صاحبه ، وانت  
 فى حل مما يجرى علينا ، فقد متنا فى هذه الايام والليال الف  
 الف ميتة ، فميتة واحدة أروح ، فقال لهم : اعلموا انه قديجرى  
 على المسافرين والتجار أهوال ، هذا أسهلها وأرحمها ، ونحن  
 معشر الربانة علينا العهود والمواثيق الا نعرض سفينة الى العطب  
 وهى باقية لم يجر عليها قدر ، ونحن معشر ربانة السفن لانقلع  
 بها الا وآجالنا وأعمارنا معنا فيها ، فنعيش بسلامتها ونموت  
 بعطبها ، فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذى يصرفهما  
 كيف يشاء . فلما يئسوا من الربان ضجوا بالبكاء والعويل ،  
 وندب كل منهم شجوه . وصار الربان اذا أمر مناديه أن ينادى  
 رجاله بجذب حبل أو ارخائه ، ليصلح شأن المركب ، لا تسمع  
 الرجال ذلك من دوى البحر وحس تلاطم الامواج وهدير الرياح  
 فى القلوع والشرع والحبال وضجيج الحلائق . فأشرف المركب  
 على التلف . وكان فى المركب شيخ مسلم من أهل قادس من  
 الاندلس ، قد طلع الى المركب فى ازدحام الناس عند طلوعهم  
 ليلة السفر ، ولم يشعر به ربان المركب ، وكان فى زاوية  
 منها مهجورة ، وهو مختف فيها خوفا أن يعلم به الربان فيؤنبه

ويوبخه ، فلما رأى القوم وما نزل بالناس وما هم عليه من  
الاضطراب بأنفسهم ومركبهم ، وأنهم قد أصبحوا عوناً مع أهوال  
البحر على أنفسهم ، مسرعين لهلاكهم ، رأى أن يخرج اليهم ،  
فخرج اليهم ، وقال لهم : ما شأنكم ، هل انخرق المركب ؟  
قالوا : لا ، قال : فهل انكسر السكان ( الدفة ) ؟ قالوا : لا ،  
قال فهل ركبكم البحر ؟ قالوا : لا ، قال : فما شأنكم ؟ قالوا :  
كأنك لست معنا في المركب ، أما تنظر هول هذا البحر وأمواجه  
وظلمة الهواء الذي لم نر معه نهارة ولا شمساً ولا قمراً ولا  
نجوماً نهتدي بها ، وقد دخلنا تحت سهيل ، وحكمت البحار  
والرياح فينا ؟ واشد ما علينا هذه النار التي نحن نجري إليها ،  
وقد ملأت الأفق ، والفرق أهون علينا من الحريق ، وقد سألنا  
الربان أن يقلب المركب بنا في البحر والظلمة ، لا يرى واحد منا  
صاحبه ، ونموت غرقاً ولا نموت حرقاً، يرى بعضنا بعضاً، ونسمع  
ماتفعلاً النار فيه ، فقال : أوصلوني إلى الربان ، فأطلعوه إليه ،  
فسلم عليه بالهندية ، فرد عليه وتعجب منه ونظر إليه، وقال له :  
من أنت أمن التجار أم من أتباعهم فلا نعرفك في رجال المركب ؟  
قال له : ما أنا من التجار ولا من أتباعهم ، قال : فمن أطلعك ؟  
وما بضاعتك ؟ قال له : أما من أطلعني فاني طلعت في جمهور  
الناس ليلة الاسراء ( السفر ) وأويت إلى مكان في المركب ، قال  
الربان : من أين تأكل ومن أين تشرب ؟ قال : كان باتيسان  
( نوتى ) المركب يضع كل يوم قريبا منى صفقة أرز بسمن  
للملائكة المركب وماء ، فكنت اتقوت بذلك ، وأما بضاعتى فقربة  
عجوة . فتعجب الربان منه ، واشتغل الناس بسماع حديثه  
عما كانوا فيه من الضجييع ، وأصلح الرجال أدوات المركب ،  
ومشى فيهم مناد بتدبير الاقلاع ، واهتدى المركب، فقال الشيخ :

ياربان ! ما لهؤلاء القوم كانوا يكون ويعولون ؟ قال له : اما ترى ما نزل بهم من هول البحر والرياح والظلمة ؟ واشد من ذلك ما نحن مدفوعون اليه من هذه النار التى ملأت الافق ، والله لقد ركبنا هذا البحر وأنا دون البلوغ مع أبى ، وكان قد أذهب عمره فى ركوبه ، وهانا اليوم قد رميت ثمانين سنة ورأى فعا سمعت بمن سلك هذا المكان ولا أخبر عنه ، فقال : يا ربان ! لا بأس عليك ولا خوف ، نجوتم بقدره الله ، هذه جزيرة يحيط بها ويكتنفها جبال ، تتكسر عليها أمواج البحار ، فتظن فى الليل نارا هائلة يخافها الجاهل ، فاذا طلعت الشمس ذهب ذلك المرأى وعاد ماء . فتبأشر الناس وسكنوا الى قول الشيخ ، وتناولوا طعامهم وشرابهم ، وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغم والخوف وتناقص الريح ، وصار البحر رهوا ( سهلا ) والريح رخوا ( ليئا ) . وقدموا الجزيرة مع شروق الشمس وأصحت السماء ، وتخبروا مرسى كنيانا ( مستترا ) ووردوا الجزيرة بجملتهم ، وكانوا يطرحون أرواحهم على الرمال ويتمرغون على الارض شوقا اليها . ولم يبق منهم فى المركب أحد ، فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وما لبثن أن حملنهم الى الجبال ، وماتوا جميعا ولم يبق منهم سوى الشيخ الاندلسى ، وكانت تزوره امرأة فى الليل ، فاذا أصبح اكتته ( سترته ) فى موضع قريب من البحر ، وجاءت له بشئ تقوته به ، فلم يزل كذلك الى أن أنقلب الريح من تلك الجزيرة الى الجهة التى خرج منها المركب من الهند ، فأخذ الشيخ قارب المركب الذى يسمى الفلو ، ووضع فيه بالليل ماء وزادا . فلما فطنت المرأة الى نيتها أخذت بيده وجاءت به الى موضع ، فنبشت التراب بيديها عن معدن تبر ، فنقلت

هى وهو منه ما زخرا به القارب ، واخذها معه ، ووصل الى البلد  
التي خرج منها المركب ، فأخبر أهلها الخبر . وأقامت المرأة  
معه الى أن تفصحت وأسلمت ورزق منها الأولاد ، وسألها عن  
تلك النساء فى الجزيرة وانفرادهن دون الرجال ، فقالت له :  
نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة ، وكل  
من بأقاليمنا ومدننا من الملوك والرعايا يعبدون هذه النار  
التي تظهر لهم ليلا فى البحر ويسمون جزيرتهم بيت الشمس  
لان الشمس تشرق من طرفها الشرقى وتغرب فى جانبها الغربى ،  
فيظنون أنها تبين فى هذه الجزيرة ، فاذا أصبحوا وأشرقت  
الشمس من جانبها الشرقى خفيت نار البحر وارتفعت  
الشمس ، فيقولون هى هى ، وإذا غربت فى جانبها الغربى  
وأمسوا ، ظهرت نار البحر ، فيقولون هى هى ، فيعبدونها  
ويقصدونها يصلواهم وسجدوهم من سائر الجهات . ثم أن الله  
سبحانه وتعالى جعل المرأة فى بلدنا تلد أول بطن ذكرا وثانى بطن  
أنثيين وكذلك باقى عمرها ، فما أقل الرجال فى بلدنا وأكثر  
النسوان . فلما كثروا وأردن أن يغلبن على الرجال صنعوا لهن  
مراكب وحملوا منهن آلافا وطرحوهن فى هذه الجزيرة ، وقالوا  
للشمس : يا ربنا انت أحق بما خلقت ، وليس لنا بهن طاقة ،  
وما سمعنا ولا مر بنا أحد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا أحد  
علم مر الأزمنة ، وإن بلادنا فى البحر الأعظم تحت سهيل ، ولا  
أحد يجيئ إلينا فيرجع ، وإذا جاءنا أحد لا يفارق الساحل والبر  
خوفا من أن تشربه البحار ، وذلك تقدير العزيز العليم

## جزائر الحوت

روى بعض البحارة هذه الاقصوصة العجيبة ، وهي من أقاصيص بنات الماء اللائي كانوا يزعمون توالدها بين الانسان وبعض الكائنات البحرية ! قال :

« سرنا في مركب كبير نطلب جزيرة فنصور (لعلها سومطرة) فأسقطنا الريح الى جـون ( خليج ) أقمنا فيه ثلاثة وثلاثين يوما في ركود لا ربح فيه . . . والتيار يعضى بالمركب ونحن نندفع معه الى أن أدخلنا بين جزائر كثيرة ، فأرسلنا المركب الى واحدة منها ، على ساحلها نسوة يعمن ويسبحن ويلعبن ، فأنسنا بهن ، ولما قربنا منهم هربن في الجزيرة ، وجاءنا رجال ونساء عقاء عارفون ، فلم ندر لغتهم ، فأشرنا اليهم وأشاروا إلينا ، ففهمنا عنهم وفهموا عنا ، فأشرنا اليهم أعندكم طعام تبيعونه لنا ، قالوا : نعم ، فجاءونا بالارز الكثير والدجاج والغنم والعسل والسمن والادم وأشياء كثيرة من المأكولات والفواكه ، فأشترينا منهم بالحديد والنحاس والكحل والخرز والثياب ، وأشرنا اليهم أعندكم بضائع نشترىها منكم فقالوا ما عندنا الا الرقيق ، فقلنا لهم : مبارك أحضروه ، فأتونا برقيق ما رأينا أحسن منهن ضاحكات السن ، يغنين ويلعبن ويتهاشن ويتداعبن بأبدان عبلة ( بضة ) وأجسام كأنها الزبد نعومة ، ويكدن يطرن خفة ونشاطا ، الا أن رؤوسهن صغار وتحت خصر كل منهن جناحين كجناحي السلحفاة . فقلنا

لهم ما هذا ، فتضاحكن وقلن أهل هذه الجزائر كلهم بهذه  
 الصورة ، وأشاروا الى السماء أى أن الله تعالى خلقهم كذلك ،  
 فأغضينا عما رأينا ، وقلنا هذه فرصة ، واشترى كل منا بجيد  
 ما عنده من الامتعة ، وأفرغنا المركب من البضائع وشحنناه  
 رقيقا وزادا ، وكنا كلما اشترينا رقيقا جاءونا بمن هن أحسن  
 منه ، فملأنا المركب بخلق ما رأى الرأءون أجمل منهم ولا أحسن  
 ولو ثم لنا ذلك لاثرينا الى عقب العقب • ولما حان السفر وعصفت  
 لنا الرياح من صوب الجزائر الى جهة بلادنا شيعونا وقالوا  
 لنا تعودون لنا فى قابل ( العام المقبل ) ان شاء الله وطمع  
 رباننا فى العودة بمركبه وحده بغير تجار ، فكان يقف رجاله  
 طوال الليل على النجوم ، وينبههم على منازل الكواكب وجهات  
 الآفاق وطريق الاقلاع فى المجرى والعودة • وفرحنا غاية الفرح  
 والسرور ، وسرنا من الجزيرة بريح عاصف من أول النهار •  
 فلما غابت الجزيرة بكى بعض الرقيق الذى معنا ، فضاقت  
 صدورنا لبكائهن ، ثم قمن بعضهن لبعض وقلن فيم البكاء ؟  
 قمن بنا نرقص ونغنى ونتضاحك ، فأعجبنا ذلك منهن ،  
 واشتغل كل واحد منا بشأنه ، وأصابوا منا غفلة واذا هن  
 يتطايرن والله فى البحر تطاير الجراد ، والمركب يجرى كالبرق  
 الخاطف فى موج كالجبال ، فما أشرفنا عليهن حتى تجاوزتهن  
 المركب بنحو ميل ، ونحن نسمعهن يغنين ويصفقن ويتضاحكن  
 فعلمنا أنهن ما فعلن بنفوسهن ذلك الا بقدرة لهن على احتمال  
 هول ذلك البحر ، ولم يمكنا الرجوع اليهن ويشسنا منهن  
 وكان الربان قد وضع احداهن فى مقصورة ، فلما مضين  
 نزل اليها ، فوجدها تريد أن تثقب الجدار ، وتطرح نفسها  
 فى البحر ، فقيدتها • وسرنا الى أن دخلنا بلاد الهند ، ومعنا

بعض العروش فبعناها وتقاسمنا أثمانها ، ولم يتجسأوز  
نصيب كل منا عشر رأس ماله . فلما سمع الناس بخبرنا ،  
جاءنا رجل من أهل هذه الجزائر ، جزائر الحوت بعينها ،  
قد أخذ صغيرا وبقي في الهند الى أن هرم ، فقال لنا : أنتم  
وقعتم الى جزائر تسمى جزائر الحوت ، وهي بلدى ، ونحن قوم  
توالد رجالنا ونساؤنا مع حيوانات البحر ، فنتج منهم هؤلاء  
السكان منذ قديم الدهور . . وأما المرأة التى بقيت مع الربان  
فاستولدها ستة أولاد وأقامت عنده ثمانى عشرة سنة مقيدة ،  
وكان هذا الشيخ الجزائرى قد قال له : لا تحل عنها القيد ،  
فتطرح نفسها فى البحر وتمضى ، فلا تراها أبدا ، فاننا لا صبر  
لنا عن الماء ، ففعل بها ذلك . ولما كبر أولاده كانوا يلومونه فى  
تقييدها بغير علم ، فلما مات لم يكن لهم بعد موته عمل الا أن  
يطلقوها من القيد رحمة لها وبراً بها وحنوا عليها . فخرجت  
كانها الفرس السابق ، وانطلقوا خلفها ، فلم يدركوها . وقال  
لها بعض من قرب اليها : أتمضين وتخليين أولادك وبنائك ؟  
فقالت : انشرتو ، ومعناه : ماذا أعمل لهم ؟ وطرحت نفسها  
فى البحر ، وغاصت فيه كأقوى حوت يكون . سبحان الخالق  
البارى المصور ، تبارك الله أحسن الخالقين ،



## الرخ يطير بالناس

ذكر بعض شيوخ الهند أن مركبا كسر له ، فسلم نفر من اهله في قارب ، ووقعوا الى جزيرة بقرب الهند ، فبقوا بها مدة الى ان مات اكثرهم وبقي منهم سبعة ، وكانوا في مدة مقامهم قد راوا طيرا عظيما يقع في الجزيرة ويرعى ، فاذا كان وقت العصر طار ، فلا يدرون الى اين يمضى ، فأجمع رايهم على ان يتعلق واحد منهم برجليه ، ليحمله ، فاذا حمله وطار به صنعوا من بعده صنيعه . وصمموا على ذلك لما ضاقت صدورهم وعلموا انه لا بد من الموت . وتعلقت نفوسهم بالطائر ، وقالوا ان طرحهم بقرب بلد فهو الذى يتمنونه ، وان قتلهم فهو الذى يتوقعونه . فطرح واحد منهم بنفسه بين الشجر ، وجاء الطائر على الرسم ، فرعى ، فلما حان وقت انصرافه تلطف الرجل في الدنو منه ، واخذ برجليه وشد نفسه مع ساقيه بقشور الشجر ، فطار به في الهواء، وهومتعلق بفخذه ، فعب بحرًا وطرحه وقت غروب الشمس على جبل ، فحل وثاقه وسقط كاليت مما تعب ، ومما مر به ، وعاب من الاهوال ، فمكث لا يتحرك الى أن طلعت الشمس من غد . فقام ينظر فاذا راعى غنم ، فسأله بالهندية عن الموضع ، فذكر له قرية من قرى الهند ، وسقاه لبنا ، فتحامل على نفسه ، حتى دخل القرية . ولم يزل الطائر ينقل القوم من تلك الجزيرة على تلك الصورة حتى اجتمعوا بأسرهم في القرية ، ثم نفذوا الى بعض

بلاد الهند التى توجد فيها المراكب وعادوا الى بلدهم . وتبين لهم حين تحدثوا عن كسر مركبهم والجزيرة التى وقعوا بها ان مقدار مسافة ما حملهم الطائر الى القرية الهندية يزيد على مائتى فرسخ

ومن عجائب الرخ ما يرويه الربانة عن ريشه ، وتعظم المبالغة فى وصفه الى حد ان يقول بعض الملاحين انه راي ريشة من ريشه تسع خمسا وعشرين قربة من الماء !. ويزعمون انه ياخذ الوحش بمنقاره او بمخالبه ويحمله فى الهواء ، ثم يرمى به ليموت وينكسر ثم يسقط عليه فيأكله ، ومع ذلك يقولون انه اذا راي الانسان هرب منه ، وفر من صورته لبشاعة خلقته !

### لحم الرخ يعيد الشباب

مما اجمع عليه جماعة من البحريين ، ان بعض المراكب الخارجة الى الصين اصاب في اللج، وسلم منه ستة أنفس على شراع ، ومكثوا اياما في البحر ، ثم وقعوا الى جزيرة ، واقاموا بها شهورا ، حتى كادت نفوسهم تتلف من ضيق الصدر ، وبينما هم فى بعض الايام يتحدثون على ساحل البحر اذ سقط طائر ، قدر الثور او نحوه ، فقالوا : قد ضاقت صدورنا من الحياة ، فقوموا بنا نجتمع على هذا الطير فنصرعه ونذبحه ونشويه ونأكل من لحمه ، فاما ان يقتلنا بمخالبه ومنقاره فنستريح مما نحن فيه ، واما ان نظفر به فنأكله ، فقاموا اليه ، وتعلق بعضهم برجليه وبعضهم بعنقه ، واخذ بعضهم يضرب ساقه بالخشب ، وجاهدوا حتى صرعوه . فعمدوا الى حجارة ، فضربوا بعضها ببعض حتى تكسرت وصارت كالسكاكين ، وذبحوه ، وشفوا ريشه ، واوقدوا نار عظيمة ،

وطرحوه فيها ، وقلبوه ، حتى استوى لحمه . ثم جلسوا فاكلوا منه حتى شبعوا ، واكلوا منه بالعشى . فلما كان اليوم الثالث واصبحوا قاموا الى البحر ، ليتوضئوا للصلاة ، فجعلوا لا يمسون شيئا من ابدانهم الا تساقط الشعر عنه حتى لم يبق على أحد منهم شعرة واحدة فى سائر جسده ، وصاروا مردا جردا . وكان فيهم ثلاثة شيوخ فتحيروا ، وقالوا : كان لحمه مسموما ، وقد تساقط الشعر ، واليوم نتلف ونهلك كلنا ونستريح مما نحن فيه . وامسوا وهم فى عافية ، واصبحوا كذلك . فلما مضى عليهم خمسة ايام عاد شعرهم الى الظهور وظل يتكامل بعد ذلك ، وهو فى نهاية السواد والبريق ، ولم يحدث أن ابيض منه شئ بعد ذلك . فمكثوا شهرا أو نحوه حتى اجتاز بهم مركب ، فلوحوا له فجاء اليهم ، وحملهم وسلموا ، وفرقوا فى البلاد ، وعاشوا بقية اعمارهم وشعرهم اسود غاية السواد ، لا يشيخون ولا يهرمون

### بال ( حوت ) ضخمة

وقعت فى سنة ثلثمائة سمكة ببعض سواحل عمان ، وجزر ( انحسر ) الماء عنها ، فصيدت ، فسجبت الى البلد ، فركب أحمد بن هلال الامير والعسكر معه ، وحضر الناس للنظر اليها وكان الفارس يدخل من فكها ، ويخرج من الجانب الآخر ، وهو راكب لمظلمها ، فانها زرعت ، فكان طولها يزيد على مائتى ذراع وارتفاعها نحو خمسين ذراعا . وبيع من دهن عينيها ، على ما قيل ، بعشرات الآلاف من الدراهم

وروى بعض العراقيين أنه رأى باليمن عند بعض اخوانه رأس سمكة قد ذهب لحمه ، وبقي عظمه صحيحا ، فدخل الرجل من احدى حدقتيها وخرج من الجانب الآخر ، وهو

قائم من غير أن ينحنى . وهذا السمك كثير ببحر الزنج ( غربى المحيط الهندى ) وهو بكسر المراكب مولع ، فاذا تعرض للمركب ضربوا الطبول وصاحوا ، وربما نفخ الماء ، فيرتفع مثل المنار ، وربما لعب بذنبه فيرى من بعد مثل شراع المراكب

### ملازمة البال للمراكب

سئل بعض البحارة عن ملازمة البال للمراكب فى السواح المعمورة والبحار المهجورة ، فقال : « ذلك يختلف باختلاف البال ، فمنه ما يحاذى المراكب ليسقط منها شئ فيلتقم وربما عثر قبل ذلك على مركب قد عطبت فنال منها ، فصـ اذا رأى مركبا حاذيا طمعا أن يحدث منها ماحـث من غيرها . ومنه ما يرى المركب فيتعجب من شكلها ، ويظنها حيوانا بعضه فى الماء وبعضه فى الهواء ، فيمرح معها ويجاريا عشقا لها وتانسباها ، ويظل كذلك مدة حدة قوته ونشاطه الى أن يعيا فيفارق المركب . ومنه ما يجارى المركب على سبيل المنافسة والمعاندة ، فاذا احس بالاعياء والتقصر ورأى المركب تتقدم رجـع اليها فحمل عليها حملة واحدة ، فان سلمت والا فنسال الله العفو . ومنه الضارى المتدرب على تحطيم المراكب ، يحمل على المركب حملات حتى يقلبها . ومنه ما اذا ركب المركب فر منها وهرب خوفا على نفسه . فأحواله وأخلاقه تختلف باختلاف أنواعه »

### بال فى البحر الاحمر

حكى بعض البحريين أنه خرج فى مركب من عدن الى جدة وأن سمكة نطحت المركب بحذاء زيلع نطحة منكـرة لم يشك من فى المركب أنها كسـرتة . وانحدر البانانية ( النوتية ) الى قاع المركب ، فلم يجدوا فيها اثرا للحادث . فعجبوا من ذلك

ومن أن هذه النطحة العظيمة لم تؤثر فى مركبهم • فلما وصلوا الى جدة أخلوا المركب ودفموه الى البر ، فوجدوا رأس السمكة فى جوفه قد سجن به ، وسد الموضع الذى ثقبه حتى لا يرى فيه خلل • وإذا هى نطحت المركب ، ولم يمكنها الخلاص ، فانقطعت من حلقها وبقي رأسها فى موضعه

### سلاحف البحر

ذكر بعض شيوخ المراكب أن مركبا خرج من بلاد الهند الى بعض النواحي ، فاندفع من يد صاحبه بقوة عاصفة عاتية عابته بعض العيب • ولاحت جزيرة صغيرة ، فقدموا اليها وأرسوا عليها كي يصلحوا العيب ، ولم يجدوا بها ماء ولا شجرا ، ولكن الضرورة دفعتهم اليها فانزلوا حمولة المركب بها وأقاموا مدة حتى رتقوا العيب ورددوا الى المركب حمولته وعزموا على المسير ، فاتفق أن كان اليوم يوم عيد فجمعوا بعض خشبات مما معهم وبعض خوص وقماش وأوقدوها فتحركت الجزيرة من تحتهم ، فرموا بأنفسهم فى الماء وتعلقوا بالقوارب ، وغاصت الجزيرة • ولحقهم من اضطراب البحر بحركتها ما أشرفوا به على الفرق • وسلموا بعد تعب شديد وهول عظيم • وإذا بها سلحفاة قائمة على وجه الماء ، ولما أحسنت حر النار ولذعها هربت

وعقب الشيخ على حكايته بقوله : « ان للسلحفاة أياما فى كل عام تطفو فيها على وجه الماء على سبيل الاستراحة من طول مقامها فى كهوف الجبال • وفى البحر غابات وأشجار هائلة اهول وأعظم من شجرنا فوق الأرض • فتخرج السلحفاة على وجه الماء وتمكث أياما ، وتسكن كالسكران ، فإذا رجعت اليها نفسها وسنمت ما هى فيه غاصت فى القاع »

## أسطورة التنين

حدث بعض البحارة أن في البحر حيات يقال لها التنين عظيمة هائلة ، وأذا مر السحاب في الشتاء على وجه الماء خرج هذا التنين من الماء ودخل فيه ، لما يجد في البحر من حرارة الماء ، لأن ماء البحر في الشتاء يسخن كالمرجل ، فإذا أحس ببرودة السحاب دخل فيه ، وتهب الرياح فترفعه مع السحاب ويسير من أفق إلى أفق ، فإذا أفرغت ما فيها من الماء وخفت وتفرقت وصارت كالهباء لا يجد التنين ما يحمله ، فيسقط أما في البحر وأما في البر ، فإذا أراد الله تعالى يقوم شرا أسقطه على سفينتهم أو في أرضهم ، فيبتلع السفينة كما يبتلع الخيل والجمال والبقر والواشي ! . ويظل حتى لا يجد شيئا يأكله فيموت أو يهلكه الله . والبحارة يبصرونه في السحاب ، يعبر على رؤوسهم أسود ممدودا ، وكلما تراخى هبط إلى أسفل ورسب ، وربما تدلى طرف ذنبه في الهواء فإذا أحس ببرودته دفع نفسه في السحاب وغاب عن الأبصار

## حية تاكل الفيلة

وعلى نحو ما كان الملاحون يحكون عن التنين وسلاحف البحر والبال والرخ حكايات عجيبة ينكرها العقل ، كذلك حكوا عن الحيات في الهند وجزرها ، فمن ذلك هذه الحكاية :

كان يسير ربان في مركب ، فاشتدت عليه الريح وعصف به اعصار شديد الجأه إلى خليج ، فدخله ، وأقام به يومه وليلته ، فلما كان من الغد اجتازت به حية هائلة المنظر عظيمة لا تقاس بشيء لكبرها ، ثم نزلت إلى جانب من الخليج فعبرت منه إلى الجانب الآخر كأنها البرق لسرعتها . وبعد العصر عادت فعبرت الخليج على رفق ، ولم تزل على ذلك خمسة أيام ، تجيء

فى كل يوم غدوة ، فتعبر وتعود بعد العصر . فلما كان اليوم السادس قال الربان للنوتية : انزلوا الى البر ، وانظروا الى أين تمضى هذه الحية ، فنزلوا بعد انصرافها فى اليوم السادس الى البر ، ومشوا فى تلك الارض نحو ميل ، فاذا هم بأجمة وغيضة ومستنقع ماء مملوء بأنياب الفيلة كبارا وصغارا . فجاءوا بالخبر الى الربان ، فنزل معهم فى الغد ، وحملوا بعض الانياب الى المركب ، وظلوا ينقلونها بعد أن تنصرف الحية ، حتى جلبوا منها شيئا كثيرا يعظم مقداره ، ورموا من المركب كل ما استغنوا عنه ، حتى يستطيع السير بما جلبوه . وخرجوا من الخليج بعد أن أقاموا فيه عشرين يوما ، وإذا بتلك الحية كانت تاكل الفيلة وتبقى أنيابها !

### الرقية من لدغ الحيات

ذكر بعض البحريين أن يكولم مى ( آخر ثغور شاطئ الملبار ) حية تسمى الناگران ، منقطة ، وعلى رأسها مثل صليب أخضر ، وترفع رأسها من الارض مقدار ذراع وذراعين على قدر كبرها ، ثم تنفخ رأسها وأصدائها فتصر مثل رأس الكلب ، وإذا سعت لم تلحق ، وإذا نهشت قتلت . وأن يكولم مى رجلا مسلما يسمى بالهندية بنجى ، وهو صاحب الصلاة ، يرقى نهشة هذه الحية ، فإذا لم يتمكن سمها ممن لدغته نفعت رقيته ، وفى الأكثر يعيش من يرقيه . ويرقى أيضا من نهشتها ونهشة غيرها من الافاعي والحيات بهذه الناحية جماعة من الهند . وهناك بهذه الناحية ضرب من الحيات الصغيرة ، لها رأسان أحدهما صغير وإذا نهشت به لم تمهل طرفه عين

### حية تبتلع تمساحا

وحكى بعض الربانة أن حية جاءت الى خليج صيمور (جنوبى

بومباى ) فابتلعت تمساحا كبيرا ، وبلغ صاحب صيمور  
 الخير ، فوجه من يطلبها ، فاجتمع عليها أكثر من ثلاثة آلاف  
 رجل وظلوا يدأورونها حتى ظفروا بها ، وشذبوا فى عنقها  
 الحبال ، وجاء جماعة من أصحاب الحيات ، فقلعوا أنيابها  
 وقد شجبت من رأسها الى اذنها • وذرعوها ( قاسوها ) فكانت  
 أربعين ذراعا ، وحملها الرجال على أعناقهم وكانت تزن آلاف  
 الارطال ، وكان ذلك فى سنة أربعين وثمالة





## جزيرة القردة

كان مركب يمضى من عمان الى بلاد الصنف (الهند الصينية)، فأصيب في طريقه ، وسلم من أهله نحو عشرة في قارب ، فحملتهم الرياح الى جزيرة مجهولة ، لا يعرفونها ، فرموا بأنفسهم على ساحلها ، وليس لهم قدرة على حركة لشدة مالحقهم في البحر من الاهوال والشدائد ، فمكثوا هنالك بقية يومهم ثم قاموا فجروا القارب الى الساحل ، وباتوا ليلتهم عنده . فلما أصبحوا مشوا فى الجزيرة ، فوجدوا فيها ماء عذبا كثيرا وغوطة (روضة) حسنة ، وأشجارا متكاثفة ، فيها ثمار شتى وموز كثير ، وقصب سكر ، ولم يروا فيها انسيا ، فاكلوا مما اشتوهوا من الثمار وشربوا من ذلك الماء ، وانصرفوا الى قاربهم فسندوه بالخشب وظلّوه بورق الموز والشجر واحكموا امره واصلحوا لأنفسهم الى جانبه موضعا يسترهم . فلما مضت عليهم خمسة ايام او ستة فاذا هم بقطع قرود قد اقبل يتقدمه قرد كبير جسيم ، واجتمعت القروود حول القارب وفزع القوم منهم . ولم تلبث القردة أن صعدت الى القارب فلم يتعرض لها أحد ، ووقف رئيسهم يفرقهم يمينا وشمالا ، وجعل بعض القردة يومئ الى بعض كأنهم يتحدثون بشيء . ولما أمسوا انصرفوا ، فخاف القوم على نفوسهم ان تقتلهم القردة ، وجعلوا طوال ليلهم يفكرون فى الخلاص ، وباتوا بأسوا حال لا يهتدون لحيلة ، ولا يعرفون طريق النجاة . فلما أصبحوا جاءتهم قردة

قطافت بهم ، ثم مضت ثم عادت ومعها قردة أخرى ، فاومات الى القوم بشيء ، فتبعتها واحد منهم ، ودخل وراها الفوطة ، ثم خاف على نفسه فرجع . فلما كان من غد عاودت القردود الايماء والاشارة . وجلس رئيسهم في القارب ، وانفذ جماعة منهم الى الفوطة . ولما مضت ساعة من النهار جاء قردان ، ومع كل منهما قطع ذهب في نهاية الجودة ، فطرحاها بين يديه . ثم عادت القردة باجمعها ، ونزل القوم الى الارض فأخذوا الذهب ، فاذا هو مثل العروق الفلاظ وفي نهاية الجودة ، فسروا سرورا عظيما ، نسوا به ما هم فيه . ولما أصبحوا جاءت قردة ثالثة بهم ثم مضت ، فمضى خلفها واحد من القوم ، وامسعت في الفوطة ، ثم خرجت الى صحراء أرضها رملة سوداء فحفرت القردة بين يديه ، وحفر معها الرجل فوجد عروق الذهب مشتبكة ، ولم يزل يستخرجها ويقلمعها الى أن أدمت اصابعه ، وجمع ما استخرجه وحمله ورجع ، الا انه ضل في بعض الطريق ، ودخل عليه الليل ، فتعلق ببعض الشجر وبات فيه ليلته . ولما أصبح رأى جماعة القردة تسمى ، وتبعها الى أن رأى البحر ووافى أصحابه ، فتلقوه وهم يبكون وقالوا له : اتالم نشك في أنك قد تلفت . وحدثهم بما رأى وطرح الذهب بين أيديهم ، وفرحوا ولكن لم يلبث أن أخذهم الهم والغم ، لانهم وجدوا هذه الكنوز ولم يجدوا مركبا كبيرا يحملونها فيه ، واذا حملوها في القارب لم يأمنا الفرق لصغره ، وهم لا يعرفون طريق العودة . وأجمع رأيهم على أن يمضوا الى تلك الصحراء ويستخرجوا الذهب ويحملوه الى قاربهم ويتكلموا على الله ، لعله ينقذهم . فكانوا يمضون في كل غداة لا تأنيهم فيها القردود ويقلمعون الذهب ويحملونه ، وحفروا حفرة كبيرة

عند القارب ودفنوه فيها . ولم يزالوا يقلعون الذهب وينقلونه  
بعدة سنة وهم يأكلون من ثمار تلك الجزيرة ويشربون من مائها  
وبينما هم على حالهم تلك اذ مر بهم مركب مسافر الى عمان  
قد أسقطته اليهم الرياح ، فمات أكثر رجاله غرقا . وعطشا .  
فلما راوا الجزيرة أرادوا الالتجاء اليها ، ولم يستطيعوا لصحولة  
المياه قرب الساحل ، وأحدوا النظر الى البر ، فراوهم وراوا  
القارب ملقى على الارض ، وتطارح لهم رجلان من رجال  
المركب بحبل ، وراوهما فأخذوا حبالهم وتطارحوا اليهما في  
البحر ، وربطت الحبال بالحبال . ولما صارت حبال المركب  
في البر مضى اليها اثنان من القوم ، فاذا من فيها قد اشرفوا على  
الموت ، وتوسلوا اليهما ان يجذبا المركب الى البر ، وقال الريان  
يا اخواننا اجذبونا الى الارض واخذوا المركب لكم ملكا ، فقال  
الرجلان ليس لنا مارب في ذلك ، انما نريد ان تعطونا نصف  
المركب ، لنملأه بما معنا ولا يشاركنا فيه ولا يعترضنا احد ،  
فقال الريان لكما ولقومكما ذلك . وتعافدوا وشهد بعضهم  
على بعض . وتطارح القوم واخذوا يجذبون المركب بالحبال  
ولما رأتهم القردة يصنعون ذلك أيدتهم وجذبت الحبال معهم  
فجاءت المركب في أسرع وقت ، ونزل من فيها الى البر ،  
واستلقوا عليه شوقا اليه ، لما جرى عليهم . ولما أصبحوا  
عرفهم القوم موضع الثمار فأكلوا وشربوا ورجعت لهم نفوسهم  
وجاءت القردة من الغد بالذهب على العادة ، فأثرهم القوم  
به ، لانهم كانوا قد أخذوا كفايتهم منه . وما زال الريان  
وجماعته يستخرجون الذهب حتى اكتفوا ، بوراوا الاقلاع  
وواتت الرياح ، فشحنوا المركب ذهبا ، نصفها للقوم ونصفها  
لريان ومن معه ، ورحلوا ، فدخلوا الهند وأخذ كل منهم نصيبه

وقد حصل لكل منهم - كما يقول الراوى - ألف ألف ( مليون )  
مثقال ومائة ألف وأربعة وأربعون ألف مثقال

### من نوابغ القردة

يقال انه كان فى قرية من قرى عمان قرد بمنزل بعض  
التجار ، كان يخدمه ، فيكنس منزله ، ويفتح لمن دخل  
ويغلقه خلفه ، ويوقد النار تحت القدر ، وينفخ فيها حتى  
تشتعل ، ويرمى لها بالحطب ، وينش الذباب على المائدة  
ويروح على سيده بالروحة !

وكان بمدينة من مدن اليمن حداد عنده قرد ، ينفخ على الكور  
طوال نهاره ، وقد ظل عند الحداد يقوم بهذا العمل سنين  
طويلة !

ومن غريب نوابغ القردة ما يحكى من أن قردا كان فى منزل  
رجل ببعض بلاد اليمن وأن الرجل اشترى لحما ، وجاء به الى  
منزله ، فأوما الى القرد : أن احفظ اللحم ، فجاءت حداة ،  
فخطفت اللحم ، فبقى القرد متحيرا ، وكان فى الدار شجرة  
فصعد الى رأسها ورفع مؤخرته الى السماء وأدلى رأسه الى أسفل  
وجعل يديه الى جانبيه مؤخرته . فظننت الحداة أن مؤخرته من  
جملة اللحم الذى اختطفته ، فانقضت عليه ، فتلقاها القرد بيديه  
فقبض عليها ، وانزلها الى الدار ، فوضعها تحت جفنة (قدر)  
وغطاها بشئ ثقيل . فجاء صاحب المنزل ، فلم يجد اللحم ،  
فقام الى القرد ليضربه . فجرى القرد الى الجفنة ، وأخرج  
الحداة ، ففطن الرجل لما جرى ، وأخذ الحداة فنتف ريشها  
وصلبها على الشجرة

## المد والجزر

ومن احاديث البحريين ما يحكى عن عبهرة الربان ، واصلهم من كرمان (في ايران) وكان ببعض قراها يرعى الغنم ، ثم صار صيادا ، ثم صار احد بانانية (نوتية) مركب يختلف الى الهند، ثم تحول الى مركب صيني ، ثم صار بعد ذلك ربانا ، وكان يعرف بحر الهند وطرائقه ، وسافر الى الصين سبع مرات . وحدث ان اكسر به مركبه ذات مرة ، فنزل في مطيال ( قارب النجاة ) واخذ معه قربة ماء ، فمكث في البحر اياما . وحكى عن شهريارى الربان وكان احد ربانة الصين انه قال :

« كنت امضي من سراف الى الصين فلما صرت بين الصنف ( الهند الصينية ) والصين بالقرب من صندر فولات ( جزر هاى نن شرقى الهند الصينية ) وهى رأس بحر صنخى ، وهو بحر الصين ، وقفت الريح فلم تتحرك وسكن البحر ، وطرحنا الاناجر ( جمع انجر : الهلب ) واقمنا بمكاننا يومين ، فلما كان فى اليوم الثالث رأينا بالبعد شيئا فى البحر ، فطرخت الدونيچ ( قاربا ) الى البحر ، وانفذت فيه اربعة من البانانية وقلت : اقصدوا ذلك السواد فانظروا ما هو ؟ فمضوا وعادوا فقلنا ما ذلك الشيء ؟ فقالوا عبهرة الربان على مطياله (قاربه) ومعه قربة ماء ، قلت لهم : فلم لم تحملوه ؟ فقالوا : قد اجتهدنا به ، فقال : لا اصعد الى المركب الا بشرط أن اكون الربان فادير المركب واخذ اجرى ، وهى قيمة الف دينار متاعا

بشراء سيراڤ ( ثغر على خليج العرب ) والا نم اُصعد . فلما  
 سمعنا هذا الكلام تعلقت نفوسنا بقوله ونزلت وجماعة من  
 المركب اليه ، وهو في البحر ترفعه الامواج وتضعه ، فسلمنا  
 عليه وتضرعنا اليه في الصعود (معنا) ، فقال : حالكم اقبح من  
 حالي ، وانا الى السلامة اقرب منكم ، فان دفعتم لى قيمة الف  
 دينار متاعا بشراء سيراڤ ورددتم الى امر المركب صعدت ،  
 فقلنا هذا مركب فيه امتعة واموال عظيمة وخلق من الناس  
 ولا يضرننا ان نعرف ما عند عبهرة من الرأى بالف دينار .  
 وصعد والدونيچ والقربة معه الى المركب فلما حصل فيه  
 قال سلمونى متاعا بالف دينار ، فسلمناه اليه ، فلما أحرزه  
 قال للريان : اجلس الى ناحية ، فتباعد ذلك عن موضعه  
 ( من قيادة المركب ) وقال (عبهرة) : ينبغي ان تجدوا في امركم  
 مادام عليكم مهلة ، فقلنا فيم ذا ؟ فقال : ارموا الثقل (الحمولة)  
 كله الى البحر ، فرمينا نحواً من نصف حمولة المركب أو أكثر  
 ثم قال : اقطعوا الدقل الاكبر ( سهم المركب الكبير ) فقطعناه  
 ورمينا به الى البحر ، فلما أصبح قال : ارفعوا الاناجر  
 واتركوا المركب يسير لنفسه ، ففعلنا ، فقال : اقطعوا الانجر  
 الكبير ، فقطعناه ، وبقي في البحر ، ثم قال : ارموا بالانجر  
 الفلانى ، فلم يزل كذلك حتى رمينا في البحر ستة اناجر .  
 فلما كان في اليوم الثالث ارتفعت سحابة مثل المنارة ، ثم تفرقت  
 في البحر ، وأخذنا الخب ( اعصار حلزونى شديد ) فلولا انا  
 كنا قد رمينا بالحمولة وقطعنا الدقل لكنا قد غرقنا من اول  
 موجة أخذتنا . ولم يزل الخب ثلاثة أيام بلياليها ، والمركب  
 يصعد وينزل بغير أنجر ولا شراع ، لا ندرى كيف نمضى .  
 فلما كان في اليوم الرابع أخذت الريح في السكون ، وتم سكونها

وصلاح أمر البحر في آخر النهار . وأصبحتنا في اليوم الخامس والبحر طيب ، والرياح مستقيمة ، فأصلحنا دقلا ورفعنا الشرع وسرنا وسلم الله . ووردنا الى الصين ، وأقمنا الى ان بعنا واشترينا وأصلحنا المركب وأخذنا دقلا بدل الدقل الذي رمينا به في البحر . وخرجنا من الصين نريد سيرا ف لما قاربنا الموضع الذي قدرونا انا راينا فيه عبهرة اجتزنا بجزيرة وجمال ، فقال عبهرة : اطرحو الاناجر ففعلنا ، ثم طرحنا القارب الى البحر ، ونزل فيه خمسة عشر رجلا ، وقال لهم : امضوا الى تلك المواضع وأومأ الى بعض الجبال ، فهاتوا الانجر الفلاني ، فعجبنا من ذلك ولم نخالفه ، ومضوا وعادوا وهو معهم ، ثم قال : امضوا الى ذلك الجبل الآخر وأومأ اليه فهاتوا الانجر الفلاني ، فمضوا وعادوا والانجر معهم . ثم قال ارفعوا الشرع ، فرفعناها وسرنا ، فقلنا له : كيف عرفت أمر هذه الاناجر ؟ فقال : نعم لقيتكم في هذا الموضع في وقت مد الماء وقد نقص الماء قدرا صالحا وكنتم في وسط الجبال والجزيرة ، فأمرتكم بطرح الثقل من الامتعة ففعلتم . ثم فكرت في أمر الاناجر ، فإذا حاجتنا اليها في الصين غير ماسة ، ولم يبق في المركب من الامتعة الا ماقيمة وزن الاناجر منه أضعاف قيمة الاناجر ، فهرميت بها لذلك لانه لم يكن بد من تخفيف المركب ، فحصلت هذه الاناجر الثلاثة فوق الجبل والجزيرة ظاهرة ، وحصلت الثلاثة تحت الماء . فقلنا له : كيف استدليت على هذا النقصان والخب ( الاعصار ) فقال : نعم قد جرب هذا البحر قبلى وجربته ، فوجدنا في رأس كل ثلاثين ( يوما ) ينقص نقصا عظيما حتى تنكشف هذه الجبال ، ويكون في وقت هذا النقصان خب

عظيم . . . وقد انكسر المركب الذى كنت فيه على رأس جبل من هذه الجبال ، لان النقصان ( الجزر ) لحقنى وأنا أسير عليه ليلاً ، وسلمت فى ذلك المطيال ( القارب ) ولو بقيتم فى موضعكم ( الذى لقيتكم فيه ) لما بقيتم فى البحر أكثر من ساعة ، ثم ينجح مركبكم وينكسر ، لانكم كنتم على الجزيرة ان جنحتم عليها انكسرتم »

### ملح وبركة

كان سعيد الفقير رجلاً صالحاً من أهل عدن يضفر القفاف والخص ، ويلزم مسجداً يصلى فيه سائر الصلوات ، وكان له ثلاثة بنين يعيشون معيشة كفاف . وحدث أن بعض البحريين جهز مركباً الى كلاه ( فى شبه جزيرة الملايو ) وكان صديقاً لسعيد ، فلما عزم على المسير قال له : اسألنى أى حاجة أودها لك ، فاشترى سعيد بنصف درهم جرة من خرف خضراء وبربع درهم ملحاً جريشاً وجعله فيها ، ودفعها اليه ، وقال له : هذه بضاعتى ، قال له : فما اشترى لك ؟ قال : اشترى بركة كما تقول الناس . وأبحر المركب ووصل الى كلاه ، وباع الرمان مافيه . ونسى الجرة ، فينما هو ذات يوم فى سوق كلاه وقد حان وقت رحيله اذا رجل يجر سمكة فى حبل وينادى : من يشتري بركة . فلما سمع ذلك ذكر جرة سعيد الفقير ، فدعا صاحب السمكة وسأله عنها ، فقال : هذا جنس من السمك يسميه الصيادون بركة ، فقال فى نفسه : لعل الرجل أراد هذه السمكة بعينها فاشتراها على أن يعطيه بالثمن وزن أوقيتين من الملح ، وأجلسه ، وأرسل بعض أصحابه الى المركب ، فجاء بالجرة ، وأعطى الرجل من الملح ما اتفق عليه . وأمر الرمان بحمل السمكة الى المنزل الذى



يسكنة ، ووضع السمكة لتملح ببقية الملح . وبينما هم يخرجون ما فى جوفها اذ وجدوا صدفة ، فشقوها ، فوجدوا فيها درة . فقال الربان : هذا رزق الله الى سعيد ، وملح السمكة ، وحفظ الدرّة . وأبحروا من كلاًه الى عدن ، واعطى الدرّة الى سعيد ، فعاش بعد حصولها فى يده مدة يسيرة ثم مات ، فاخذها ابنه الاصغر ، وخرج الى سر من راي ( بلدة بجوار بغداد ) الى الخليفة ، وهو يومئذ المعتمد ، فباعها لـ بمائة ألف درهم ، وكانت قيمتها أضعاف ذلك

### خاتم غريق

خرج مركب من سراف ( ميناء بخليج العرب ) الى البصرة فاستقبله خب ( اعصار ) بعد خروجه بايام ، وانقطعت المراكب، وتعلقت القلوب بأخبار البحر وتأخرت المراكب فيه . وكان فى المركب المذكور خلق كثير من الركاب ، وأمتعة ذات قدر ، وتصادف أن امرأة اشترت سمكا ، وبينما هى تنظفه اذ وجدت فى واحدة منه خاتما ، وامعنت النظر فيه، فاذا هو خاتم أخيها، وكان ممن ركب فى ذلك المركب، فصرخت وارتفع معها الصراخ. وشاع الخبر ، فصارت منازل جميع من كان له فى المركب قريب أو صديق أو عزيز ماتما . ثم جاء الخبر بعد ايام أن المركب انكسر ولم يسلم منه احد

## أكلة لحوم البشر

حكى رجلٌ من أهل البصرة كان ينزل في شارع قريش انه خرج من بلده في مركب الى بحر الهند ، فانكسرت ، والقت به الامواج الى جزيرة ، قال :

« فصعدت تلك الجزيرة ، وتعلقت بشجرة كبيرة ، وواريت شخصى بين أوراقها وبت ليلتى ، فلما اصبحت رايت غنما قد اقبلت نحو مائتى رأس ، يسوقها رجل لم أر مثله ، عظيم الخلقة ، طويل عريض ، بشع المنظر ، ومعه عصاة يسوق بها غنمه ، فقعده على ساحل البحر ساعة ، والغنم ترغى بين الشجر ، ثم طرح نفسه على وجهه ، فنام الى حدود نصف النهار ، ثم قام فرمى بنفسه فى الماء ، واغتسل وخرج ، وهو عريان ليس عليه الا ورقة تشبه ورق الموز ، الا انها اعرض منه ، وقد جعلها فى وسطه كالمئزر ( ثوب نصفى ) ثم عمد الى شاة فقبض رجلها ، واخذ ضرعها فى فيه ، وامتنعه ، ثم فعل ذلك بعدة من الغنم ، ثم استلقى فى ظل شجرة . ولم يلبث أن وقع طائر على الشجرة التى انا فيها ، فأخذ حجرا ثقيلا وقذف به الطائر ، فأصابه وسقط بالقرب منى ، فأومأ الى بيده ان انزل . ولخوفى منه بادرت وأنا ضعيف ميت خوفا وجوعا . واخذ الطائر ورمى به الى الارض ، وقد رت أن وزنه لا يقل عن مائة رطل ، وנתف ريشه وهو حى يضطرب ، ولما نتفه أخذ حجرا قدر عشرين رطلا ، فضرب به رأسه ، وتركه حتى مات . ثم لم يزل يضربه

بالحجر حتى شقه ، ثم جعل ينهشه بأسنانه ، وياكل منه كما  
 تاكل السباع حتى أتى عليه ، ولم يبق الا عظامه . ولما اصفرت  
 الشمس قام واخذ العصا وساق الغنم بعد ان صاح صيحة  
 افزعتنى . واجتمعت الغنم الى موضع واحد ، واوردتها خليجا  
 فى الجزيرة فيه ماء عذب ، فسقاها ، وشرب وشربت وقد  
 ايقنت بالموت . ثم ساقنا اجمعين حتى جئنا موضعا بين  
 الاشجار ، حوله خشب كثير طولا وعرضا ، وله شبه باب ،  
 ودخلت الغنم ودخلت معها ، واذا فى وسط ذلك الموضع شبه  
 بيت اقيم على خشب وثيق فى ارتفاع نحو عشرين ذراعا .  
 وماعمل شيئا سوى ان اخذ شاة كانت من اصفر الغنم واهزلها ،  
 فدق رأسها بحجر ، ثم اجماع نارا ، وجعل يقطع اللحم بيديه  
 واسنانه كما تفعل السباع ، ورمى اللحم مع الجلد والصوف فى  
 النار ، واكل جميع ما فى جوف الشاة نيئا ، ثم عمد الى الغنم  
 فلم يزل يشرب من هذه وتلك حتى شرب من عدد كثير . ثم  
 صعد فاخذ معه شيئا كان يشربه . ثم نام فجعل يغط كما  
 يغط الثور . ولما انتصف الليل جعلت ادب قليلا قليلا الى موضع  
 النار وتبعت مابقى من اللحم ، فاكلت مايمسك رمقى ، وكنت  
 خائفا ان تنفر الغنم فينتبه ، فيجعلنى مثل الطائر او كالشاة .  
 وبقيت مطروحا الى الغد . فلما أصبح نزل وساق الغنم وساقنى  
 معها ، وكان يكلمنى فلا أفهم كلامه ، وكلمته بما أعرف من  
 اللغات فلم يفهم منى شيئا ، وكان قد صار على شعر عظيم ،  
 واطنه لما رأتى على تلك الصورة القبيحة عافتنى نفسه ، فاخر  
 اكلى . ولم ازل معه فى تلك الحال عشرة ايام ، يفعل كل يوم  
 مثل ما فعله فى سابقه ، ولا يمضى يوم دون ان يصطاد طائرا  
 او طائرين ، وان حصل له من الطيور ما يشبعه لم ياكل شيئا

من الغنم ، وان قلت الطيور اكل شاة . وصرت اعاونه في وقود النار وجمع الحطب واخدمه ، وادبر الحيلة لنفسى حتى اخلص منه ، الى ان مضى لى عنده شهران ، وصلح جسمى . ورايت فى وجهه آثار السرور ، وفهمت انه عزم على اكلى ، وكان ياخذ ثمرا من شجر فى الجزيرة ينقعه فى الماء ، ثم يصفيه ويشربه ، فيسكر طوال ليلته ، حتى لا يعقل . وكنت ارى فى تلك الجزيرة طيورا كبارا كالليل والجاموس واكبر واصفر ، ومنها شىء قد اكل بعض غنمه ، ولذلك يبيت هو وغنمه فى تلك الحظيرة خوفا من تلك الطيور . وفى ليلة من الليالى صبرت حتى سكر ونام ، فقممت وتعلقت بشجرة ودليت غصنا من اغصانها الى الارض ، ومضيت على وجهى اطلب صحراء قد كنت رايتها من تلك الشجرة . ولم ازل امشى الى الصباح ، ثم خفت وتعلقت بشجرة عظيمة الساق ومعى خشبة قد اعددتها ، حتى أن لحقنى ضربت بها راسه ، فاما ان اقتله واما ان يقتلنى ، والموت على كل حال لا بد منه . ومكثت يومى هذا فى الشجرة ، ولم اره ، وقد كنت اخذت معى قطعة من اللحم ، فلما امسيت اكلتها ، ونزلت فمشيت الى الصباح ، فوجدت نفسى فى صحراء وفيها اشجار متفرقة فمشيت وانا لا ارى احدا الا الطيور وحيات ووحوشا لا اعرفها ، ورايت ماء عذبا ، فاقمت بجانبه . وجعلت آخذ من تلك الثمار والموز واكل منها والطيور تطوف بالقوطة ، وعايشت طائرا منها ضخما ، فاعدت شيئا من قشور الشجر مثل الحبال ، ولم ازل ارسد الطائر حتى سقط يرعى ودوت من خلفه ، فتعلقت بساقه وهو مشغول برعيه ، وشددت نفسى بالحبال . ولما فرغ من اكله شرب ماء ، وحلق فى الهواء ، واشرفنا على البحر ، واستسلمت للموت ، ولم يلبث ان انحط

على جبل في الجزيرة ، فحللت نفسي من ساقه ، وأنا ضعيف ،  
وجعلت أجر نفسي خوفا منه ، ونزلت من الجبل وتعلقت  
بشجرة ، واخفيت شخصي فيها . ولما اصبحت رايت دخانا ،  
فقلت لابد ان عنده ناسا ، ونزلت امشي الى ناحيته ، فما  
مشيت قليلا حتى استقبلتني جماعة ، واخذوني وكلموني  
كلاما لم افهمه ، وحملوني الى قريتهم ، وادخلوني في منزل  
حبسوني به مع تسع انفس ، فسألوني عن خبري ، فحدثتهم  
وسألتهم عن خبرهم فحدثوني انهم اهل مركب كان قد خرج  
من الصنف (الهند الصينية) الى الزابج (جزر الهند الشرقية) فخرج  
عليهم خب ( اعصار ) كسر مركبهم ، وتخلصوا في قارب نحو  
عشرين رجلا ، فوقعوا الى هذه الجزيرة ، فآخذهم قوم  
فاقتسموهم ، واكلوا منهم نفرا الى هذا الوقت . وتعجبت  
وقلت في نفسي : ان مقامى عند صاحب الغنم كان اصلح لى ،  
وجعلت اتأسى بالقوم . ولما كان الفد جاءونا بسمسم أو شيء  
يشبهه وموز وسمن وعسل ، وقال لى القوم : هذا طعامنا منذ  
وقعنا ها هنا . واكلنا مقدار مايمسك رمقنا ، ثم جاءوا فنظروا  
الىنا ، واخذوا احسننا حالا فى جسده فودعناه ، واخرجوه الى  
وسط المنزل ودهنوه من راسه الى قدمه بالسمن ، ثم أقعدوه  
فى الشمس مقدار ساعتين ، ثم اجتمعوا عليه ، فذبحوه وقطعوه  
قطعا ، ونحن نرى ، ثم شووه واكلوه واكلوا اجزاء منه نيئة ،  
ثم شربوا شرابا ، وسكروا فناموا ، فقلت للقوم : قوموا فنقتل  
هؤلاء فانهم سكارى ، ونخرج على وجوهنا ، فان سلمنا  
فالحمد لله ، وان هلكنا فالهلاك اسهل من هذا البلاء ،  
واختلف رأينا بقية يومنا ، واظلنا الليل ، واصبحنا ، فجاءونا  
بما ناكل على الرسم المعتاد . ومضت اربعة ايام على تلك الحال ،

قلما كان اليوم الخامس جاءونا فاخذوا منا رجلا ، ففعلوا به ما فعلوه بالاول . ولما سكروا واناموا قمنا اليهم فذبحناهم بأسرهم ، واخذ كل واحد منا سكيناً وشيئاً من الفسل والسمن والسمن . ولما اظلمت الدنيا خرجنا من المنزل ، ومشينا نطلب الساحل من جانب آخر غير جانب القرية . ودخلنا غوطة فتعلقنا بالشجر ونحن ثمانية ، خوفاً من القوم . ولما جن الليل نزلنا ومشينا مهتدين بالكواكب ، وأما من هؤلاء الناس ، فكانا نمشي نهاراً ونستريح ونأكل من ثمار الجزيرة وهي كثيرة الموز ، وما زلنا نمشي حتى وقعنا في غوطة حسنة ، وفيها ماء عذب طيب ، فعز منا على المقام بها ابداً الى ان يقع اليينا مركب أو نموت فيها ، فمات منا ثلاثة ، وبقينا خمسة . وبينما نحن في بعض الايام نمشي واذا بقارب قذف به الموج وفيه جماعة قدمائوا ، والقارب جانح في الطين والموج يضربه وهو مطروح ورمينا بهم في البحر وغسلنا القارب ، وصنعنا له دقلاً من الشجر ، وسوينا حبلاً من خوص النارجيل ( جوز الهند ) وشراعاً من الليف ، وملأنا بطن القارب من النارجيل والفاكهة واخذنا معنا ماء ، وكان بيننا ملاح يعرف السفر في البحر ، وسرنا نحو خمسة عشر يوماً ، ووقعنا بقرية من قرى الصنف بعد احوال وعجائب مرت بنا ، وأخبرنا الناس بخبرنا ، فجمعوا لكل منا زاداً ، وخرج كل منا يقصد بلداً . ورجعت الى البصرة بعد أربعين سنة من غيبتى ، وقد مات أكثر اهلى ووجدت لابی ولداً لم اكن أعرفه ، وكانوا لما انقطع خبرى قسموا مالى ، فلم يصل الى منه شيء »

### وژة بجاوہ

قال بعض الملاحين : كنت عند صاحب سندا بور ( جاوہ )

يوما ما اتحدث اذ ضحك ، فقال : اتدري لم ضحكت ؟ قلت : لا ، فقال : على الحائط وزغة تقول : الساعة يجيء ضيف غريب . فعجبت من حماقته ، وأردت الانصراف بعد ساعة ، فقال : لا تبرح حتى تنظر آخر امر هذه الوزغة . وانا لفي حديثنا اذ دخل بعض اصحابه ، فقال : وافي الخور ( الخليج ) من عمان مركب ، ثم لم نلبث الا ساعة ، حتى دخل جماعة ومعهم اقصاف فيها قماش ومتاع وماء ورد ، ففتح منها قفص ماء ورد ، فقفزت منه وزغة كبيرة ، وصعدت الى الحائط تعدو الى الوزغة الاولى ، فصارت الوزغة وزغتين وانا ارى

### تماسيح مسحورة

دخل الى سرنديب رجل هندي صاحب رقي وكهانة وسحر ، فصادف صديقا ، فقال له : اتريد ان اريك شيئا ظريفا ، فقال نعم ، فجلس على الخور ( الخليج ) وتكلم بكلام ، ثم قال له : ان شئت فادخل الخور ، فان التماسيح لا يؤذيكم ، وان شئت فاحضر من يدخل ، وان شئت دخلت انا ، فقال له : تدخل انت ، فدخل هو ، ثم دخل الآخر ، ثم دخل ثالث ، فجعل التماسيح يطوف بهم ولا يؤذيهم . ثم صعدوا ، فقال له : تحب ان اخلى عن التماسيح ، فقال : افعل ، وطرحوا كلبا ، فقطعه التماسيح . فبلغ صاحب سرنديب خبره ، فاحضره ، وقال : عندك كذا وكذا من سحر التماسيح ، فقال : نعم ، فركب معه الى الخليج ، واحضر رجلين يريد قتلها لجناية ، فقال له : تكلم على الخور ، فتكلم ، وادخل احد الرجلين الخور ، فاطافت به التماسيح ، ولم تعرض له ، ثم قال له : خل عنها ، فتكلم ، فقطعت التماسيح الرجل عضوا عضوا ، ثم قال له : قد فعلت فعلا حسنا ، ووجبت مجازاتك ، فخلع

عليه ، وذهب له شيئا ووعدته ومناه . ولم يزل الرجل يتحول  
من موضع الى آخر حتى رقى جميع التماسيح . فخور  
سرنديب لا يؤذى التماسيح فيه احدا

### رضيع تتقاذفه الامواج

قالت امرأة من اهل الابله ( ميناء البصرة ) : كان لوالدى  
صديق من بانانية ( نوتية ) المراكب المختلفة من عمان الى  
البصرة ، وكان اذا ورد المركب الذى هو فيه من عمان نزل  
الىنا واقام عندنا اياما ، واهدى الينا ، واذا اراد الخروج فعلنا  
مثل ذلك ، واهدينا اليه مايمكننا . وكان رجلا مستورا ،  
فزوجنى ابنى به ، وماضت غير ثلاث سنين حتى توفى ابنى ،  
فقال لى : قومى حتى احملك الى عمان ، فان لى بها والدة  
واهلا ، فخرجت معه الى عمان ، وكنت مع اهله بها مقدار  
اربع سنين ، وهو يختلف بين عمان والبصرة . ثم توفى بعمان  
بعد ان ولدت هذا الصبى بخمسة اشهر . فلم يطب لى المقام  
بعمان ، لان مقامى بها كان بسببه ، فقلت لوالدته واهله : اريد  
ان ارجع الى اهلى بالابله ، فقالوا لى : ان اقمنا عندنا قاسمناك  
حياتنا ، فليس لنا فى الدنيا غير هذا الصبى ، وسالونى ذلك ،  
فأبيت . ولما عزمنا على الخروج اشتريت للصبى سريرا وثيقا  
من خيزران ، وجعلت فيه ثيابا كنت قد جمعتها لى وللصبى  
وذخيرة من الدراهم كنت قد ادخرتها . وغطيت ذلك كله  
واحكمته ، وجعلت الصبى فوقه . وخرجت فى مركب يريد  
البصرة ، فبينما نحن سائرون اذ اخذنا خب ( أعصار )  
فانكسر المركب فى نصف الليل ، وتفرقت الركاب والبانانية فى  
البحر ، فلم ير احد منا صاحبه . وتعلقت بلوح من الالواح ،  
واحكمت نفسى عليه ، وظللت فوقه الى نصف النهار فى الغد ،



اذ رأنا صاحب مركب مجتاز ، فجمع من الماء نحو عشرة انفس  
كنت انا احدهم . وحملنا الى مركبه ، ونكسوا رءوسنا لنقذف  
الماء الذى شربناه فى البحر ، وسقونا أدوية ، وعالجونا حتى  
رجعت نفوسنا الينا . وانا فى هذه الاثناء قد نسيت ابنى لما  
انا فيه وزال الفكر فيه عن قلبى . وظللت هكذا مدة طويلة ،  
حتى سمعت صاحب المركب يقول : انظروا هذه المرأة  
واسألوها : الها لبن ، فان هذا الصبى الذى اتقذناه من فوق  
اللجج يموت ، فقالوا لى : الك لبن ؟ . فتذكرت ابنى ، وقلت :  
قد كان لى لبن ، ولا اظن انه بقى منه شيء لما مربى من الاهوال ،  
فقالوا : الحقى هذا الصبى قبل ان يموت . فجاءونى بالسريـر ،  
وفيه الطفل بحاله ، ما فتحوه ولا اخذوا منه شيئا ، فلما رأيته  
وقعت على وجهى وصرخت وغشى على . فرشوا على الماء ،  
وأفقت بعد ساعة ، وأقبلت ابكى وأضم الطفل ، فقالوا : ايها  
المرأة مالك ؟ فقلت : هذا الطفل ابنى . فقام صاحب المركب  
الى ، وقال : ان كان ابنك فإى شيء الذى تحته ؟ فأقبلت أعد  
عليهم ماتحته ، وجعلوا يخرجون شيئا بعد شيء كأنه انما وضع  
الساعة ، فما منهم أحد الا بكى بكاء عظيما ، وحمدت الله وشكرته  
ان جمع بينى وبين ابنى على تلك الصورة

## الدرة اليتيمة

كان بعمان رجل يقال له مسلم بن بشر ، وكان مستورا جميل الطريقة ، وكان ممن يجهز الغواصة في طلب اللؤلؤ ، وكانت بيده بضاعة ، فلم يزل يجهز الرجال للغوص ، ولا ترجع اليه فائدة ، حتى ذهب جميع ما كان يملكه ، ولم تبق له حيلة ، ولا ذخيرة ، ولا ثوب ، ولا شيء يمكن بيعه ، الا خلخالاً لزوجته بمائة دينار ، فقال لها : اقرضيني هذا الخلخال الالهي الغواصة به ، فلعل الله تعالى يرسل لنا شيئاً ، فقالت له : يا ايها الرجل لم تبق لنا ذخيرة ولا شيء نعول عليه ، وقد هلكنا وافتقرنا ، فلان ناكل بهذا الخلخال اصلح من ان نلقه في البحر . فتلطف بها واخذ الخلخال وباعه وجهز بجميعه الرجال للغوص وخرج معهم . ومن شرط الغوص ان يقيم الغواصة فيه شهرين للعمل لاغير ، وعلى هذا يتشارطون . فاقاموا يغوصون تسعة وخمسين يوماً ويخرجون الصدف ويفتحونه ، فلا يحصل لهم شيء ، فلما كان اليوم الستون غاصوا على اسم ابليس لعنه الله ، فوجدوا فيما اخرجوه صدفه ، استخرجوا منها حبة لها قيمة كبيرة ، لعل ثمنها يوفي بجميع ما كان يملكه مسلم منذ كان ، والى وقته ، فقالوا له : هذه وجدناها على اسم ابليس ، لعنه الله ، فاخذها وسحقها ورمى بها في البحر . فقالوا له : ايها الرجل لم فعلت هذا ؟ لقد افتقرت وهلكت ، ولم يبق لك امل في ان يقع لك مثل هذه الحبة التي لعلها تساوي آلافاً من الدنانير ، فتسحقها ! فقال : سبحان الله ! كيف أستحل ان أنتفع بمال استخرج على

اسم ابليس ، وانا اعلم ان الله تبارك وتعالى لا يبارك لى فيه ، وانا  
وقعت هذه الحجة بايدينا ليختبرنا الله تعالى بها ، ويعرف الناس  
اعتقادي . ولئن انتفعت بها ليقندين كل الناس بى ، فلا  
يفوصون. الا على اسم ابليس ، لعنه الله ، فائم ذلك اكبر من  
كل فائدة وان كبرت ، ووالله لو كان مكانها كل لؤلؤ فى البحر  
ما اخذته . امضوا ففوصوا وقولوا : باسم الله وببركة الله .  
فغاصوا على مارسم لهم ، فما صلى صلاة المغرب فى ذلك اليوم ،  
وهو آخر يوم من الستين المشترطة حتى حصل بيده درتان :  
احدهما اليتيمة ، والاخرى دونها بكثير ، فحملهما الى هارون  
الرشيد ، فباع اليتيمة بسبعين الف درهم ، والصغرى بثلاثين  
الف درهم . وانصرف الى عمان بمائة الف درهم ، فبنى بها دارا  
عظيمة ، واشترى ضياعا واعتقر عقارا ، وداره معروفة بعمان



## ربان ضرير في بحر الصين

ركبت هذا البحر في جمع من التجار ، فهبت علينا ريح عاصفة في بعض الايام ، صرفت المركب عن قصده ، ومشت به ماشاء الله ، وكان ربان المركب شيخا حاذقا الا انه كان أعمى ، وكان يستصحب كل مرة يسافر فيها جبلا كثيرة، وكان أصحابه ينكرون عليه ذلك ، ويقولون له : لو حملنا مكان الجبال أحمال التجار لاصبنا خيرا كثيرا ، وكان يرد عليهم قولهم ويمنعهم منه . فلما اصابنا ما اصابنا من الريح كان يقول لأصحابه في كل وقت : انظروا ماذا ترون ؟ وهم يخبرونه بالحال الى ان قالوا : نرى طيورا سوداء على وجه الماء ، فجعل يدعو بالويل والثبور، ولطم وجهه، وقال : هلكنا والله، فسألناه عن سبب ذلك ، فقال : سترون عيانا ما يفتيكم عن اخباري ، فما مر الا يسير حتى وقعنا في الدردور ( الاعصار العلزوني الدائر ) وهو اذا وقع فيه مركب لا يزال يدور ولا يخرج منه البتة . ونظرنا فراينا الطيور السوداء مراكب قد اغرقها الدردور، وانتشر على سطح البحر من كانوا فيها جثثا طافية . فآخذنا الخوف والفزع ، وانقطع رجاؤنا من الحياة ، وانتظرنا الموت المحقق . فلما شاهد منا الربان تلك الحالة قال : يا قوم ! اجعلوا لى نصف اموالكم على اخراجكم من هذه الغمة ، وانا احتال في خلاصكم

ان شاء الله تعالى ، فقلنا نعم قد رضىنا ، فامر بأخذ قربات  
مملوءة من الدهن ( الزيت ) وادلائها فى البحر ، فصنعنا ما امر  
به فاجتمع عليها من السمك عدد لا يحصى . ثم امرنا أن نجتمع  
الجثث الطافية ونشدها بالحبال التى كانت عنده فى المركب  
ونرمى بها فى البحر ، ففعلنا واجتمع عليها السمك . ثم امرنا  
بضرب الطبول والاخشاب والصياح والتصفيق ، واذا بالمركب  
قد تحرك من مكانه وجرى ولم يزل يجرى حتى خرجنا من  
الدردور . فصاح : اقطعوا الحبال عاجلا ، فقطعناها ونجونا  
بقدره الله من الهلاك والموت .

### آية للناس

قال رجل من اصبهان (فى ايران) : ركبتنى ديون كثيرة ونفقة  
عيال عجزت عنها ، فقارقت اصبهان ، ودارت بى الدوائر حتى  
ركبت البحر فى جمع من التجار ، فتلاطمت بنا الامواج حتى  
صار المركب فى الدردور فى بحر الهند ، فقال الربان : يا قوم  
هذا الدردور لا يتخلص منه مركب الا اذا شاء الله ، فقال القوم  
هل تعرف لنا طريقا للخلاص فنسمى فيه ، فقال : ان سمح  
احدكم بنفسه لاصحابه تخلصنا ، فقلت : يا قوم نحن كلنا فى  
معرض الهلاك ، وانا رجل كرهت الحياة ، وسئمت البقاء ،  
وكنت اتمنى الموت . وكان فى السفينة جمع من التجار  
الاصبهانيين ، فقلت : احلفوا لى انكم تقضون ديونى ،  
وتحسنون الى اولادى ، وانا افديكم بنفسى واوثركم بحياتى ،  
فحلفوا لى على ذلك ، فقلت للربان : انا اسمح بنفسى لاصحابى  
فماذا تأمرنى ان افعل ، فقد سلمت نفسى لله طلبا لخلاصكم  
ان شاء الله تعالى ، فقال لى الربان : آمرك ان تقف ثلاثة ايام  
بلياليها على ساحل هذه الجزيرة ، وكانت بقرب الدردور ، ولا

تفتر عن الضرب على هذا الطبل أبدا ، فقلت لهم افعل ذلك ،  
فحلّفوا لى ايماننا مغلظة على ماشرطته عليهم ، وأعطونى من الماء  
والزاد مايكفينى اياما ، وأنزلونى على ساحل الجزيرة ، فوقفت  
وشرعت فى ضرب الطبل ، فرايت المياه تحركت وجرت بالركب  
وانا انظر اليه ، حتى غاب عن بصرى . فلما فرغت من ذلك  
جعلت اطوف بتلك الجزيرة فاذا انا بشجرة عظيمة لم ار اعظم  
منها ، وعليها شبه سطح عريض . فلما كسان آخر النهار  
احسست بهدوء شديد ، فاذا طائر عظيم ابيض اللون ، لم  
ار حيوانا اعظم منه ، وقع على ذلك السطح . فاختفيت خوفا  
منه ان يصطادنى ، الى أن بدأ ضوء الصباح ، فنفض جناحيه  
وطار . فلما كانت الليلة الثانية ، جاء الطير وسقط على سطح  
الشجرة كما فعل البارحة ، فدنوت منه ، فلم يتعرض لى  
بسوء ولا التفت الى ، وطار عند الصباح . فلما كانت الليلة  
الثالثة جاء الطير على عادته ، فقعدت عنده من غير خوف ،  
الى أن نفّض جناحيه عند الفجر ، فتعلقت برجليه ، بكلتا  
يدى ، فحملنى وطار بى أسرع طيران الى أن ارتفع النهار ، فنظرت  
نحو الارض ، فما رايت غير لجة البحر ، وكدت أترك رجليه  
لشدة ما نالنى من التعب ، ثم حملت نفسى على الصبر ، الى  
ان نظرت نحو الارض ، فرايت القرى والعمارات تحتى ،  
فذهب ما كان بى من شدة التعب . ودنا من الارض ، فرميت  
بنفسى على كومة تبن فى بعض القرى ، والناس ينظرون الى .  
ودوم ( دار ) الطائر فى الهواء وغاب عنا ، فاجتمع الناس  
على وحملونى الى حاكمهم ، فأحضر رجلا يفهم لسانى ، فقال  
لى : من انت ، فحدثته بحديثى كله فتعجبوا منه ، وتبركوا  
بى ، وامر لى الحاكم بمال كثير ، واقمت عندهم اياما .

وخرجت يوما لاتفرج ، فمشيت الى طرف بحر ، كنت اراه  
على بعد ، فاذا انا بالركب الذى كنت فيه قد ارسى ، ولم يلبث  
اصحابى ان راونى ، فاسرعوا الى سائلين عن حالى ، فقلت لهم :  
انى بذلت نفسى لله فانقذنى ، وجعلنى آية للناس ورزقنى  
المال واوصلنى الى وجهتنا قبلكم ، فتعجبوا غاية التعجب ،  
وحملونى معهم الى اهلئ ، وقاموا لى بمال فوق ما اشترطت ،  
فعدت بخير وغنى وسلامة

### الجزيرة المحترقة

حكى بعض التجار قال : ركبى بحر الزنج ( غربى المحيط  
الهندي ) فدارت بى الدوائر حتى حصلت فى هذه الجزيرة ،  
فرايت فيها خلقا كثيرا ، فبقيت بها زمانا واستأنست بأهلها  
وتعلمت شيئا من لغتهم ، فلمسا كانت بعض الليالى رايت  
الناس مجتمعين ينظرون الى كوكب طلع من افقهم ، وهم  
يكون ويلطمون وينادون بالويل والثبور ، فسالت بعضهم عن  
سبب ذلك ، فقال : ان هذا الكوكب يطلع فى كل ثلاثين سنة  
مرة ، فاذا وصل الى سمت رءوسنا احترق جميع ما فى هذه  
الجزيرة ، ورايتهم يشتغلون بأعداد مراكب ، نقلوا اليها جميع  
ما يخافون عليه من المال والامتعة . ولما قرب الكوكب من سمت  
رءوسهم ركبوا السفن وركبت انا ايضا معهم ، وسرنا فى البحر  
وغبنا عن الجزيرة مدة . ولما زال الكوكب عن سمت رءوسنا  
عدنا الى الجزيرة فوجدنا جميع ما كان بها من الاشجار والبنيان  
قد احترق وصار رمادا . وشرعوا فى العمارة ثانيا . ولا يزالون  
كذلك على الدوام فى كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة ويجددون  
بناها

## بيضة الرخ

ذكر عبد الرحمن المغربي انه سافر في بحر الصين ، فالقتهم  
الريح في جزيرة عظيمة كبيرة واسعة ، فنزل بها اهل السفينة  
ليتزودوا منها ، ونزل معهم ، فراوا في الجزيرة قبة عظيمة  
بيضاء لماعة براقعة اعلى من مائة ذراع ، فقصدوها ، ودنوا  
منها ، فاذا هي بيضة الرخ ، فجعلوا يضربونها بالفئوس  
والصخور والخشب ، حتى انشقت عن فرخ الرخ وكانه جبل  
راسخ ، فتعلقوا بريشة من جناحه ، واجتذبوها حتى قلعوها ،  
وقتلوه ، وحملوا ما امكنهم من لحمه ، ورحلوا ، وطبخ بعضهم  
من هذا اللحم واكلوا وكان فيهم مشايخ بيض اللحى ، فلما  
اصبحوا وجدوا لحاهم قد اسودت ، ولم يعد الشيب بعد ذلك  
الى احد منهم ، فكانوا يقولون ان العود الذي حركوا به ما في  
القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب . ولما طلعت  
الشمس ونحن في السفينة وهي تجري بنا اقبل رخ ضخم  
يهوى كالسحابة العظيمة ، وفي رجليه قطعة من جبل كالبيت  
الكبير ولما حاذى سفينتنا من الجو القى ذلك الحجر عليها ،  
غير انها كانت مسرعة سرعة شديدة ، فسبقت الحجر ووقع في  
البحر وكان لوقوعه هول عظيم . وكتب الله لنا السلامة ونجانا  
من الهلاك



## جزيرة الحكماء

هى جزيرة خيالية ، روى ابن الوردى ان الاسكندر ذا القرنين وصل اليها ، فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر ، ويوتهم كهوف فى الصخر والحجر ، فسألهم مسائل فى الحكمة ، فاجابوه بأحسن جواب والطف خطاب ، فقال لهم : سلوا حوائجكم لتقضى ، فقالوا له : نسالك الخلد فى الدنيا ، فقال : وأنى ذلك لنفسى ؟! ومن لا يقدر على زيادة نفس من انفاسه كيف يبلغكم الخلد ، فقالوا له : نسالك صحة فى ابداننا مابقينا ، قال : وهذا ايضا لا اقدر عليه ، قالوا : فعرفنا مابقى من أعمارنا ، فقال : ائنى لا اعرف ذلك لنفسى ، فكيف اعرفه لكم . فقالوا: دعنا نطلب ذلك ممن يقدر عليه وعلى أعظم منه ، وهو ربنا وربك ورب العالمين

وجعل الحكماء ينظرون الى كثرة جنود الاسكندر ، وعظمة موكبه ، وكان بينهم حكيم لم يهتم بذلك ولا رفع رأسه اليه ، فقال له الاسكندر : مالك لاتنظر الى ما ينظر اليه الناس متعجبين ، فاجابه بقوله : ما اعجبنى الملك الذى رأيت قبلك حتى انظر اليك والى جنودك وموكبك ، فقال الاسكندر ، وكيف ذلك ، قال الحكيم : كان عندنا ملك وآخر مسكين فماتا فى يوم واحد ، وكنت غائبا ، ورجعت ، فاجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم اعرفه

## الاسكندر والتنين

ظهر فى جزيرة بيعض السنين تنين عظيم ، فكاد ان يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان ، فاستغاث الناس منه بالاسكندر ، وكان قد قارب جزيرتهم ، فذهبوا اليه ، وقالوا له : ان التنين قد اكل مواشينا ، واتلف أموالنا ، وقطع الطريق

على الناس ، وفي كل يوم تقدم له ثورين عظيمين ننصبهما له ،  
 فيأتى اليهما فى سحابة سوداء ، وعيناه تتوقدان وتلمعان كالبرق  
 الخاطف ، بينما يلفظ النار والدخان من فمه . ويهجم على  
 الثورين ، فيبتلعهما ، ويرجع الى مكانه فى السحاب . فسار  
 الاسكندر الى الجزيرة وأمر بالثورين فسلخا ، وحشا جلودهما  
 زفتا وكبريتا وزرنيخا ونفطا وزئبقا ، وجعل مع ذلك كلاليب  
 من حديد . واقامهما فى نفس المكان المعهود ، فجاء التنين من  
 الغد اليهما على العادة فابتلع الثورين وجلودهما ، فاشتعلت  
 النار بجوفه ، وتعلقت الكلاليب بأحشائه ، وسرى الزئبق فى  
 جسده ، وذهب يضطرب الى مقره . فانتظروه فى الغد ، فلم  
 يأت ، فذهبوا الى موضعه الذى يجيء منه ، وإذا هو ميت ،  
 وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها ، وفرحوا بذلك ، وشكروا  
 للاسكندر سعيه ، وحملوا اليه هدايا عجيبة ، منها دابة يقال  
 لها المعراج ، مثل الأرنب صفراء اللون ، وعلى رأسها  
 قرن واحد أسود ، وهى دابة لا يراها شيء من السباع  
 الضواري والوحوش الكاسرة الا هرب منها ، لا يلوى على شيء



## تقليد متوارث في الزابج

للزابج ملك يسمى المهرآج ، قصره على واد كوادى دجلة ، يطفى عليه ماء البحر بالمد، وينضب عنه بالجزر، ويتصل به غدِير صغير يلاصق قصر الملك . ومن تقاليدهم المتوارثة أن قهرمان الملك يدخل عليه فى صبيحة كل يوم ، ومع لبنة قد سبكها من ذهب ، خفى عنى مقدار قيمتها ، فيطرحها بين يديه ، ثم يلقيها فى ذلك الغدير ، فإذا كان المد علاها هى وما اجتمع معها من أمثالها ، وإذا كان الجزر انحسر عن اللبنة جميعا ، فلاحت فى الشمس ، فيراها الملك من مجلسه المظلل عليها . ولا يزال ذلك الحال: القهرمان يطرح كل يوم فى ذلك الغدير لبنة من ذهب ماعاش الملك من الزمان ، ولا يمس شيئا منها . فإذا مات الملك أخرجها القائم من بعده كلها ، ولا يدع منها شيئا ، وتحصى ، ثم تذاب وتفرق على أهل بيت المملكة ، رجالهم ونسائهم وأولادهم وقوادهم وخدمهم ، على قدر منازلهم ومارسم لكل صنف منهم . وما فضل بعد ذلك أعطى لأهل المسكنة والضعف . ويدون عدد لبنات الذهب ووزنها ، ويقال إن فلانا ملك من الزمان كذا سنة وخلف من اللبنة فى غدِير الملوك كذا لبنة ، وأنها فرقت بعد وفاته على أهل مملكته . والفخر عندهم لمن امتدت أيام ملكه وزاد عدد لبنات الذهب فى تركته

## حرب بين الزابج والقمار ( سيام )

ومن أخبارهم فى القديم ، أن ملكا تقلد الملك على بلاد القمار فى قديم الزمان ، وكان صغيرا متسرعا ليست عنده حنكة ، فجلس يوما فى قصره ووزيره بين يديه ، فقال له ، وقد جرى ذكر مملكة المهراج وجلالتها وكثرة عمارتها وماتحت يده من الجزائر الكثيرة : فى نفسى رغبة أحب بلوغها . فقال له الوزير وكان ناصحا وقد عرف منه طيشه وتسرعه : ما هى أيها الملك ؟ قال : أحب أن أرى رأس المهراج ملك الزابج فى طست بين يدي فعلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر فى نفسه ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بمثل هذا ، اذ لم يجر بيننا وبين هؤلاء القوم لا فى فعل ولا فى حديث ترة ( ثار ) ولا رأينا منهم شرا ، وهم فى جزر نائية ، ولا يجاوروننا ولا يطمعون فى ملكنا ، ولا ينبغى أن يقف على هذا الكلام أحد ولا يعيد الملك فيه قولا . فغضب الملك ولم يسمع من ناصحه ، وأذاع رغبته تلك فى قواده ومن كان يحضره من وجوه أصحابه فتناقلته الألسن حتى شاع واتصل بالمهراج ، وكان محنكا ، قد بلغ فى السن مبلغا متوسطا ، فدعا بوزيره وأخبره بما اتصل به وقال له : لا يصح ، مع ما شاع من أمر هذا الجاهل وتمنيه ما تمناه بعدائة سنه بوقلة تجربته وانتشار ذلك من قوله ، أن نمسك عنه ، فإن ذلك مما يفت فى عضد ملكنا ويضع منه ، وأمره بستر ما جرى بينهما ، وأن يعد له ألف مركب من أوساط المراكب بالآتها ، ويندب لكل مركب منها جملة من عدة السلاح وشجعان الحرب ، وأظهر أنه يريد التنزه فى جزائر مملكته . وكتب الى ملوكها الداخلين فى طاعته بما عزم عليه من زيارتهم والفرجة فى جزائرهم حتى شاع ذلك ، وتأهب

ملك كل جزيرة لاستقباله . ولما استتب له أمر المراكب واعدتها  
عبر بها وبالجيش الى مملكة القمار ، واتجه ثوا الى الوادى المفضى  
الى قصر الملك ، وأحاط بالقصر فجأة، ووقع الملك أسيرا فى يده .  
فأمر أن ينادى فى قمار بالامان ، وأحضر الملك ووزيره ، وقال  
له : ما حملك على تمنى ما ليس فى وسعك ؟ فلم يجر جوابا ،  
ثم قال له : أما انك لو تمنيت مع ما تمنيته من النظر الى راسى  
فى طست بين يديك اباحة أرضى وملكها لاستعملت ذلك فى  
ملكك ، ولكنك تمنيت شيئا بعينه ، فأنا منزله بك ، وراجع  
الى بلدى من غير أن أمد يدي الى شيء من بلادك مما دق وعظم ،  
لتكون عظة لمن بعدك . ثم ضرب عنقه ورجع الى بلاده . واتصل  
الخبر بملوك الهند والصين ، فعظم المهرج فى أعينهم ، وصارت  
ملوك القمار من بعد ذلك كلما أصبحوا قاموا وحولوا وجوههم  
نحو بلاد الزابج ، فسجدوا للمهرج تعظيما له !

### لؤلؤة فى فم ثعلب

من عجائب الرزق أن أعرابيا ورد البصرة فى قديم الايام ،  
ومعه حبة لؤلؤ لا يعرف قيمتها ، فصار بها الى عطار كان يالفه  
فاظهرها له ، وسأله عنها وعن قيمتها ، فأخبره انها لؤلؤة، فقال  
له : وما قيمتها ؟ قال العطار : مائة درهم، فاستكثر الاعرابي ذلك،  
وقال له : هل أحد يبتاعها منى بما قلت ؟ فدفعت له العطار :  
مائة درهم وأخذها ، فقصدها بها مدينة دار السلام ( بغداد ) فباعها  
بجملة من المال ، واتسع العطار فى تجارته . وكان قد سأل  
الاعرابي عن كيفية عثوره على حبة اللؤلؤ ، فقال له : مررت  
بالصمان من أرض البحرين ، فى موضع بينه وبين الساحل  
مدة قريبة ، فرأيت فى الرمل ثعلبا ميتا ، قد أطبق فمه على  
شيء ، وأمكنت النظر فوجدت هذا الشيء كمثل الطبق ، وجوفه

يلمع بياضا ، ووجدت هذه اللؤلؤة فى الطبق (الصدف) فأخذتها  
قال العطار : فعرفت سبب حصولها فى فم الثعلب ، فان الصدفة  
خرجت الى الساحل ، وتمر بها الثعلب ، فلما عاينها ورأى جوفها  
وهى فاتحة فمها وثب بسرعة ، فادخل فمه فيها ، فأطبقت عليه  
الصدفة ، ومن شأنها اذا أحسست بيد تلمسها أو أى شئ أطبقت  
فمها عليه ، ولم تفتحه بأية حيلة ، حتى تشق من آخرها بالحديد  
ضنا منها باللؤلؤ وصيانة لها كصيانة المرأة لولدها . فلما  
أخذت بفم الثعلب وضاق بها أمعن فى العدو يضرب بها الارض  
يمينا وشمالا الى أن أخذت بنفسه فمات . وظفر بها الاعرابى  
فكانت من نصيبه



من كتاب نزهة المشتاق :

## أقصوصة الفتية المغررين

وهى ليست من قصص المحيط الهندى ، وانما هى من أقاصيص المحيط الاطلسى ( ألاوتيانوس أو بحر الظلمات ) ، وهى ترمز الى رحلات العرب فى الأندلس نحو الجنوب الغربى من بلادهم ، ومن المؤكد أنهم زاروا جزائر أزورا وماديرا والخالدات وهى نفسها الجزائر التى يظن أن هؤلاء الفتية فى الاقصوصة زاروها . والاديسى يروى القصة على أنها قصة حقيقية ليس فيها شيء من الخيال ! قال :

« من مدينة أشبونة ( لشبونة ) كان خروج الفتية المغررين ( المخاطرين ) الى بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه ، والى اين انتهأوه ، وذلك أنهم اجتمعوا ، ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فانشأوا مركبا حمالا ، وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر . ثم دخلوا البحر مع هبوب الريح الشرقية ، فجروا به نحو من أحد عشر يوما ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح ، كثير الربوش (الاعشاب) والضباب ، فايقنوا بالتلف فسارعوا الى تغيير وجهتهم ، وجروا فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وهى جزيرة فيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، والغنم فيها سارحة ، لاراعى

لها ولا ناظر اليها ، فارسوا عليها ، ونزلوا بها فوجدوا عين ماء جارية ، وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الفثم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها . فأخذوا من جلودها . وعادوا الى البحر ، فساروا الى الجنوب اثني عشر يوما ، الى أن لاخت لهم جزيرة ، ولما اقتربوا منها راوا فيها عمارة وحرثا فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى احيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا ، وحملوا فى مركبهم الى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها فى دار فراوا بها رجالا شقرا ، شعورهم مسترسلة ، وهم طوال القدود . ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فى هذه الدار ثلاثة أيام ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، فسألهم عن حالهم ، وفيهم جاءوا وأين بلدهم . فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم احضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالامس ، من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الاخبار والعجائب ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده أن يركبوا هذا البحر ، وانهم جروا فى عرضه شهرا ، إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيرا ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا الى موضع حبسهم حتى جرت الريح الغربية ، فوضعوهم فى زورق وعصبوا أعينهم ، وجروا بهم فى البحر مدة من الدهر ، قال القوم : قدرنا أنهم جروا بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جاءوا بنا الى البر ، فأخرجونا من الزورق ، وكتفونا الى خلف ، وتركونا



بالساحل ومضوا ، وظللنا على هذه الصورة الى ان تضاحى  
النهار ، وعلت الشمس في السماء ، ونحن في ضحك وسوء حال  
من شدة الكثاف ، وبينما نحن كذلك سمعنا ضوضاء وأصوات  
ناس ، فصحنا بأجمعنا . فأقبل القوم الينا ، فوجدونا بتلك  
الحال السيئة ، فحلوا وثاقنا ، وسألونا ما خبرنا ، فأخبرناهم ،  
وكانوا من البربر ، فقال لنا أحدهم : اتعلمون كم بينكم وبين  
بلدكم ؟ فقلنا لا ، فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين ،  
فقال : زعيم القوم والسفا . فسمى المكان الى اليوم أسفا ،  
وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، . وبعد أهوال ومخاطرات  
وصلوا الى بلدهم ، فأطلق الناس عليهم اسم الفتية المفررين  
يقصدون انهم غرروا وخاطروا بأنفسهم فى مغامرات ومجازفات  
غير مجدية

## من رحلة ابن بطوطة :

### مسلم فى هيئة جوكية

نزلنا بجزيرة صغرى على ساحل الملبار أو بالقرب منه  
فوجدنا بها جوكيا (ساحرا) مستندا الى حائط بيت للإصنام، وهو  
بين صنمين منها ، وعليه أثر المجاهدة التى يقوم بها الجوكية ،  
اذ لا يأكلون ولا يشربون لمدة طويلة ، وكلمناه فلم يتكلم ، ونظرنا  
هل معه طعام ؟ فلم نر معه طعاما . وفى حين نظرنا صاح  
صيحة عظيمة ، فسقطت عند صياحه جوزه من جوز النارجيل  
( جوز الهند) بين يديه ، ودفعها لنا فعجبنا من ذلك ، ودفعنا  
له دنائير ودراهم فلم يقبلها . واتيناه بزااد فرده . وكانت بين  
يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة ، فقلبتها بيدي فدفعها  
الى ، وكانت بيدي سبحة فقلبتها فى يدي فأعطيتة ايها ،  
ففركهائده وشمها وقبلها وأشار الى السماء ، ثم الى سمت

القبلة ، فلم يفهم أصحابي اشارته ، ففهمت انا عنه انه اشار انه مسلم يخفى اسلامه عن اهل تلك الجزيرة ، ويتعيش من ذلك الجوز . ولما ودعناه قبلت يده ، فانكر أصحابي ذلك ففهم انكارهم ، فأخذ يدي فقبلها وتبسم ، وأشار لنا بالانصراف فانصرفنا . وكنت آخر أصحابي فجذب ثوبي فرددت رأسي إليه ، فأعطاني عشرة دنائير . فلما خرجنا عنه قال لى أصحابي: لم جذبك ؟ فقلت لهم : أعطاني هذه الدنائير ، وهو رجل مسلم الا ترون كيف اشار الى السماء ، يشير الى انه يعرف الله تعالى ، وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام ، وأخذه السبحة مصداق ذلك ، فرجعوا لما قلت لهم ذلك أليه ، فلم يجدوه !

### شجرة عجيبة

ونزلنا بمدينة « ده فتن » وهى مدينة كبيرة بساحل الملبار على خليج ، كثيرة البساتين ، وفيها حوض عظيم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلثمائة خطوة .. وبازائه مسجد جامع للمسلمين ، والذي بنى المسجد والحوض أحد أجداد كويل أكبر سلاطين الملبار ، ولاسلامه خبر عجيب

ورأيت بازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة ، تشبه أوراقها اوراق التين الا انها لينة ، وعليها حائط يطيف بها ، وعندها محراب صليت فيه ركعتين . واسم هذه الشجرة عندهم « درخت الشهادة » . وأخبرت هنالك انه اذا كان الخريف من كل سنة ، تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة ، بعد ان يستحيل لونها الى الصفرة ، ثم الى الحمرة ، ويكون فيها مكتوبا بقلم القدرة : لا اله الا الله محمد رسول الله . وأخبرنى جماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرأوا المكتوب الذى فيها .

وذكروا أنه إذا كانت أيام سقوطها قعد تحتها تقاة من المسلمين  
والكفار ، فإذا سقطت أخذ المسلمون نصفها والكفار نصفها .  
وهم يستشفون بها

وهذه الشجرة كانت سبب إسلام جد كويل الذي عمر المسجد  
والحوض ، فانه كان يقرأ الخط العربي ، فلما قراها وفهم  
ما فيها أسلم وحسن إسلامه ، وحكايته عندهم متواترة •  
وحدثوني أن أحد أولاده كفر بعد أبيه وطفى وأمر باقتلاع  
الشجرة من أصلها ، فاقطعت ولم يترك لها أثر . ثم انها نبتت  
بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه ، وهلك الكافر سريعا



## عفريت من الجن

وقال الثقات أن أهل جزائر ذبية المهل ( المالديف ) كانوا كفارا ، وكان يظهر لهم فى كل شهر عفريت من الجن ، يأتى من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل ، وكانت عاداتهم انهم اذا راوه أخذوا جارية بكرًا فزينوها ، وأدخلوها بيت الاصنام ، وكان مبنيا على ضفة البحر ، وله طاق ينظر إليه منه ، ويتركونها هناك ليلة ، ثم يأتون عند الصباح فيجدونها ميتة . ولا يزالون فى كل شهر يقترعون بينهم ، فمن أصابته القرعة أعطى بنته . ثم انه قدم عليهم مغربى يسمى بأبى البركات البربرى ، وكان حافظا للقرآن العظيم . فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل ، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها ، وهن يبكين كأنهن فى ماتم ، فاستفهم عن شأنهن ، فلم يفهمنه . فأتى بترجمان ، فأخبره أن العجوز خرجت القرعة عليها ، وليس لها الابنت واحدة ، وسيقتلها العفريت . فقال لها ابو البركات : انا أتوجه عوضا عن بنتك بالليل ، ولم تكن له لحية . فاحتملوه فى تلك الليلة ، وأدخلوه بيت الاصنام وهو متوضىء ، وأقام يتلو القرآن . ثم ظهر له العفريت من الطاق ، فداوم التلاوة . فلما اقترب منه بحيث يسمع القراءة غاص فى البحر ، وأصبح المغربى وهو يتلو على حاله ، فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا

البتت على عاداتهم ، فيحرقوها ، فوجدوا المغربي يتلو القرآن ، فمضوا به الى ملكهم ، وأعلموه بخبره ، فعجب منه . وعرض عليه المغربي الاسلام ورغبه فيه ، فقال له : أقم عندنا الى الشهر الآخر ، فان فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت . فاقام عندهم ، وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر ، وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته . ثم حمل المغربي لما دخل الشهر الى بيت الاصنام فجعل يتلو حتى الصباح ولم يات العفريت . وجاء السلطان والناس معه ، فوجدوه على حاله من التلاوة ، فكسروا الاصنام وهدموا بيتها . وأسلم أهل الجزيرة ، وبعثوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها ، وأقام المغربي عندهم معظما ، وتمذهبوا بمذهبه ، وهو مذهب الامام مالك رضى الله عنه . وقد قرأت على مقصورة الجامع هناك منقوشا في الخشب : أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد ابى البركات البربرى المغربي

### القرود بجزيرة سيلان

القرود بتلك البلاد كثيرة جدا ، وهى سود الالوان ، لها اذنان طوال ، ولذكورها لحى كما هى للادميين . ولهذه القرود مقدم تتبعه كأنه سلطان ، يشد على رأسه عصاة من اوراق الاشجار ، ويتوكأ على عصا ، ويكون عن يمينه ويساره اربعة من القرود ، نها عصى بأيديها . واذا جلس القرد المقدم تقف القرود الاربعة على رأسه ، وتأتى أنثاه وأولاده فتقعد بين يديه كل يوم . وتأتى القردة فتقعد على بعد منه . ثم يكلمها احد القرود الاربعة ، فتتصرف القرود كلها . ثم يأتى كل قرد منها بموزة او ليمونة أو شبه ذلك ، فيأكل القرد المقدم وأولاده والقرود الاربعة . وأخبرنى بعض الناس انه رأى القرود الاربعة بين يدى مقدمها ،

وهي تضرب بعض القروء بالعصى ، ثم تنتف وبراها بعد ضربها

### قدم آدم

وصعدنا جبل سرنديب لنرى عليه موضع قدم آدم عليه السلام ، وهو من أعلى جبال الدنيا ، رأيناه من البحر ، وبيننا وبينه مسيرة تسع ليال ، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا ، وفيه كثير من الأشجار التي لا يسقط لها ورق ، والأزهار الملونة والورد الأحمر على قدر الكف . وفي الجبل طريقان الى القدم ، أحدهما يعرف بطريق « بابا » والآخر بطريق « ماما » يعنون آدم وحواء عليهما السلام ، فأما طريق ماما فطريق سهل ، وعليه يرجع الزوار اذا رجعوا ، ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر . وأما طريق بابا فصعب وعمر المرتقى ، وفي أسفل الجبل مغارة تنسب للاسكندر وعين ماء . ونحت الاولون في الجبل شبه درج يصعد عليها ، وغرزوا فيها اوتاد الحديد ، وعلقوا فيها السلاسل ، ليتمسك بها من يصعده . وهي عشر سلاسل ، اثنتان في أسفل الجبل ، وسبع متوالية بعدها ، والعاشرة هي سلسلة الشهادة ، لان الانسان اذا وصل اليها ، ونظر الى أسفل الجبل ادركه الخوف ، فيتشهد خوف السقوط . ثم اذا جاوزت هذه السلسلة العاشرة وجدت طريقا سهلا . ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر عليه السلام سبعة أميال ، وهي في موضع فسيح عندها عين ماء ، تنسب اليه أيضا ، ملأى بالحيتان ولا يصطادها احد ، وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبى الطريق . وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ، ويصعدون منها ميلين الى أعلى الجبل حيث القدم . واثار القدم الكريمة قدم ابينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع

فسيح ، وقد غاصت القدم الكريمة فى الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا ، وطولها أحد عشر شبرا . واتى اليها اهل الصين قديما ، فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه ، وجعلوه فى كنيسة بمدينة الزيتون ( نغر كان على المحيط الهادى ) يقصدونها من أقصى البلاد . وفى الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة ، يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب والياقوت والجواهر . فترى الفقراء اذا وصلوا مغارة الخضر ، يتسابقون منها لآخذ ما بالحفر ، ولم نجد نحن بها الا يسيرا من حجيرات وذهب أعطيناها الدليل . والعادة ان يقيم الهوار بمغارة الخضر ثلاثة ايام يأتون فيها الى القدم غدوة وعشيا . وكذلك فعلنا . ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق ماما ، فنزلنا بمغارة « شيم » وهو شيت بن آدم عليهما السلام . ثم ذهبنا الى خليج السمك ، ثم الى قرية كرملة . وتحت هذا الجبل الخليج العظيم الذى يخرج منه الياقوت ، وماؤه يظهر فى مرأى العين شديد الزرقة . والياقوت يوجد بجزيرة سيلان فى جميع مواضعها ، وتتخذ منه نساؤها القلائد ويجعلنسه فى أيديهن وأرجلهن عوضا عن الاسورة والخلخال

### بلاد طوالسى

وركبنا البحر الكاهل ( المحيط الهادى ) ٠٠ ثم وصلنا الى بلاد طوالسى وهى بلاد عريضة ، وملكها يضاهى ملك الصين ! وأهل هذه البلاد عبدة أوثنان ، حسان الصور ، أشبه الناس بالترك فى صورهم . والغالب على الوانهم الحمرة ، ولهم شجاعة ونجدة ، ونساؤهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ، ويقاتلن كالرجال سواء . ولما أرسينا بالمرسى جاءت عساكرهم ونزل الناخذاه ( الربان ) اليهم ومعه هدية لابن الملك ، فسألهم

هته ، فأخبروه أن أباه ولاء بلدا غيرهم ، وولى بنته بتلك  
 المدينة ، واسمها أردجا . ولما كان اليوم الثاني من حلولنا ،  
 استدعت هذه الملكة الناخداه صاحب المركب والكتاب والتجار  
 والرؤساء ومقدم الرجال ومقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم  
 على عاداتها . ورغب الناخداه منى أن أحضر معهم ، فأبيت ،  
 لأنهم كفار لا يجوز أكل طعامهم . فلما حضروا عندها قالت  
 لهم : هل بقى أحد منكم لم يحضر ؟ فقال لها الناخداه : لم يبق  
 الا رجل واحد وهو القاضى ، وهو لا يأكل طعامكم ، فقالت :  
 ادعوه ، فجاء أعوانها وأصحاب الناخداه ، فقالوا : اجب الملكة .  
 فأتيتها ، وهى بمجلسها الاعظم ، وبين يديها نسوة ، وحولها  
 النساء القواعد ، وهن وزيراتها ، وقد جلسن تحت السرير على  
 كراسى الصندل ، وبين يديها الرجال . ومجلسها مفروش  
 بالحرير ، وعليه ستور حرير ، وخشبه من الصندل ، وعليه  
 صفائح الذهب . وبالمجلس مصاطب خشب منقوش ، عليها  
 أواني ذهب كثيرة من كبار وصفار كالخوابى والقلال . وأخبرنى  
 الناخداه أنها مملوءة بشراب مصنوع من السكر ، مخلوط  
 بالافويه ، يشربونه بعد الطعام ، وأنه عطر الرائحة حلو المطعم ،  
 يفرج ويهضم . فلما سلمت على الملكة قالت لى بالتركية  
 كيف حالك ؟ وكيف انت ؟ واجلستنى على قرب منها ،  
 وكانت تحسن الكتاب العربى فقالت لبعض خدامها :  
 الدواة والكاغد ( الورق ) فأتى بذلك ، فكتبت فيه :  
 بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالت : ماهذا ؟ فقلت لها : اسم الله ،  
 فقالت : جيد . ثم سألتنى من أى البلاد قدمت ؟ فقلت لها :  
 من بلاد الهند ، فقالت : بلاد الفلفل ؟ فقلت : نعم ، فسألتنى  
 عن تلك البلاد وأخبارها ، فأجبتها ، فقالت : لابد أن أغزوها



وأخذها لنفسى ، فأتى يعجبني كثرة مالها وعساكرها ، فقلت لها : افعلى . وأمرت لى بانواب وخمل فيلين من الارز ، وبجاموستين ، وعشر من الضان ، واربعة أرتال جلاب ، واربعة مرطباتات ، وهى اوان ضخمة ، مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا ( المانجو ) كل ذلك مملوح مما يعد للبحر

واخبرنى الناخذاء : ان هذه الملكة لها فى عسكرها نسوة وخوادم وجوار يقاتلن كالرجال ، وانها تخرج فى العساكر من رجال ونساء ، فتغير على عدوها ، وتشاهد القتال وتبارز الابطال . واخبرنى أنه وقع بينها وبين بعض اعدائها قتال شديد ، وقتل كثير من عسكرها وكادوا يهزمون ، فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش ، حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله ، فطعنته طعنة كان فيها حتفه ، فمات وانهمزت عساكره ، وجاءت برأسه على رمح ، فافتداه اهله منها بمال كثير . فلما عادت الى ابيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها . واخبرنى ان ابناء الملوك يخطبونها ، فتقول : لا أتزوج الا من يبارزنى فيغلبنى ، فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم



ثم سافرنا عن بلاد طوالسى ، فوصلنا الصين بعد سبعة عشر يوما . وبعد ان زرنا بلادها عزمنا على الرجوع ، ولما وصلت الى ثغر الزيتون وجدت المراكب على أهبة السفر الى الهند ، وفى جملتها مركب للسلطان الظاهر صاحب جاوة ، وأهله كلهم مسلمون ، وعرفنى وكيله ، وسر بقدمى معه ، وصادفتنى الريح الطيبة عشرة أيام . ولما قاربنا بلاد طوالسى تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر ، واقمنا عشرة أيام لا نرى الشمس . ثم دخلنا بحرا لا نعرفه ، وخاف اهل المركب ، فأرادوا الرجوع

الى الصين ، فلم يمكن ذلك . واقمنا اثنين واربعين يوما  
لا نعرف في اى البحار نحن

ولما كان اليوم الثالث والاربعون ظهر لنا بعد طلوع الفجر  
جبل فى البحر ، بيننا وبينه نحو عشرين ميلا ، والرياح تحملنا  
الى صوبه ، فعجب البحرية وقالوا : لسنا بقرب البر ولا يعهد  
فى البحر جبل ، وان دفعتنا الريح اليه هلكنا . فلجأ الناس  
الى التضرع لله والاخلاص وجددوا التوبة . وابتهلنا الى الله  
بالدعاء . ونذر التجار التصدقات الكثيرة ، وكتبتهما لهم فى دفتر  
بخطى . وسكنت الريح بعض سكون . ثم راينا ذلك الجبل عند  
طلوع الشمس قد ارتفع فى الهواء ، وظهر الضوء فيما بينه  
وبين البحر ، فعجبنا من ذلك . ورايت البحرية يكون ويودع  
بعضهم بعضا ، فقلت : ماشأنكم ؟ فقالوا : ان الذى تخيلناه  
جبلا هو الرخ ، وان رآنا اهلكتنا ، وبيننا وبينه اقل من عشرة  
اميال . ثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه ،  
فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته . وبعد شهرين من ذلك اليوم  
وصلنا الى جاوة

### عرس بسومطرة

ونزلنا سومطرة فوجدنا سلطانها الظاهر قدم من غزوة له ،  
وجاء بسبى كثير ، فبعث لى جاريتين وغلامين ، وانزلنى منزلا  
طيبا واحضرنى أعراس ولده مع بنت أخيه . وشاهدت يوم  
الجلوة ، فرأيتهم قد نصبوا فى وسط المجلس منبرا كبيرا ،  
وكسوة بثياب الحرير . وجاءت العروس من داخل القصر على  
قدميها ، بادية الوجه ، ومعها نحو اربعين من الوصيفات يرفعن  
اذبالها ، من نساء السلطان ونساء امرائه ووزرائه ، وكلهن  
باديات الوجوه ، ينظر اليهن كل من حضر ، من رفيع او ضيع ،

وليست تلك بعادة لهن الا في الاعراس خاصة

وصعدت العروس المنبر وبين يديها اهل الطرب رجالا ونساء ، يلعبون ويفنون ، ثم جاء الزوج على فيل مزين على ظهره سرير ، وفوقه قبة ، والتاج على راسه، وعن يمينه ويساره نحو مائة من ابناء الملوك ، وامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة ، وعلى رؤوسهم الشواشي ( ثياب رفيعة ) المرصعة . وهم اتراب العروس ، وليس فيهم ذو الحية . ونثرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله . وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك . ونزل ابنه فقبل رجله ، وصعد المنبر الى العروس ، فقامت اليه وقبلت يده ، وجلس الى جانبها ، والوصيفات يروحن عليها . وجاءوا بالفوفل والتانبول ( شجر عندهم ) فاخذ منه الزوج بيده وجعل ما اخذه في فمها ، ثم اخذت هي بيديها وجعلت ما اخذته في فمه . ثم وضع عليها الستر ، ورفع المنبر وهما فيه الى داخل القصر . واكل الناس وانصرفوا . ثم لما كان من الغد جمع الناس ، واجرى له ابوه ولاية العهد ، وبايعه الناس ، واعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب

في عالم البر



## الارض المعمورة

كتب العرب عن الارض المعمورة كتابات جغرافية وتاريخية كثيرة ، وطاقوا بأقاليمها وبلدانها وسجلوا ماشاهدوه وسمعوه ، وفي كل ذلك يختلط الواقع بالخرافة ، والحقيقة بالاسطورة ، سواء في حديثهم عن تاريخ الامم الاسطوري القديم ، أو عن عتيق البنيان وما أقيم عليه من تمائيل عى دائما فى رأيهم طلاسـم وأرصاد ، أو عن مظاهر الطبيعة المختلفة من جبال وأنهار وبحيرات وآبار وأشجار وحيوانات ، أو عن الافلاك والكواكب ومبدا الخليفة . ولهم فى هذا المبدأ ونشأة الكون اساطير كثيرة ، فمن ذلك هذه الاسطورة :

« لما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض ، خلق جوهرة خضراء أضعاف طبقات الارض والسموات ، ثم نظر اليها نظرة هيبة فصارت ماء ، ونظر الى الماء ، فعلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار ، وارعد من خشية الله ، فمن حين ذلك يرعد الى يوم القيامة . . ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط تحت الارض فوضعها على عاتقه ، واحدى يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب . . ولم يكن لقدميه موضع قرار ، فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن ، وأربعون ألف قائمة ، وجعل قرار قدمى الملك على سنامه ، فلم تستقر قدماه ، فأحدر الله ياقوته خضراء من أعلى الفردوس ، غلظها مسيرة خمسمائة عام . فوضعها بين سنام الثور الى اذنه ،

فاستقرت عليها قدامه .. ومنخر ذلك الثور في البحر ، فهو يتنفس كل يوم نفسا ، فاذا تنفس مد البحر ، واذا رد نفسه جزر .. ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار . فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ السموات والارض ، فاستقرت قوائم الثور عليها .. ولم يكن للصخرة مستقر ، فخلق الله تعالى حوتا عظيما وضع الصخرة على ظهره ، ووضع الحوت على البحر »

ولعل العرب لم يصوروا اساطير امة في مبدأ الخلق ونشأة الكون ، كما صوروا اساطير الهند ، فقد سجل البيروني المتوفى في القرن الحادى عشر الميلادى هذه الاساطير ، وفصل الحديث فيها بكتابه : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل او مردولة » ومما ذكره في هذا الكتاب أن اهل الهند يزعمون أن تحت الارض السفلى حية ذات ألف رأس ، تحمل الارضين من غير أن يتودها ( يتعبها ) ثقلها ، وتستدير السماء على القطب كدوارة الخزف ، ويدور القطب حول نفسه ، وتحرك الرياح الكواكب من حوله ، وهى مربوطة به برباطات لا يراها الناس . وتحت القطب « جبل ميو » الذى يعلو وجه الارض علوا مفرطا ، وتدور الكواكب حول سفحه ، وهى مسكن الملائكة ، وفيه انهار عذبة ومساكن ذهبية وجبال لا تحصى ، منها جبال مملوءة بالجواهر ، ورأس هذه الجبال « جبل قاف » الذى تدور الشمس منه نحو جبل ميو . ويقول البيروني انهم يزعمون أن فى الارض اجناسا كثيرة غير جنس البشر ، فمن ذلك جنس لونه لون الذهب ، يعيش طويلا ، ولا يمرض مدى حياته ، ولا يرتكب وزرا ولا يتحاسد ، وغذاؤه ما يعصره من ثمار النخيل ، وجنس لونه لون الفضة يعمر أحد عشر ألف سنة ،

لا يلتجئ ، وطعامه قصب السكر . وفي الارض جبال لاتحصى ،  
منها جبال تسكنها الشياطين ، وجبال من جواهر كريمة او من  
ذهب . ويزعمون ان نهر الكنج المقدس كان يجرى فى القديم  
على ارض الجنة ، ثم هبط الى الارض وانقسم الى سبع  
شعب ، وعليه وعلى شعبه قرى للاطهار القديسين واخرى  
لاناس وجوهم كأوجه الدواب او شفاهم منقلبة كأذانهم  
او آذانهم على اكتافهم ... الى جم من هذه الاساطير

واذا كان البيرونى قد وضع تحت اعيننا أساطير الهند  
وخاصة ما اتصل منها بالبراهمة فان غيره من جغرافى العرب  
ومؤرخيهم ورحالهم قد جمعوا عن الامم والشعوب التى  
وصفوها أو زاروها كل ما سمعوه عنها من أساطير وخرافات  
وعجائب وهى تظالعا فى كثير من المصنفات ، سواء عن عالم  
الانس أو عالم الجن أو عالم الملائكة أو عالم الطير والحيوان أو  
عالم الكواكب والافلاك

ولنضرب بعض الامثلة، فنحن نقرا فيما نقرا ان كثيرا من  
الكواكب كانت ملائكة عصت ربها فى السماء فاهبطها الى الارض  
فى صورة اناسى ثم عرج بها ثانية فمسخها شهابا . ويقال ان  
كوكب الزهرة كان بغيا صعدت الى السماء عن طريق معرفتها  
باسم الله الاعظم فمسخت كوكبا ، وكذلك كان نجم سهيل  
عشارا ، يجمع الاتاوات باليمن ، فجعله الله شهابا فى السماء .  
ويزعمون ان ام ذى القرنين كانت آدمية ، اما أبوه فكان من  
الملائكة . وكذلك جرهم تولد بين انسية وملك من الملائكة .  
وزعم بعض الزاعمين أن الفأرة كانت طحانة ومسخت وان  
الكلاب أمة من الجن مسخت فى هذه الصورة ، وان الحية كانت  
فى صورة جمل ، فعاقبها الله حين احتملت دخول ابليس فى



جوفها حتى وسوس الى آدم من فمها ، فعوقبت  
بقطع ارجلها والمشي على بطنها وشق لسانها .  
وقالوا ان السنور ( الهر ) خلق من عضة الاسد ،  
وان الضب خاصم الضفدع فاخذ منها ذنبها . وزعموا أن الجن  
تتوالد مع الانسان ، واكثروا من توليد الحكايات عن جن سليمان  
وقمامة وخاتمة ، وعن الشياطين واغوائها للعباد وتمثيلها لهم  
فى هيئة البشر ، وقالوا أن طيرا تخطف بعض الغيلة وان فى  
النيل خيولا تأكل التماسيح !

ومدار كل هذا التهريف أن من الناس من يبلغ من حبه  
للفرائب والمعجائب أن يجعلوا آذانهم هدفا للأساطير والخرافات  
فيدخلون الغث فى السمين ، والممكن فى الممتنع ، والاسطورة فى  
الحقيقة . وربما كان أقدم من صنع ذلك بين أصحاب الرحلات  
سلاما الترجمان ، الذى أرسله الخليفة الواثق ( ٢٢٧-٢٣٢ هـ )  
فى بعثة الى بلاد الخزر ، ليشاهد السد الذى بناه الاسكندر  
ذو القرنين فى ديار يأجوج ومأجوج ، وتبعه الرحالتان اللذان  
مضى ذكرهما فى عالم البحر ، وهما سليمان البصرى وابن وهب  
القرشى ، يصفان شياحتهما فى بحر الهند وعلى شواطئه فى  
الصين وغير الصين ، فنسجا فى وصفهما كثيرا من خيوط الخيال  
والخرافة ، وصنع صنيعهما ابن فضلان الذى أرسله المقتدر  
الخليفة العباسى سنة ( ٣٠٩ هـ ) مع وفد الى ملك البلغار «التار»  
على نهر الفولجا حين طلب اليه هذا الملك أن يرسل اليه من  
يفقه فى الدين هو وقومه . وعاد ابن فضلان فوصف البلاد  
الواقعة على بحر قزوين وما وراءه وصفا يعتمد على الخرافة فى  
كثير من جوانبه

وتبدأ فى القرن الرابع الهجرى أو العاشر الميلادى ، سلسلة

كتب العجائب ، اذ يصف أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي  
بلاد ايران وآسيا الوسطى والصين والهند وصفا مسهباً  
تتداخل فيه الاسطورة . وفي نفس القرن يكتب بزرك بن شهریار  
كتابه : « عجائب الهند » . وتتوالى كتب هواة  
العجائب ومن يكلفون بالفرائب ، وهم تارة يسردونها  
سرّاً ، وتارة يقصونها قصصاً ممتعة . وقد فتح المؤرخون  
فصولاً واسعة للملوك الاسطوريين ، وخاصة الاسكندر ذا  
القرنين وملوك الفرس الاولين ، على نحو ما نرى في كتاب :  
« غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » للشعالي ، وسنسوق  
اطرافاً من حكاياته واقاصيصه



## بين الحقيقة والخيال

### سد ياجوج وماجوج

قال سلام الترجمان ان الخليفة العباسي الواثق بالله رأى في المنام أن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين ياجوج وماجوج مفتوح ، فأرعبه هذا المنام ، فأحضرني ، وأمرني بقصده والنظر اليه ، والرجوع اليه بالخبر ، وضم خمسين رجلا ، وأعطاني عشرة آلاف درهم ، ومائتي بغل تحمل الزاد والماء . فخرجنا من سرمن رأى ( بالقرب من بغداد ) بكتاب منه الى اسحق بن اسماعيل حاكم أرمينية ، بأمره فيه بانفاذنا وقضاء حوائجنا ، ومكاتبة الملوك الذين في طريقنا ليساعدونا ، فلما وصلنا اليه كتب الى صاحب السرير ، وكتب لنا صاحب السرير الى ملك اللان ، وكتب لنا ملك اللان الى فيلان شاه ، وكتب فيلان شاه الى ملك الخزر . فوجه ملك الخزر معنا خمسة من الادلاء ، فسرنا ستة وعشرين يوما فوصلنا الى ارض سوداء كريهة الرائحة ، وكنا قد حملنا معنا خلا لدفع غائلة رائحتها باشارة الادلاء ، فسرنا في تلك الارض عشرة أيام ، ثم صرنا الى مدن خراب ، فسرنا فيها سبعة وعشرين يوما ، فسالنا الادلاء عن سبب خراب تلك المدن ، فقالوا خربها ياجوج وماجوج ، ثم صرنا الى حصن قريب من الجبل الذي يوجد السد في بعض شعابه ، ومنه جزنا الى حصن آخر وبلاد ومدن فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ، وهم

مسلمون يقرءون القرآن ، ولهم مساجد وكتاتيب ، فسألونا .  
من اين اقبلتم ؟ واين تريدون ؟ فأخبرناهم انا رسل الخليفة ،  
فاقبلوا يتعجبون من قولنا ، ويقولون : الخليفة ؟ فنقول : نعم ،  
فقالوا : اهو شيخ ام شاب ؟ قلنا : شاب ، قالوا : واين يكون ؟  
قلنا : بالعراق في مدينة يقال لها سر من رأى ، فقالوا : ماسمعنا  
بهذا قط

ثم ساروا معنا الى جبل أملس ، ليس عليه من النبات شيء ،  
واذا هو مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا ، واذا  
عضادتان ( جانباب ) مبيتان مما يلي الجبل من جنبى  
الوادى ، عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا ، الظاهر من  
سمكها عشرة أذرع خارج الباب وكله مبنى بحديد ، غيب في  
نحاس ، في سمك خمسين ذراعا ، واذا باب حديد طرفاه في  
العضادتين ، طوله مائة وعشرون ذراعا ، وفوقه بناء بالحديد  
والنحاس الى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر . وفوق ذلك  
شرفات حديد ، في طرف كل شرفة قرنان ينثنى كل قرن الى  
صاحبه ، واذا مصراعا باب حديد مقلقان ، عرض كل مصراع  
ستون ذراعا في ارتفاع سبعين ذراعا في سمك خمسة أذرع .  
وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع ، وارتفاع القفل  
من الارض خمسة وعشرون ذراعا . وبه مفتاح معلق طوله  
سبعة أذرع ، وهو في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة  
اربعة اشبار ، والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق ،  
وارتفاع عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع

ورئيس تلك الحصون يركب في كل يوم جمعة في عشرة  
فوارس ، مع كل فارس مرزبة حديد ، فيجيئون الى الباب ،  
ويضرب كل واحد منهم القفل والباب ضربات كثيرة ، لسمع

من وراء الباب ذلك ، فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم الرئيس  
وأصحابه ان يأجوج ومأجوج لم يحدثوا في الباب حدثا . وإذا  
ضربوا الباب وضعوا آذانهم ، فيسمعون من وراء الباب دوبا  
عظيما

وبالقرب من الباب حصن كبير ، يكون فرسخا في مثله ، يقال  
انه يأوى اليه الصانع زمان العمل ، ومع الباب حصنان كل  
واحد منهما مائتا ذراع في مثلها . وعلى بابي هذين الحصنين  
شجر كبير لا يدرى ماهو ، وبين الحصنين عين عذبة ، وفي  
أحدهما آلة البناء التي بنى بها السد ، من القدور والحديد  
والمغارف . وهناك بقية من قطع الحديد قد التصق بعضها ببعض  
من الصدا ، والقطعة ذراع ونصف في سمك شبر .

وسألنا من هناك من اهل هذه البلاد : هل رأوا أحدا من  
يأجوج ومأجوج ، فذكروا انهم رأوا منهم مرة عسدا فوق  
الشرفات ، فهبت ريح سوداء ، فآلقتهم الى جانبنا ، فكان  
مقدار الواحد منهم في رأى العين شبرا ونصف شبر . وهممنا  
بالانصراف ، فأخذ بنا الادلاء نحو خراسان ، فسرنا حتى خرجنا  
خلف سمرقند ، وأخذنا طريق العراق حتى وصلنا . وكان بين  
خروجنا من سر من رأى الى رجوعنا اليها ثمانية عشر شهرا

قال ياقوت الحموى بعد روايته لهذا الخبر : الله اعلم بصحة  
ذلك ، وعلى كل حال فليس في صحة أمر السد ريب . ونقول  
ان الريب في الخبر وما ذكره سلام لا في السد ، فقد جاء ذكره  
في الكتاب العزيز

## فى الصين

أقدم من تحدثوا عن الصين من رحالة العرب التاجر سليمان البصرى ، الذى ركب البحر اليها فى سنة (٢٣٧هـ) وتجول فى ربوعها ، ونرى سليمان يصف الصين وبعض مدنها ومنتجاتها وعقائدها ، وسنقف عند بعض أخباره العجيبة ، فمن ذلك ما حكاه من أنه :

«فى كل مدينة شىء يدعى «الدرا» وهو جرس على رأس حاكم تلك المدينة مربوط بخيط ممدود على ظهر الطريق للعامة كافة ، وبينه وبين الحاكم أو الملك نحو من فرسخ ، فإذا حرك الخيط الممدود أدنى حركة تحرك الجرس ، فمن كانت له ظلامة حرك هذا الخيط ، فيتحرك الجرس منه على رأس الحاكم أو الملك ، فيؤذن له بالدخول حتى ينهى حاله بنفسه ، ويشرح ظلامته ، وجميع البلاد فيها مثل ذلك . ولهم حجر منصوب ، طوله عشر أذرع ، مكتوب فيه نقشا ذكر الأدوية والأمراض ، مرض كذا دواؤه كذا ، وإذا كان الرجل فقيرا أعطى ثمن الدواء من بيت المال . وأهل الصين أهل ملاء ، وكل من قتل بالسيف عندهم أكلوا لحمه ! وبيوتهم من الخشب ، ويتزوج الرجل منهم ماشاء من النساء ، ويزعمون أن الأصنام تكلمهم وإنما يكلمهم عبادها ، وهم يؤمنون بالتناسخ ، وهم من أحذق خلق الله كفا بالنقش والصناعة ،

وثبع سليمان في الرحلة الى الصين ابن وهب القرشي ،  
 الذي زارها في سنة ( ٢٥٦ هـ ) ، وهو يقص علينا أن همته  
 نزعته به بعد نزوله بخانفو ( كانتون ) الى زيارة ملك الصين  
 في عاصمته « حمدان » وهي تبعد عن خانفو نحو شهرين ، ويقول  
 انه أقام بباب الملك مدة طويلة ، يرفع اليه الرقاع ، ويذكر أنه  
 من أهل بيت نبوة العرب . وأمر الملك بعد مدة بانزاله في بعض  
 المساكن ، وكتب الى واليه بخانفو يأمره بالبحث عن حقيقة الرجل  
 وما يدعيه من قرابة نبي العرب ، وسؤال التجار عن ذلك . فكتب  
 الوالى بصحة نسبة وصدق قوله ، فأذن له في حضور مجلسه ،  
 ولما مثل بين يديه سأله : أتعرف صاحبك يعنى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ، فقال له ابن وهب : وكيف لى برؤيته وقد  
 توفاه الله من زمن بعيد ؟ . فقال الملك : لم ارد هذا ، انما اردت  
 صورته . وأمر باحضار سفظ ( سلة ) فوضع بين يديه ،  
 فتناول منه درجا ( كتابا كبيرا ) وقال للترجمان : أره صاحبه  
 قال ابن وهب : فرأيت في الدرج صور الانبياء . . .  
 منهم من قد اشار بيده اليمنى وجمع بين الإبهام والسبابة ،  
 كأنه يومئذ في اشارته الى الحق ، ومنهم قائم على رجلية مشير  
 بأصابعه الى السماء وغير ذلك . ثم سأله الملك لم عدلت عن ملكك  
 وهو اقرب اليك منا دارا ونسبا . فقال ابن وهب : ما بلغنى من جلال  
 ملك الصين وكثرة الخير به ، فأحببت الوقوع الى تلك الناحية  
 ومشاهدتها . فسرر ذلك وأمر له بجائزة سنية وبحملة على  
 بغال البريد الى مدينة خانفو ، وكتب الى واليهما باكرامه . فكان  
 في أخصب عيش وانعمه الى أن خرج من بلاد الصين  
 ويروى ابن وهب أن رجلا وفد على خانفو من سمرقند ،

يقطع اليها البلاد بلدا بلدا ، وهو يحمل على ظهره مسكا في رق ،  
 ليبيعه في مجمع التجار القاصدين الى هذا البلد ، ويقول ابن  
 وهب ان أجود المسك ما جلب من بلاد التبت ، حيث تحكه  
 الأطباء على أحجار الجبال ، اذ هو مادة تتجمع في سرّة الظبي ،  
 وتتضام دما سائلا ، كاجتماع الدم فيما يعرض من الدما مل ،  
 فاذا نضج حكه واضجره الحك ، فيفزع الى الحجارة حتى  
 يخرقه ، فيسيل ما فيه ، فاذا خرج من مكانه جف واندمل  
 وعادت المادة تتجمع فيه من جديد . ويخرج أهل التبت لجمعه  
 والتقاطه وايداعه في التوافج وحمله الى ملوكهم . ويقول ابن  
 وهب ان طباء هذا المسك تشبه الأطباء في بلادنا ، الا أن لها نايتين  
 دقيقين ابيضين في الفكين طول كل واحد منهما مقدار فتر ودونه  
 على هيئة ناب الفيل



وزار الصين بعد هذين الرحلتين أبو دلف مسعر بن مهلهل  
 حول سنة ( ٣٣١ هـ ) مع بعثة أرسلها الأمير نصر بن  
 أحمد الساماني ، الى ملك الصين ، ليخطب منه ابنته لابنه .  
 وقد عنى أبو دلف بذكر عجائب البلدان والاقوام الذين مر بهم ،  
 وفي مادة الصين بمعجم البلدان لياقوت ملخص لما ذكره من  
 هذه العجائب ، فمن ذلك :

انهم مروا بقبيلة تعرف بالكيماك ، بيوتهم من  
 جلود ياكلون لحوم ذكران الضأن والماعز ، ولا يرون ذبح الاناث  
 منها ، وعندهم عنب نصف الحبة ابيض ونصفها اسود ،  
 وعندهم حجارة هي مغناطيس المطر ، يستمطرون بها متى  
 شاءوا ! ولهم معادن ذهب في سهل من الارض يجدونه قطعاً ،



وعندهم ماس يكشف عنه السيل ونبات حلو الطعم ينوم ويخدر ، ومن تجاوز منهم ثمانين سنة عبده . ومروا بقبيلة تعرف بالتغزغز لهم عند ظهور قوس قزح عيد ، وصلاتهم الى مغرب الشمس وخرجوا منها الى قبيلة الخرخير ، وهم يصلون الى الجنوب ويعظمون زحل والزهرة ، وعندهم حجارة تضيء بالليل يستغنون بها عن المصباح

وما يزال ابو دلف يتحدث عن القبائل التي يمرون بها حتى يصلوا الى سندابل حاضرة ملك الصين ، فيقول : هي مدينة عظيمة ، يبلغ السر حولها يوما ، ولها ستون شارعا ينفذ كل شارع منها الى دار الملك ، وسرنا الى باب من ابوابها ، فوجدنا ارتفاع سورها تسعين ذراعا وكذلك عرضه ، وعلى رأسه نهر عظيم يتفرق على ستين جزءا ، كل جزء منها ينزل على باب من الابواب ، تتلقاه رحي تصبه الى ما دونها ، ثم الى غيرها حتى يصب في الارض . ويخرج نصفه تحت السور فيسقى البساتين ، ويرجع نصفه الى المدينة ، فيسقى اهل ذلك الشارع الى دار الملك ، ثم يخرج في الشارع الآخر الى خارج البلد ، فكل شارع فيه نهران ، وكل خلاء فيه مجريان ، كل واحد فيهما يخالف صاحبه ، فالداخل يسقيهم والخارج يخرج بفضلاتهم . ولهم بيت عبادة عظيم ، ولهم سياسة واحكام متقنة ، وبيت عبادتهم اعظم من مسجد بيت المقدس ، وفيه تماثيل وتصاوير واصنام ، وهم لا يذبحون ولا ياكلون اللحوم اصلا ، ومن قتل شيئا من الحيوان قتل



ومما رواه القزويني من عجائب الصين ان باقصاها هيكلا مدورا ، له سبعة ابواب ، وفي داخله قبة عظيمة البنيان عالية

المسك ، وفي أعلاها جوهرة كراس العجل ، يضيء مهب  
جميع أقطار الهيكل ، ومن دنا منها قدر عشرة أذرع خر ميتا !  
وان تعرض احدلهم الهيكل مات ! وفي هذا الهيكل بشر واسعة ،  
من اكب عليها وقع في قعرها ، وعلى رأس البئر شبه طوق  
مكتوب عليه : هذه البئر مخزن الكتب التي هي تاريخ الدنيا  
وعلم السماء والارض وما كان فيها وما يكون ، ولا يصل اليها  
الا من وازن علمه علمنا . والارض التي عليها هذا الهيكل أرض  
حجرية عالية كجبل شامخ لا يرام قلعه ولا يتأتى نقيه . ومن  
عجائب الصين ان بها طاحونة يدور حجرها الاسفل والاعلى  
سابقن ، ويخرج من تحت الحجر دقيق لانخاله فيه ، ونخاله  
لادقيق فيها ، وكل واحد منهما منفرد عن الآخر . وبالصين  
قرية عندها غدير فيه ماء يجتمع اليه اهل القرية في كل سنة ،  
ويلقون فيه فرسا ، وكلما ارادت الخروج منعوها ، حتى  
يسقط عليهم المطر ، فاذا امطروا قدر كفايتهم وامتلأ الغدير  
اخرجوا الفرس وذبحوها فوق جبل وتركوها للطير ، فاذا لم  
يفعلوا ذلك في احدى السنين لم تمطرهم السماء . وعندهم  
دابة المسك ، وهي دابة تخرج من ماء البحر في كل سنة في  
وقت معلوم فيصطادون منها شيئا كثيرا ، وهي تشبه الظباء ،  
ويذبحونها ويأخذون الدم من سرتها ، وهو المسك ولا رائحة  
له هناك حتى يحمل الى غيرها من الاماكن !

وزار ابن بطوطة الصين وتحدث عن عجائبها واحكام أهلها  
للصناعات ، وخاصة التصوير ، ومن عجيب ما شاهده من ذلك  
كما يقول : انه ما دخل قط مدينة من مدنها ، ثم عاد اليها الا  
ورأى صورته وصور رفقاته منقوشة على الحيطان أو على  
الاوراق موضوعة في الاسواق . وقد لاحظ أنهم يجرون على  
المكفوفين وذوى العاهات نفقة وكسوة من أوقاف معابدهم

## فى بلاد الهند

عرف العرب الهند منذ فتحها محمد بن القاسم الثقفى ، فى أواخر القرن الاول للهجرة ، وقد اخذوا منذ هذا الفتح يختلطون بأهلها ، وينقلون عنهم عروض تجارتهم بحرا وبراً ، كما نقلوا عنهم كثيراً من حكمهم وكتبهم وأساطيرهم ومعتقداتهم . وبعض ما نقلوه عنهم من ذلك أخذه عن أسلموا منهم ، أو عن الفرس ، مثل كتاب كليلة ودمنة . وقد نقلوا عنهم فى الرياضيات والفلك والنجوم كثيراً ، كما عرفوا أطرافاً من تأملاتهم المتصلة بنزعاتهم الصوفية ، وكان لهذه التأملات أثرها فى التصوف الإسلامى ، وأيضاً فإنهم عرفوا كثيراً عن نساكهم من البراهمة وغيرهم ، وتغذيتهم لأنفسهم تطهيراً لها من الآثام ، وما اشتهر عندهم من حرقهم لأجسادهم أو اغراق أنفسهم فى نهر الكنج المقدس

واسترعى هذا الاحراق والاغراق نظر ابن وهب القرشى ، فتحدث عنه ، ولاحظ أن منشأ ذلك عندهم إيمانهم بالتناسخ ، وتمكنه من قلوبهم ، وزوال الشك عنهم فيه . يقول : وإذا أحرق الملك نفسه أو مات أحرق رجاله المقربون إليه أنفسهم بالنار ، حتى لا يبقى منهم عين ولا أثر ، ومنهم من إذا عزم على احراق نفسه أوقدت له النار ، حتى تصير كالعقيق حرارة والتهاباً ، ويدورون به فى أسواقهم ، وبين يديه الصنوج ، وعلى

رأسه اكليل من الريحان ، ويصبون عليه الزيت والنפט ،  
وقد يمشى بين الناس وهو يحترق حتى تأتى النار عليه ،  
ويصبح هشيمًا تذروه الرياح . ومنهم من يشق صدره قبل  
دخوله فى النار أو يشق بطنه ، وينزع قطعة من كبده ، استهانة  
بالموت وصبرا على الألم ، ومنهم من يفرق نفسه فى الكنج، كل  
ذلك ثقة منهم بالرجعة الى الحياة فى صورة اخرى

ويقول ابن وهب : للهند عباد وأهل علم بلاهوتهم يعرفون  
بالبراهمة ولهم شعراء يغشون الملوك ، ومنجمون وفلاسفة  
وكهان وسحرة ، يظهرون ضروبا غريبة من السحر والتخايل .  
ومن البراهمة قوم عراة قد غطت شعورهم ابدانهم ، واظفارهم  
مستطيلة كالحراب ، وهم يسيحون فى الهند ، وفى عشق كل  
رجل منهم خيط فيه جمجمة من جماجم البشر ، فاذا اشتد  
بواحد منهم الجوع وقف بباب بعض الهندود ، فاذا راوه اسرعوا  
اليه بالارز المطبوخ ، مستبشرين به ، فيأكل فى تلك الجمجمة ،  
واذا شبع انصرف ، ولا يعود الى طلب الطعام . وينهى ابن  
وهب حديثه بأن للهند شرائع يتقربون بها - كما زعموا - الى  
خالقهم . جل الله وعز عما يقولون ، وتعالى علوا كبيرا . ولهم  
هياكل كبيرة ، واصنام عظيمة يعبدونها ، ويقوم عليها سدنة ،  
ومن اصنامهم ما يقصدونه من مسيرة اشهر كثيرة



وتحدث أبو دلف مسعر بن مهلل عن عجائب الهند وما  
بها من هياكل لعبادتهم ، وقال انهم لا يذبحون الحيوان ، ولا  
ياكلون السمك ولا البيض ، وهم من عبدة الكواكب ، ولهم  
حساب محكم ، ومعرفة بالنجوم كاملة ، وتعمل الاوهام فى  
طباعهم ، فمن ذلك ما يحكون من أن بعض ملوكهم بعث الى أحد

الإكاسرة ( ملوك الفرس ) هدايا فيها صندوقان مقلدان ، فلما فتحوهما وجدوا في كل صندوق رجلا ، فسألوهما عن شأنهما ، فقالا : « نحن اذا أردنا شيئا صرفنا همتنا اليه ، فيحدث » فاستنكر كسرى ذلك واستبعده ، فقالا : « جريءا في عدو لك لا تستطيع قهره بالحرب ، فانا اذا صرفنا همتنا اليه مات » فقال كسرى لهما : اصرفا همتكما الى موتكما ، قالا : « أغلقوا علينا صندوقينا » فأغلقوهما ، ثم كشفوا عنهما ، فوجدوهما ميتين

ونزل مسعر في مدينة « الملتان » ( في الجزء الغربي من البنجاب ) وهي بيت حجهم ، ودار عبادتهم ، وبها صنمهم الأكبر الذي كانوا يحجون اليه ، ويقدمون له ولسدنته القرايين والتذور ، وهو مبنى في هيكل كبير ، وعليه قبة سمكها في الهواء ثلثمائة ذراع ، اما طوله فعشرون ذراعا ، وصورته انسان جالس متربع على كرسى ، وعيناه جوهرتان ، وعلى راسه اكليل من الذهب ، وقد مد ذراعيه على ركبتيه ، وجعلت اصابعه كالتقايبض على اربعة في الحساب ، وهو معلق في جوف القبة ، لا تمسكه قائمة من اسفله ولا علاقة من اعلاه ، وهو ثابت في مكانه بتأثير مغناطيس يجذبه . وزعم مسعر انه رأى في السند هيكلا من ذهب ، في صحراء قدرها اربعة فراسخ ، والثلج لا يقع عليه بينما يقع على ما حوله !



واكبر من تحدثوا عن الهند واعظمهم شانا ابو الريحان البيروني المتوفى سنة ( ٤٤٠ هـ ) فقد مكث في الهند اربعين سنة درس فيها لغتهم السنسكريتية وثقافتهم ومعارفهم في الميثولوجيا وفي الفلك والتنجيم ، ودون دراسته

في كتابه : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل او مرذولة » . وكان فيلسوفا ناقدا بصيرا ، فاحاط بكتبهم المقدسة ، وجملة اساطيرهم وعلومهم ومعارفهم ، وصور ذلك في كتابه تصويرا دقيقا

ونحن لانكاد نقرا في هذا الكتاب ، حتى نرانا ندخل في عبادة او ديانة وثنية معقدة ، تكثر فيها الآلهة وتكثر الارواح وتنبت في قوى الطبيعة ، فاذا كل قوة لها الهها الذي يرمز اليها ، من مثل اندر ويرمز الى العاصفة ، وهو رئيس الملائكة ، ومثل سومى وهو يرمز لنبات مقدس يسكر عصيره الآلهة والناس جميعا ، ومثل أجنى رمز النار ، وبراهما هو كبير آلهتهم . وكانوا يعتقدون ان الكون يمتلئ بالارواح من حولهم ، ومنها الخيرة والشريرة ، وهى ارواح الشياطين ، ولا ينجى الانسان منها الا مهارته في السحر ومعرفته بالرقى والتعاوىذ ، ولذلك كان للسحر عندهم شأن عظيم . ومن مزاعمهم في نشأة العالم ان الهيا عظيمما شعر بالوحدة ، فانشق نصفين ، نشأ منهما كل الخلق ، اذ انقسم الى زوج وزوجة ، مازالت تختفى منه في صور الكائنات ، وهو يتمثل لها ذكرا سويا في كل صورة تتحول اليها ، فاذا تحولت بقرة تحول ثورا واذا تحولت فرسا تحول حصانا ، واذا تحولت اناثا تحول حمارا ، واذا تحولت نعجة تحول كبشا ، وهكذا خلقت الكائنات زوجين زوجين ، وهى جميعا ترجع الى خالق واحد ، اذ ليست أكثر من صور مختلفة له . وواضح ماتحملة هذه الاسطورة من فكرة وحدة الوجود ، وتناسخ الارواح ، في صور مختلفة . ويحكى البيرونى من مزاعمهم : ان براهما الاكبر رأى شرارة تحت الارض ، فأخرجها وجعلها اثلاثا ، الاول النار المعهودة التى توقد بالحطب ويطفئها الماء ،

والثانى الشمس ، والثالث البرق . وعندهم أن العالم ينقسم الى علو وسفل ، وفي العالم العلوى الجنة ، وفي العالم السفلى مجمع الحيات وهو جهنم ، وفي العالم الاوسط الناس ، وهم يثابون بالصعود الى العالم الاعلى ، ويعاقبون بالهبوط الى العالم الاسفل ، كل حسب عمله ، وفي اعتقادهم ان النفس ترتبط بالعالم عن طريق وثاق جسدها ، ولذلك يتهاونون بالبدن ويحاولون فراقه بالحرق او الفرق . واجناس الخلائق عندهم ثلاثة : الروحانيون فى الاعلى ، والبشر فى الوسط ، وفي الاسفل الحيوانات ، اما انواع الخلائق فاربعة عشر ، منها للروحانيين ثمانية هى براهيم وندر وسوما النخ . وللحيوانات خمسة : بهائم ووحش وطيور وزحافة ونباتة ، وهى الاشجار ، اما البشر فنوع واحد ، ومع كل هؤلاء الابالسة والشياطين . ويتقدم النساك وسدنة النار عندهم على الاطباء والمنجمين واصحاب العلوم . ويوغل البيرونى فى بحث شرائعهم وعبادتهم للاصنام ، حاكيا لاساطيرهم فى ذلك كله ، ومن طريف ماقصه عن مبدء عبادتهم للاصنام والتماثيل هذه الاسطورة :

« كان فيما مضى من الازمنة ملك يسمى أنبرش ، نال من الملك منه فرغب عنه ، وزهد فى الدنيا ، وتخلّى للعبادة والتسبيح زمانا طويلا ، حتى تجلّى له الهة فى صورة «اندر» رئيس الملائكة ، راكبا فيلا ، وقال له : سل مابدا لك لاعطيك اياه ، فأجابته : بأنى سررت لرؤيتك ، واشكر ما بذلتـه من الاسعاف ، لكنى لست أطلب منك شيئا ، انما أطلب ممن خلقك قال اندر : ان الغرض من العبادة حسن المكافأة عليها ، فحصل الغرض ممن وجدته منه ، ولا تقل : انى لا أريد منك بل من غيرك . قال الملك : أما الدنيا فقد حصلت لى ، وقد رغبت عن

جميع ما فيها ، وإنما مقصودى من العبادة رؤية الرب ، وليست اليك ، فكيف أطلب حاجتى منك ؟ قال أندرو : كل العالم ومن فيه فى طاعتي فمن أنت حتى تخالفنى ؟ • قال الملك : أنا كذلك سامع مطيع إلا انى أعبد من وجدت أنت هذه القوة من لدنه ، وهورب الكل الذى حرسك من الغوائل ، فخلنى وما أثرته ، وارجع عنى بسلام . قال أندرو : فإذا ابست إلا مخالفتى فانى قاتلك ومهلك قال الملك : قد قيل : ان الخير محسود والشر له ضد ، ومن تخلى عن الدنيا حسدته الملائكة ، فلم يخل من اضلالهم اياه ، وأنا من جملة من أعرض عن الدنيا ، وأقبل على العبادة ، ولست بتاركها مادمت حيا ، ولا أعرف لنفسى ذنبا أستحق به منك قتلا فان كنت فاعله بلا جرم متى فشأنك وما تريد • على أن نيتى ان أنا خلصت لله ولم يشب يقينى شوب لم تقدر على الاضرار بى وكفانى الآن ما شغلتنى به عن العبادة وانى راجع اليها • ولما أخذ فيها تجلى له الرب فى صورة انسان ، على لون النيلوفر الاكهب ( الاسود ) ، بلباس اصفر ، راكبا الطائر المسمى جرد ، فى احدى يديه الاربعة الحلزون الذى ينفخ فيه على ظهور الفيلة ، وفى الثانية سلاح مستدير حاد ، وفى الثالثة حرز ، وفى الرابعة نيلوفر احمر • فلما رآه الملك اقيشعر جلده من الهيبة وسجد وسبح كثيرا ، فأنس وحشته وبشره بالظفر بمرامه ، فقال الملك : كنت نلت ملكا لم ينازعنى فيه أحد وحالة لم ينقصها على حزن أو مرض فكأننى نلت الدنيا بعذافيرها ، ثم أعرضت عنها لما تحققت أن خيرها فى العاقبة شر عند التحقيق ، ولم أتمن غير ما نلته الآن ، ولست أريد بعده غير التخلص من هذا الرباط . قال الرب : هو بالتخلى عن الدنيا بالوحدة والاعتصام بالفكرة وقبض الحواس اليك • قال الملك : هب انى قدرت



على ذلك بسبب ما أهلت له من الكرامة فكيف يقدر عليه غيرى ،  
ولابد للإنسان من مطعم وملبوس ، وهما واصلان بينه وبين  
الدنيا فهل من طريق غير ذلك ؟ . قال الرب له : استعمل  
بملكك وبالدنيا الوجه الاجود والاحسن ، واصرف النية الى  
فيما عمله من تعمير الدنيا وحماية أهلها ، وفيما تتصدق به  
وفى كل الحركات ، فان غلبك نسيان الانسية ، فاتخذ تمثالا  
كما رأيتنى عليه ، وتقرّب بالطيب والازهار اليه ، واجعله  
تذكارا لى لئلا تنساني ، حتى ان فكرت فبذكرى ، وان حدثت  
فباسمى ، وان فعلت فمن أجلى . قال الملك : ثم غاب الشخص  
عن عينه ، فرجع الى مقره وفعل ما أمره به . قالوا فمن حينئذ  
تعمل الاصنام ، بعضها ذوات أربع أيد كما وصفنا ، وبعضها  
ذوات يدين . وأخبروا ايضا انه كان لرأس البراهمة  
ابن لم تكن له همة غير رؤية الرب ، وكان يمسك عصا معه  
ويلقيها فتصير حية ، ويعمل بها العجائب ، وكانت لا تفارقه  
وبينما هو فى فكره يتأمل يوما اذ رأى نورا من بعيد ، فقصده  
ونودى منه : ان ما تسأله وتتمناه ممتنع الكون ، فليس يمكنك  
أن ترانى الا هكذا ، ونظر فاذا شخص نورانى على مثال أشخاص  
الناس . ومن حينئذ وضعت الاصنام والصور . ومن أصنامهم  
المشهورة صنم مولتان باسم الشمس ، وفى عينيه ياقوتتان  
حمران ، ويقولون انه أقيم منذ مائتين وستة عشر ألف  
سنة .

ويفيض البيرونى فى ذكر اصنامهم وهياتها ، وكيف  
يصنعونها ، ويتحدث بالتفصيل عن كتبهم الدينية وسائر  
علومهم وشعرهم وعروضه وحسابهم وأعداده التى وضعها  
رأس البراهمة وكان مترمها ، عقد مجمعا من الحكماء سن شرائعهم

وهو الذى وضع نظرية أدوار حياة العالم ، كانوا يزعمون أنه قال : « ان عمر العالم اثنا عشر ألف دور مقدار كل دور ست وثلاثون ألف سنة »

وعرض البيرونى لسحر أهل الهند الذى اشتبهوا به وتخاييلهم بوجه من وجوه التعمية ، وقال ان اصحاب هذه الصناعة مجتهدون فى اخفائها ، ومنقبضون عن ليس من أهلها ، وهى صناعة تقوم على معاجين وتراكيب أدوية ، اكثرها من النبات وأصوله ، ويزعم أهلها أنهم يستطيعون أن يعيدوا الصحة الى المرضى والشباب الى الشيب والشيخوخة . ومن أساطيرهم التى يروونها فى هذا الباب ، أنه كان فى مدينة « أوجين » رجل يسمى « بيارى » صرف الى هذا الفن همه ، وأبنى فيه عمره وما ملكه ، ولم يفده كل ذلك ما يسهل عليه مقصده فجلس على شط نهر متحسرا مفتحا ضجرا ، ويده الدرج الذى كان يأخذ منه نسخ الادوية ، فجعل يطرح فى الماء منه ورقة بعد ورقة . واتفق أن كان على شط ذلك النهر فى أسفله امرأة بغى ، فمرت الاوراق عليها فجمعتها واطلعت منها على صناعته بالسحر وهو لا يراها ، وما زال حتى فنيت الاوراق ، فأتته سائلة عن سبب فعله بكتابه ، فأجابها : لانى لم أنتفع به ، ولم أصل الى شىء من أربى ، وأفلست بسببه بعد الاموال الكثيرة ، وشقيت بعد الامل الطويل فى نيل السعادة . قالت المرأة : لا تعرض عما أفنيت فيه عمرك ، ولا تيأس من وجود شىء قد أثبتته الصناع قبلك . فربما كان العائل بينك وبين الوصول الى حقيقته امرا تافها ، ولى اموال كثيرة وكلها لك مبذولة لتنفقها على مطلوبك . فعاد الرجل الى عمله ، وكان يجد فيه صعوبة لان كتب هذا الفن مرموزة ، فكان يقع له

غلط من جهة اللغة في الدهن أو في دم الانسان ، فيخلف الدواء ولا ينجح ، وفي يوم أخذ في طبخ الادوية ، وأصاب النار رأسه ويبست دماغه ، فادهن بدهن كثير صبه على هامته ، وقام من عند المستوقد لشغل . فوافق سمته رأسه من السقف وتد ناتئ ، فشججه وأدهاه ، وعاد مطرقا للالم الذي عمراه ، وتقطر من يافوخه الى وعاء الادوية قطرات دم ممزوجة بالدهن ، وهو لا يفتن لذلك ، الى أن تم مزج الادوية ، فطلى بها نفسه للامتحان وصنعت صنيعه المرأة ، فطارا في الهواء ! وعمل في ذلك الفن كتباً مشهورة ، وهو معها الى الآن حتى لم يمت . هكذا يزعمون ! »

قال البيروني : ومن مشابه هذه الاسطورة أن في مدينة « دهار » على باب الوالي في دار الامارة ، قطعة فضية مربعة مستطيلة فيها تخايل أعضاء انسان ، وقد ذكروا في أمرها :

« أن رجلا في مواضي الازمنة اشتهر بأدوية ، من عماهسا بقى حيا لا يموت ، مظفرا لا يغلب ، قادرا على ما يروم ويطلب فسمع به ملكه ، فأحضره وأمر بإحضار جميع ما طلبه ، وأخذ الرجل في اغلاء دهن أيا ما ، ثم قال للملك : ارم بنفسك فيه حتى أتم لك الامر ، فهال الملك ما رأى ، وخاف من التفرير بنفسه . فلما أحس الرجل خوفه وفزع قال له : « إن كنت لا تجترى على ذلك ولا تريد لنفسك فهل ترضاه لي حتى أفعله بنفسى ؟ » قال الملك : « ذلك اليك » فأخرج الرجل صرد أدوية ، وعرفه بعلامات تظهر منه ، ليلقى عليه عند ظهور كل واحدة منها صرة معينة . وقام الرجل الى الدهن وتردى فيه ، فتفسخ وصهر جلده وجسده ، وأخذ الملك يفعل ما

مثله له الى أن قرب التمام ، وبقيت صرة ، فاشفق الملك منه على ملكه ، اذا انبعث كما ذكر . فتوقف عن القاء الصرة ، وبرد القدر والرجل مجتمع فيه . فأخرج بما عليه ، وهو تلك القطعة من الفضة ! ،

ولهم فى التعاويذ والرقى اعتقاد بالغ ، وأكثرها ينصرف الى الملدوغ ، قال البيرونى : « ويبلغ من افراطهم فى هذا الباب أنى سمعت بعضهم يزعم أنه رأى ملسوعا ميتا قام بالرقية وتكلم وأوصى ، ودل على الودائع والأشياء ، ولما استنشق رائحة الطعام خر ميتا هامدا ،

ومن خرافاتهم أن ملكا من ملوكهم ذهب الى جبل قاف هرما قد حناه الكبير ، وانصرف منه شابا معتدل القامة ممثلا بالقوة قد اتخذ السحاب مركبا . وعقب البيرونى على ذلك كله بقوله : « ولست أدري ماذا أقول فى هذه الخرافات » ومما رواه منها : « زعم بعض الهنود أنهم شاهدوا ظباء ذات أربعة أعين ، وأن فى بعض براريهم دابة ذات أربع قوائم ، وعلى ظهرها أربع قوائم اخرى ذاهبة الى اعلى ، ولها خرطوم صغير ، وقرنان عظيمان تضرب بهما الفيل فتقطعه نصفين ، وأنها ربما تطحت دابة ، ورفعتها الى ظهرها ، فوقعت بين قوائمها العليا فتمغنت وحينئذ تحك ظهرها فى الشجر حتى تموت وأنها ربما سمعت صوت الرعد فظنته حيوانا وقصدته ، ووثبت اليه . ومما يزعمونه أنه يوجد نحو الشرق جبال القردة : وفى كل يوم يخرج ملكها مع الجماعات منها ، ولهم مجالس مهينة ، ويحمل أهل تلك الارض للقرود الارز المطبوخ على أوراق ، فاذا طعمت رجعت الى الغياض ، وإن تغافلوا عنها كان فى ذلك هلاك الناحية لكثرتها وشدة صولتها . وفى رأيهم أنها أمة من

## الناس ممسوخة !

وللهند فى الافلاك والكواكب والنجوم اساطير كثيرة ،  
عرضها البيرونى ، ونضرب لها بعض الامثلة فمن ذلك ما  
كانوا يزعمونه عن نجم سهيل من أنه : « لما طلعت الشمس  
فى المبدأ ، وسامت جبل بند الشامخ فى مرورها انكر علوها  
وبعثته الكبرياء على التعرض لها ليمنعها عن مسيرها وقصدها ،  
ويحبس عجلتها عن المرور فوقه ، فارتفع حتى قرب من الجنة  
ومواطن الروحانيين ، فاسرعوا اليه لطيبه ونزهة بساينيه  
ورياضه واستوطنوه فرحين ، يتردد فيه نساؤهم ويلعب  
أولادهم حتى اذا هبت الريح على ثياب بناتهم الابيض تحركت  
كالرايات الخافقة ، ورؤيت السباع والاسود فى شعابه حالكة  
الالوان ، والقروء تعلو قمعه ، والزهاد فى غياضه مقتصرين  
على التغذى بشماره . ولما رأى سهيل ابن المـاء ذلك من  
فعل الجبل ، عرض عليه الصحة فيما قصده ، واقبل على  
البحر يبلع ماءه حتى غاض ، وبدت سفوح جبل بند ، فتشبثت  
دواب الماء به تخدشه حتى ثلثته بالحفر ، بوثقته أخايد ،  
احتفظت بالجواهر واللاتى فيها تزدان بها وبالاشجار  
والحيات . واعتاض البحر عن ذلك بحسن لمعان السمك فيه  
وظهور الجواهر فى قراره التى يتزين بها زينة السماء  
بالكواكب . وكل ذلك من فعل سهيل الذى يطهر الماء من  
الابوساخ الارضية . ومهما زادت الانهار ونقصت ، فانها تقدم  
ما على وجهها من انواع النيلوفر والوانه الى القمر وكذلك  
ما يسبح فيها من البط مثلما تقدم الفتاة الورود والتحف  
عند اقترانها . وما أشبه تردد البط الابيض فى الماء مصوتا  
بشفتي الحسناء قد افترتا عن أسنانها وهى تضحك ضحكك

الفرح ، بل ما أشبه النيلوفر الأبيض والأسود بسواد حدقتيها وما يحيط بهما من بياض . فإذا رايت الحياض قد أشرق عليها ضياء القمر ، وانفتح ما انضم من نيلوفرها الأبيض والأسود ظننتها وجه حسناء تنظر بعين دعجاء من مقلة بيضاء . وقد تسيل في الحياض الحيات والسوم والقاذورات ، ولكن طلوع سهيل عليها يطهرها من النجاسات والآفات . ومن أجل ذلك كانت خطرة ذكر سهيل على بال الإنسان ماحية لأنامه الموجبة لعقابه ، فانطلاق اللسان بمدحه أبلغ في حط الاوزار عنه واكتساب الثواب . ويجب أن يعرف وقت طلوعه ويقدم القربان اليه . وفي أول ظهوره يكون عسر الإدراك لا يهتدى له كل ناظر ، فينبغي أن يسأل المنجم عن سمت مطلعته ، وحينئذ قدم النذور له ، وافرش الأرض بما يتفق من الورود والرياحين ، والى عليها ما بدا لك من الذهب والثياب والجواهر البحرية ، وقدم البخور والزعفران والصندل والمسك والكافور مع ثور وبقرة وطعام كثير وحلوى . ومن فعل ذلك سبغ سنوات متوالية بنية صالحة واعتقاد قوى وثقة ملك الأرض والبحر المحيط بها من الجهات الأربع ! »

ولهم مع كل كوكب وكل جبل وكل شجرة كبيرة وكل ظاهرة في الطبيعة مثل هذه الاسطورة ، بل ما يزيد عنها خرافة وتهريفا ، فمن ذلك ما يزعمون من أنه : « كان في الزمن القديم ستة عشر جبلا تطير بأجنحة لها ، فأحرق أجنحتها شعاع «اندر» رئيس الملائكة ، فسقطت حول البحر المحيط ، في كل جهة منه أربعة . وفيما بين الثالث والرابع من جبالها التي سقطت في الشرق نار تشرب ماء البحر ، ولولا ذلك لامتلا وفاض بدوام انصباب الانهار فيه . وزعموا

أنها نار ملك قديم لهم يسمى « أورب » ورث الملك عن أبيه وقد قتل وهو جنين ، فلما ولد وترعرع وسمع خبر أبيه غضب على الملائكة ، وجرد سيفه لقتلهم ، بسبب إهمالهم حفظ العالم مع عبادة الناس لهم ، وتقربهم إليهم ، فتضرعوا إليه واستعطفوه حتى أمسك . فقال لهم : « ماذا أصنع بنار غضبي ؟ ، فأشاروا عليه بالقائها في البحر ، فهي التي تشرب مياهه . » ومن زاعمهم في منازل القمر أنها بنات تزوج بهن ، وأولع من يئنهن باحداهن وآثرها عليهن ، وحملت الغيرة أخواتها بل شكايته الى أبيهن ، فأغلظ عليه في التسوية بينهن ووعظه فلم ينجح فيه وعظه وحينئذ لعنه فأصاب وجهه البرص . وندم القمر على فعله ، فجاءه تائبا عن ذنبه ، فقال له الاب : « ان قولي واحد لارجوع فيه ، ولكني أستر فضيحتك في كل شهر مدة نصفه فلا تظهر للناس » . فقال القمر : « فالذنب السالف كيف ينمحي عنى أثره ؟ » قال : « أنصب مخدوما لك ، ونصب له مخدوما أو صاحبا ، وهو الذي يرمز اليه صنم « سومناة » وسوم هو القمر ، ونات صاحب ، فهو صاحب القمر ، وهو من أكبر اصنامهم . » وقد قلعه محمودالفرزوى في سنة ست عشرة واربعمائه وكسر أعلاه

وميثولوجيا الهند واسعة ومعقدة . وعلى هذا النحو يمضى البيرونى في تصويرها من جميع أطرافها ، وقد وقف طويلا عند رسوم البراهمة في دينهم وصدقاتهم ومجاهداتهم ، وما كانوا يبيعونه ويحرمونه من المطاعم ، كما وقف عند قرايبهم وكيف كانوا يقدمونها الى النار لتقدمها بدورها الى الآلهة ، وزعموا في سبب ذلك أنها خجلت في أول الزمان من آلهتهم فسقطت الى الارض السفلى ، وأقبل بعض الآلهة ، يبحث عنها

فدلته عليها الضفدع ، فدعت عليها أن تكون ناقصة الصياح  
وتوارت في شجرة فدلته البيغاء على مكانها ، فدعت عليها  
بانقلاب اللسان . وأخيرا عثرت الآلهة عليها فأصلحتها  
وقومتها ، وجعلتها واسطة بينهم وبين الناس ، تأخذ قربانهم  
منهم وتوصله اليهم

ويقص البيروني حجهم الى الاصنام المقدسة ، والانهار  
المعظمة ، وعلى رأسها نهر الكنج ، ويزعمون أنه من أنهار  
الجنة ، حملته الآلهة الى الارض ، وجميعهم يرون من حق  
الميت على الورثة أن يفسل ويعطر ويكفن ثم يحرق بما أمكن من  
صندل أو حطب ، وتحمل بعض عظامه المحترقة الى نهر الكنج  
يلقى بها في الجنة . ومن عجز عن الاحراقلقى الجثة في  
الماء الجارى . وتحرق الارملة التي تؤثر اتباع زوجها ،  
وكذلك يحرق كل من مل حياته أو تبرم بجسده من مرض عياء  
أو شيخوخة وضعف ، وكانما يرون في النار باب خروجهم الى  
عالم وجودهم الحقيقي . ومن شعائره الصوم ، ومنهم من  
يطيله تقربا الى الله أيام شهر متوالية ، لا يفطر فيها البتة ،  
ويعتقدون أن من واصل جميع الشهور صائما ، فلم يفطر في  
السنة الا اثنتى عشرة مرة ، مكث في الجنة عشرة آلاف سنة  
ثم عاد الى الحياة في أهل بيت ذى شرف ورفعة وحسب



ولنترك البيروني الى ما يقصه القزويني من عجائب الهند  
فمن ذلك شجرة كسيوس ، وهى شجرة حلوة الثمرة يقع  
الحمام عليها ، ويأكل من ثمرتها فيغشى عليه ، وتراه الحيات  
فتقصده ، تريد أكله ، ولكنها لا تستطيع الاقتراب من الشجرة  
ما دام على أحد اغصانها أو فى ظلها . ومن ذلك البيش



وهونبت سام قاتل ، اذا اكل منه اى حيوان مات ، ومن غرائب  
أن فارة تتوالد تحته ، اذا اكلت منه لم يصبها اى ضرر ، ويقال  
ان ملوك الهند اذا ارادوا القدر بأحد عمدوا الى الجوارى  
اذا ولدن وفرشوا من هذا النبت تحت مهودهن زمانا ، ثم تحت  
فراشهن زمانا ثانيا ، ثم تحت ثيابهن زمانا ثالثا ، ثم يطعمونهن  
منه فى اللبن ، حتى اذا كبرت الجارية وتناولت منه شيئا لم  
يضرها ، ثم يبعثون بها مع الهدايا الى من ارادوا القدر بهم  
من الملوك ، فاذا اقربوا منها ومسوها ماتوا فى الحال . وبها  
من يرقون من تلعثم الحيات فيبرءون ولا يؤذيهم السم ! .  
وبها طير عظيم الجثة جدا ، اذا مات اتخذوا من نصف منقاره  
مركبا يركبونه فى البحر ! ويبعض أرضهم نوع كبير من  
النمل أسرع عدوا من الكلب ، وهو يأكل من يقترب منه ! .  
وبها جبل عليه صورة أسدين ، يخرج من فم كل منهما ماء  
كثير تدور عليه ساقيتان كل ساقية تروى قرية . وبها طائر  
على هيئة القمرى ، اذا أحضر الطعام وكان مسموما دمعت عيناه  
وجرى منهما ماء وتحجر ، فاذا تحجر سحق ، وجعل على الجراحات  
فتلتئم فى الحال . وبها معبد سومنات ( فى شمالى الهند )  
يحجون اليه عند خسوف القمر ، ويزعمون أنه هو الذى ينشئ  
الارواح بعد مفارقتها لاجسادها فيمن شاء ، على مذهبهم  
المشهور فى التناسخ ، ويؤمنون بأن مد البحر وجزره عبادة  
له ، وبينه وبين الكنج مائة فرسخ وفى كل يوم يحملون اليه  
منه جرارا يغسلونه بها ، ويقوم على سدأته ألف رجل من  
البراهمة . وبيت المعبد مبنى على سنت وخمسين سارية من  
الساج المصنح بالرصاص ، وقبته مظلمة وهى تضى بقناديل  
الجوهر الفائق . ومن عجائب الهند حجر اذا القى على النار ونظر

اليه الانسان انتفخ ، حتى يصبح ضعف ما كان ، ويروى أن بعض الهنود جلب منه عودا ووضعوه في مجمرة أمام بعض الناس ففرغ اذ رأى وجه من كان قاعدا معه انتفخ ، وشخصت عيناه وتغير في الحال . فأمر برفع المجمرة ، فرجع جلسه الى حاله الاول ، فقال له : انى رايتك قد انتفخت انتفاخا عظيما ، فقال له : وأنا أيضا رايت منك ذلك . فعرفوا أنه من خاصية العود الذى القى في المجمرة



وقد أقام ابن بطوطة فى الهند ثمانى سنوات تبدأ بسنة ٧٣٤ هـ واتصل بسلطانها محمد بن تغلق ، فأكرم وفادته عليه وولاه منصب القضاء ، وقد وصف فى رحلته مدن الهند وعجائبها وصفا مسهبيا ، وزعم فيما زعم أنه رأى على بعد سبعة أميال من مدينة لاهرى مدينة مسخ أهلها حجارة كما مسخت حيواناتهم وجبوبهم من القمح والحمص والفول والعدس . وتحدث عن احراقهم لاجسادهم ، واغراقهم لانفسهم فى نهر الكنج المقدس ، كما تحدث عن السحرة الجوكية ، وأن منهم من يستطيع أن يتصور فى صورة سبع ، ويهجم على الدور ليلا ويفترس الصبية ، وهم يقتدرون قدرة غريبة على الصيام حتى ان منهم من يقيم الشهور المتعاقبة لا يأكل . والناس يذكرون أنهم يعتمدون على حبوب خاصة يأكلون الحبة منها لا يام وأشهر معلومة ، فلا يحتاجون الى طعام ولا شراب ، ويخبرون بأمر مغيبية وسلاطينهم يعظمونهم . ومنهم من يقتصر فى أكله على البقل ولا يأكل اللحم البتة

يقول ابن بطوطة : والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم

الرياضة على ذلك ، وهم يعزفون عن الدنيا وطيباتها ، ويزعم  
أن منهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرتة . وتقول  
العامة هناك : انه اذا قتل انسان بالنظر من هؤلاء السحرة  
وشق عن صدره وجد دون قلب ! . وأكثر ما يكون هذا  
السحر فى النساء ، والمرأة التى تشتهر بذلك تسمى « كفتار »  
ويظل ابن بطوطة يهرف ويبالغ على هذا النحو الذى يجعل  
رحلته فى بعض جوانبها حديث خرافة



## في ايران وآسيا الوسطى

ربما كان أول من تكلم بالتفصيل عن عجائب ايران وآسيا الوسطى أبو دلف مسعر بن مهلهل الحزرجي ، وكان - كما قدمنا - قد رحل من بخارى الى الصين ثم رجع من الهند ، وذكر بعض أعاجيب رآها في رحلته نقلنا أطرافا منها فيما مر من حديثنا عن بلاد الهند والصين ، وقد تغفل في التركستان وايران ، وسجل في رسائل مختلفة مشاهداته الغريبة ، ونقلتها عنه كتب الجغرافيا وكتب العجائب ، وقد طبعت وزارة التربية والتعليم إحدى رسائله ، وفيها يصف كثيرا من مدن ايران وآسيا الوسطى ، متحريرا ذكر المعادن والنباتات والحيوانات والمنتجات المختلفة ، وأول مدينة تحدث عنها في هذه الرسالة مدينة شيز في شرقي ايران ، وقد ذكر أن بها بيت نار لعبادة المجوس ، على رأس قبته هلال فضة هو طلسمه ، ويقول انه يوقد منذ سبعمائة سنة فلا يوجد فيه رماد ، ولا ينقطع عنه الوقود ساعة من الزمان ! وفي وسط هذه المدينة بحيرة لا يدرك لها غور ، وإذا قصدتها عدو ونصب منجنيقه على سورها فان ما يقذف به من حجارة يقع في البحيرة

وواضح من هذين الخبرين عن البحيرة وبيت النار مدى ما يسخره أبو دلف على وصفه من مبالغات ، وكان له خيال

يستطيع ان يقلب به الحقيقة الى عجيبة غريبة ، وهو اول  
من خط هذا الاتجاه ووسع فيه ، ليتحول فيما بعد الى كتب  
العجائب التى نوهنا بها فى القسم الاول من هذا الكتاب .  
وكان يكثر من ذكر الطلاسّم التى تمتاز بها المدن ، فكل تمثال  
وكل هيئة غريبة طلسم ، وأيضا فانه تحدث عن تاريخ  
البلدان ومنشئها من ملوك الفرس أو من غيرهم ، وهو تاريخ  
شعبى ان صح هذا التعبير ، وقد زعم ان الذى بنى مدينة  
شيز هو هرمز ملك الفرس

والم أبو دلف بمدينة قرميسين وبجبل بيستون القريب  
منها ، ومعروف أنه نحتت به صور وتمائيل هى من عجائب  
الدنيا ، وبينها تمثال عظيم لدارا الأكبر ، يشير الى انتصاراته  
على ملوك مائلين بين يديه . وبالقرب من ذلك طاق بستان  
وبه تمثال لكسرى الثانى أبرويز على فرسه شبدين وصورة  
شيرين زوجته ووصيفاتها ومواليها . وقد أورد ابن حوقل  
تفسيرا عجيبا لتمثال دارا والملوك القائمين بين يديه ، فقال  
ان هذه الصورة تمثل دارا استاذا ، ومن بين يديه من الملوك  
تلاميذه ، وزعم ان الانحاء البادى فيه هو انحاء الاستاذ فى  
يده سوط

ويمضى أبو دلف فيمر بهمدان ويذكر انها كانت مدينة دارا  
الاصغر الذى هزمه الاسكندر ، ولا تزال هذه المدينة فى وسطها ،  
ويقول فى وصفها : « مدينة كبيرة مبنية على دكة (طوار فسيح)  
يكون ارتفاعها ثلاثين ذراعا ، ولها اربعة ابواب وطاقت عالية »  
ووصف أبى دلف للمدينة أو لقصر دارا غير دقيق ، ومعروف  
ان ملوك الفرس فى هذا التاريخ ، كانوا يتخذون لقصورهم  
درجا خارجيا يرقاه القادم الى الطوار الواسع الذى شيد عليه

القصر بيهوه الفسيح ، وغرفته ومقصوراته الكثيرة ، ويتراوح ارتفاع الدرج بين عشرين وخمسين قدما . ويستطرد أبو دلف فيذكر هذه الاسطورة التاريخية :

« قيل ان دارا لما زحف اليه الاسكندر شاور وزراره في مدينة حصينة يحرز فيها اهله وكنوزه ، فقال له بعضهم : أعرف مدينة خربة بين جبال شامخة وطرق وعرة ، أن بناها الملك واحرز فيها ذخائره ووكل بحفظها أربعة آلاف من ثقاته امتنعت على كل من رامها ، ووصفها له ، فسار اليها دارا حتى رآها وعلم انها تمتنع على من ارادها ، فبناها وجعل فيها خزائن جامعة لامواله وكنوزه ، وجمع فيها اهله ووكل بها ثقاته . فلما كان من أمر الاسكندر مع دارا ما كان ، أنفذ اليها جيشا عظيما ، فأقام عليها مدة لا يقدر على فتحها ، فهم رئيس الجيش بالانصراف ، فقال له نصحاؤه : كاتب الاسكندر في انصرافك وعرفه أمرها . فكتب اليه في ذلك . وكتب الاسكندر الى مؤدبه أرسططاليس يعرفه أمرها ، فأجابه : صـورها لي بطرقها وجبالها وانهارها . ففعل ذلك ، وانفذ الصورة اليه . فكتب يأمره بسد نهريها على نحو فرسخ منها سنة بطولها ، ويوثق سده ، فاذا كان بعد سنة فتح ماء وقرن البقر والجواميس والبغال والدواب بعضها مع بعض وارسلها في الماء فانها تفتح السد ، واذا فتحت حمل الماء على المدينة فهدم سورها وتها له دخولها . ففعل ذلك ، فاقتلع الماء بحدته لما انفتح السد شور المدينة وحمل معه صخورا كبارا لاتزال في شوارعها ، ودخل اصحاب الاسكندر المدينة واستولوا عليها »

ويصل أبو دلف الى جبل دناوند في شمالي ايران ، وهو

أعلى جبالها ، اذ يبلغ ارتفاعه نحو ٢١ ألف قدم ، ولا يفارق الثلج قمته صيفا ولا شتاء ، وهو يرى على مسيرة عدة أيام ، ويبعد من طهران الى الشمال الشرقى نحو خمسين ميلا ، وهو جبل بركانى كان لا يزال يرسل حممه فى العصور الوسطى ، وقد وصفه جغرافيو العرب بأنه ينبث الدخان نهارا والنار ليلا ، وسيوئه غنية بالمواد المعدنية ، وخاصة الكبريت ، وبه عيون كثيرة . وللفرس أساطير كثيرة ، حول الجبل تتصل بملوكهم الاسطوريين ، أمثال أفريدون ، ويقال انه سجن فيه الملك الظالم بيوراسب ( الضحاك ) باحدى قممه وانه لا يزال حيا به على الدهر لايموت ، ويظنون أن الاصوات الكئيبة التى تسمع من البركان هى أنيه وتأوهاتة ، وأن الدخان الذى يتصاعد من شقوق الجبل والعيون التى عليه هما أنفاسه . وهناك أسطورة تزعم أن سليمان حبس به ماردا ، وأخرى تزعم انه الجبل الذى رست عليه سفينة نوح . ولنترك أبا دلف يحدثنا عنه :

« بدنبوند جبل عال مشرف شاهق شامخ ، لايفارق اعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ، لايقدر أحد من الناس أن يعلو ذروته ولا يقاربها ، يعرف بجبل بيوراسب . وتزعم العامة أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه ماردا من مرده الشياطين يقال له صخر المارد . ويزعم آخرون أن أفريدون الملك حبس فيه بيوراسب ، وأن دخانا يخرج من كهف فى الجبل تقول العامة انه أنفاسه . ويرون نارا فى بعض كهوفه فيقولون انها عيناه ، وأن هممته تسمع هناك . فاعتبرت ذلك وارصدته ، ولزمت المكان وصعدت فى الجبل حتى وصلت الى نصفه بمشقة شديدة ومخاطرة بالنفس . وما أظن أحدا

تجاوز الموضع الذى بلغت اليه ، بل لم يصل اليه انسان فيما اظن . فتاملت الجبال ، فرايت عينا كبيرة نقية وحولها كبريت مستحجر ، فاذا طلعت عليه الشمس والتهب ظهرت فيه نار . والى جانبه ماء ( سيول ) يمر تحت الجبل ، تخترقه رياح مختلفة ، فتحدث اصواتا متضادة على ايقاعات متناسبة ، فمرة مثل سهيل الخيل ومرة مثل نهيق الحمار ومرة مثل كلام الناس . وهى مثل الكلام الجهورى دون المفهوم وفوق المجهول ، يتخيل السامع انه كلام يدوى ولغة انسى ، وذلك الدخان الذى يزعمونه بخار تلك العين الكبريتية . وهذا الحال يحتمل على ظاهر هذه الصورة ماتدعيه العمامة ! وما راي احد راس هذا الجبل فى وقت من الاوقات منحسرا عنه الثلج ، الا وقعت الفتنة واريقت الدماء من الجهة التى يرون الثلج منحسرا عنها ! »

وقلما يذكر أبو دلف بلدا الا يعود بينها الى ملوك ايران او بعض التبابعة اليمنيين او جن سليمان . وتكثر هذه النسبة الاسطورية فى كتب العجائب ، كما تكثر معها الخرافات



ولنستعرض بعض ماجاء فى كتابات القزوينى ، يقول عن « أبهر » احدى مدن ايران ان سابور هو الذى بناها ، وكانت كلها عيونا ، فسدها بالصوف والجلود وببنى المدينة عليها ، أما أصبهان فقد بناها الاسكندر المقدونى وعمرها بختنصر بأسراه من بيت المقدس . وقد نزل فى قديم الزمان عسكر فى « بروجرد » فمسح حجارة صلدة . وبقرب نهاوند جبل عليه طلسمان : صورة نور وسمكة ، وجبل آخر عليه ايوان كبير يسع ألف نفس ، وفى آخره أربعة أحجار تشبه أئداء



النساء يتقاطر من ثلاثة منها الماء . وبالقرب من قزوين  
جبل عليه صور حيوانات واناس مسخت أحجارا ، منها راع  
متكىء على عصاه يرعى غنمه ، وامرأة تحلب بقرة . وبجرجان  
عين بقربها دودة ، من اخذ من العين ماء ومست رجله تلك  
الدودة أصبح الماء مرا لايمكن شربه . ومن عجائب جيلان أن  
المطر يسقط بها مدرارا ، فاذا سمعوا بالليل صوت ابن آوى  
وأعقبه نباح كلب ، بشر بعضهم بعضها بصحو الغد . وبالقرب  
من طبرستان حصن الطاق ، وكان في قديم الزمان خزانة ملوك  
الفرس ، وأول من اتخذ منهم منوچهر ، وهو نقب في موضع  
عال في جبل صعب المسلك ، والنقب يشبه بابا صغيرا ، فاذا  
دخله الانسان مشى نحو ميل في ظلمة شديدة ثم يخرج الى  
موضع واسع شبه مدينة قد أحاطت به الجبال من جميع الجوانب،  
وهى جبال لايمكن صعودها لارتفاعها . وكان يحفظ هذا  
النقب في أيام الفرس رجلا من سلم يدلونه من الموضع  
الذى هما فيه اذا أراد أحدهما النزول ، فلا يصل الى الارض  
الا في دهر طويل !

وفى طبرستان على بحر الخزر شجرة اذا القيت شيئا من  
عبدانها فى الماء يموت ما فيه من السمك ، ويطفو على وجهه ،  
وفى جبل به مغارة فيها دكة اذا لطخت بشيء انفتحت السماء  
وأمرت مطرا شديدا . وفى حشيش من قطعه ضاحكا  
وأكله ، غلب عليه الضحك ، ومن قطعه باكيا وأكله غلب عليه  
البكاء ، وكذلك من قطعه راقصا ، فكل من قطعه وهو على  
حال غلبت عليه . ويقولون أن بها طائرا يسمى ككو ، ذيله  
يشبه ذيل البغاء ، يظهر أيام الربيع ، فاذا ظهر تبعه صنف  
من العصفير موشاة الريش ، يخدمه طول نهاره ، ويأتى له

بالغذاء حتى اذا أمسى المساء اكل ماحوله من تلك العصافير ،  
واذا اصبح صاح فجاءته عصافير اخرى ، تقوم على خدمته  
حتى اذا جاء المساء اكلها ، وما يزال هذا شأنه طوال الربيع ،  
فاذا زال الربيع فقد ذلك النوع الى الربيع القابل

ومن بلاد التركستان طمفاج واهلها يتخذون من الذهب  
اوانيهم ، وهم زعر لا شعر على جسدھم ، رجالھم ونساؤھم .  
وفى مدينة تسمى الغور عين يذهب اليها الناس  
فى يوم معين من السنة ، فيرمون فيها بسهامھم ، فاذا  
اصبحوا وجدوا السهام خارج العين ، وعلى نصل بعضها  
رءوس الحيوانات من الذهب ، اما رأس طير أو سمك أو اوز  
أو حيوان آخر ، وبعض السهام تخرج وليس على رأسها  
شئ . وبها السمندل وهو حيوان كالفار يدخل النار ولا يحترق ،  
ويخرج والنار قد ازلت وسخه وصفت لونه وزادته بريقا ،  
ويتخذ من جلده مناديل ثمينة ، واذا اتسخت القيت فى النار  
فزال وسخها . وفى التركستان ثلج وبرد كثير ، وحصى اذا  
حركه سقطت عليهم الامطار الغزيرة

ويروى القزوينى ان فى قزوين مقبرة ، يأتيا الناس فى ليلة  
الجمعة ، فيرون بها انوارا غريبة تصعد من القبور وتنزل فيها ،  
يقول : ولقد رأيت فى بعض الليالى عجا ، وذلك انه قد طلع من  
بعض قبورها كرة قدر ابريق ، وصعدت نحو الهواء اكثر من  
عشرين ذراعا ، واضاءت الجوانب بنورها ، ورآھا غيرى  
خلق كثير ، ولم تكن على لون النار ، بل كانت على لون القمر  
ضاربة الى الخضرة ، ثم عادت الى مكانها . وبسمرقند جبل به  
غار يتقاطر منه ماء بارد صيفا وحار شتاء ، وفى طشقند جبل  
حجارته سود تحترق مثل الفحم ، واذا احترقت اشتد بياض

رمادها ، فيستعمل فى تبييض الثياب ، ولا يعرف مثله فى شىء من البلاد ! . وفى فرغانة نبات على صورة الآدميين ، منه ما يكون على صورة الرجال ، ومنه ما يكون على صورة النساء . وقد مرت بنا أسطورة جبل دىباوند عند أبى ذلف مسعر بن مهلهل ، وانتهت عند القزوينى وسط هذه الخرافات والتهويلات الى هذه الصورة :

» ذكر محمد بن ابراهيم انه شخص الى دىباوند ليقف على المحبوس به ، فوافى القرية التى فى حضيض الجبل ، ومعه بعض عساكر الخليفة المأمون ، فظلوا اياما يرومون الوصول الى بيوراسب ولا يهتدون اليه ، حتى اتاهم شيخ كبير عمره نيف وتسعون سنة ، فأعلموه مرادهم ، فقال لهم : أما الوصول الى هذا الملتصق فلا سبيل اليه ، لكن ان أحببتم الوقوف على صحة ذلك أريتكم برهانه ، فاستحسن محمد بن ابراهيم رايه . وصعد الشيخ ، قال محمد بن ابراهيم : وصعدنا خلفه الى الجبل ، وأوقفنا عند موضع ، وقال : بالفوا فى حفرة ، فحفرنا حتى انفتح لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال على صورة عجيبة ، وهو يضربه على أغلاله وقيوده ساعة بعد ساعة من غير فتور . فسألنا الشيخ عن شأنه ، فقال : هذا طلسم على بيوراسب المحبوس هاهنا ، لئلا ينحل من وثاقه ، فانه لا يزال يشد فى أغلاله حتى ترق وتلين ، فاذا ضربتها بمطرقتى عادت أغلاله كما كانت فى غلظها وثخانتها . ثم أمرنا ألا نتعرض للطلسم وان نرده الى ما كان عليه ، ففعلنا كما قال ، ثم انتهينا الى سلالم أطول ما تكون ، فأمر الشيخ بشد بعضها الى بعض ، حتى بلغت قريبا من مائة ذراع ، ثم أمرنا برفعها وبنقب موضع فى الجبل ، فظهر باب عليه مسامير حديد

مذهبة وفوقه كتابة بالذهب تنطق بأن في قمة الجبل سبعة ابواب من حديد ، وأن من فتح أحدها هجم على الاقليم آفة لاتندفع ، وحادثة لا تمتنع . فقال محمد بن ابراهيم ، حين رأى ذلك لمن معه : لاتعرضوا لشيء حتى نستأذن الخليفة . وكتب الى المأمون بما شاهد هو ومن معه من العسكر ، فكتب اليه المأمون : لاتعرض لشيء من ذلك واتركه على حاله »

واكبر كتاب يعرض لهذا التاريخ الاسطوري لايران وللفرس هو كتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » لابي منصور الحسين بن محمد المرغنى الثعالبي ، وهو غير الثعالبي مؤلف كتاب اليتيمة المشهور ، وكان يعاصره كما كان يعاصر الفردوسي الذي نظم قصيدة قصصية طويلة تربو على اربعين ألف بيت من الشعر في تاريخ الفرس من أول نشأتهم وقد ضمنها كثيرا من الاساطير

وكتاب الثعالبي المذكور يعرض كذلك تاريخ الفرس منذ نشأتهم الاسطورية وما اقترن بها من ملوك خرافيين ، وهو يعرض هذا التاريخ عرضا بديعا ، تسوده القصة والخرافة في كثير من جوانبه ، وقد عرض في أوائل كتابه للملك الاسطوري بيوراسب الذي يسميه العرب باسم الضحاك ، وكان ظالما سفاكا للدماء ، وقد بدأ حياته بقتل أبيه ، وكان ابليس كثيرا ما يتصور له ، وقبل منكبيه يوما ونفخ فيهما من خبئه وسحره ، فخرجت بهما حيتان ، كلما قطعنا عادتا كما كانتا والمتاف جدا ، وتصور له ابليس في صورة طبيب ، وقال له ان هاتين الحيتين لاتهدآن الا اذا اطعمتا براءوس الأدميين ، فكان يقتل كل يوم شابين ليطعم الحيتين ، وما زال يفعل ذلك بشباب فارس عشرات السنين ، حتى ثارت به الرعية وعلى رأسها أفريدون ،

فقتله واستولى على الملك من بعده . يقول الثعالبي ، ويزعم  
الفرس انه حمله الى جبل دنباوند وحبسه في بُئر هناك . .  
وفي اكاذيبهم انه لا يزال يعد في الاحياء بهذا الجبل وانه من  
المنظرين كابلّيس الى يوم القيامة

ويمضى الثعالبي على هذا النحو في كتابه يقص اخبار ملوك  
الفرس قصصا اسطوريا خرافيا حينا ، وقصصا واقعيّا حينا  
آخر ، ومن اساطيره التي لا يقبلها العقل اسطورة اسفنديار وانه  
اخترق الى مدينة الصفرية طريقا لم يسلكه أحد ، به ذئبان  
كالفيلين واسدان كجبلين وثعبان يهجم من السحاب ( التنين ) ،  
وساحرة تسحر من يمر بها وعنقاء ( الرخ ) قاتلة ، ويقتحم  
اسفنديار الطريق ويقتل كل هذه الدواهي ، ويدخل مدينة  
الصفرية ويتغلب على ملكها أرجاسف



## في بلغار الفولجا وشرقى أوربا

من المعروف أن البلغار أسسوا في أوائل العصور الوسطى دولتين أولاهما على نهر الفولجا وفي شمالها وغربها الروس ، والثانية في حوض نهر الطونة ، وهى التى لا يزال يطلق عليها اسم البلغار أو بلغاريا ، وقد يطلق العرب على كل المنطقة الممتدة على البحر الاسود في أوربا اسم الصقالبة ، ويليهم الروم في القسطنطينية قبل استيلاء العثمانيين عليها ، ومن وراء الروم الباشغرد أو المجر ، أما بحر قزوين فيطلقون عليه اسم بحر الخزر

وأول من ترك لنا وصفا مسهبا لهذه الاقاليم ابن فضلان الذى أرسله الخليفة المقتدر في سنة ( ٣٠٩ هـ ) مبعوثا دينيا مع وفد الى ملك البلغار على نهر اتل أو اتلا ( الفولجا ) وكان هذا الملك قد كتب الى الخليفة يسأله ان يبعث اليه من يفقهه وقومه في الدين الاسلامى . فأرسل اليه المقتدر ابن فضلان المذكور مع وفد كبير ، ووصل هذا الوفد الى البلغار في ١٢ من شهر المحرم سنة ٣١٠ للهجرة . ولما عاد ابن فضلان الى بغداد كتب رسالة في وصف هذه البلاد وما اتصل بها من بلاد الخزر والصقالبة والباشغرد والروس . وتغلب على رسالته روح المبالغة ، بل روح التهريف والتخريف ، ومع ذلك استمرت أهم مصدر لوصف هذه الاقاليم مدة طويلة من الزمان ، واعتمد عليها كثير من مؤرخى العرب وجغرافيينهم .

وقد احتفظ ياقوت في كتابه معجم البلدان بكثير من جوانب  
هذه الرسالة

وأول شعب تحدث عنه ابن فضلان في أوربا الشرقية هو  
الخزر ، وكانوا قد أقاموا مملكة في جنوبى نهر اتلا ( الفولجا )  
وكانت تسمى عاصمتها اتل وبها سعى النهر ، وكانت على  
مصبه . ويحدثنا ابن فضلان أنها كانت على جانبى النهر ،  
وفى أحد الجانبين المسلمون ، وفى الجانب الآخر الملك وأصحابه  
من غير المسلمين ، ويقول انه كان هناك خزر سود وخزريضى ،  
وأن ملكهم يلقب بالخاقان ، ومن رسمهم انه اذا مات بنيت  
له دار كبيرة ، فيها عشرون بيتا ، ويحفر له فى كل بيت قبر  
ويخفون الدار فى جانب النهر ، حتى لا يصل اليه فيما زعموا  
شيطان ولا انسان ولا هوام

ويقول ابن فضلان : الرحلة من اتل عاصمة الخزر الى البلغار  
تستغرق شهراً فى البر وشهرين فى النهر ، وكانت عاصمتهم  
تبعد عن الفولجا نحو ستة فراسخ بالقرب من مدينة قازان الحالية  
وقد استقبل ملكهم أوفد استقبالا حافلا . ويأخذ ابن فضلان  
فى سرد ملاحظاته ، وهى تدل على أنهم كانوا لا يزالون متأخرين  
بالقياس الى العالم الإسلامى ومذنيته ، ومما لاحظته أن كلا منهم  
يأكل على مائدة منفردة ، وأنهم يحيون ملكهم بانحناء الرأس ،  
ورفع القلائس ، وجعلها تحت الابط ، وهم لا يدفعون له شيئا  
مما تنتجه أراضيهم ، إنما يؤدى له كل بيت جلد ثور ، كما  
يقدمون له حصاة من غنائم الحرب . ولاحظ أن النهار يطول  
عندهم صيفا ، حتى ليتعذر تحديد موعد صلاة العشاء ، اذ سرعان  
ما تنقلت فى الافق تباشير الصباح . يقول : « ورايت من  
العجائب مالا أحصيا كثرة ، فمن ذلك أن أول ليلة بتناها

هناك ، رأيت قبيل مغيب الشمس بساعة أفق السماء وقد احمر  
احمرارا شديدا ، وسمعت فى الجو أصواتا عالية وهمهة ،  
فرفعت رأسى ، فاذا غنم أحمر مثل النار قريب منى ، واذا تلك  
الهمهة والاصوات منه ، واذا فيه أمثال الناس والدواب ،  
واذا فى أيدي الأشباح التى فيه قسى ورماح وسيوف ،  
أتبينها وأتخيلها • واذا قطعة مثلها أرى فيها رجالا  
أيضا وسلاحا ودواب ، فأقبلت هذه القطعة على تلك ، كما تحمل  
الكتيبة على الكتيبة ، ففزعنا ، وأقبلنا على التضرع والدعاء  
• • وكنا ننظر الى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا  
ساعة ثم تفرقان ، وما زال الامر كذلك شطرا من الليل ثم  
غابتا • وسألت الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون  
هؤلاء من مؤمنى الجن وكفارهم يقتتلون كل عشية ، وأنهم لا  
يعدمون ذلك فى كل ليلة • ورأيتهم يتبركون بعواء الكلب ،  
والحيات عندهم كثيرة ، وكذلك الصواقر • وينزل الرجال  
والنساء النهر ، فيقتسلون جميعا عراة ، لا يستتر بعضهم من  
بعض ، واجتهدت أن تستتر الرجال من النساء فما استقام  
لى ذلك ،

وقال ابن فضلان عند ذكر الباشغرد انهم وثنيون  
وكل منهم قد نحت خشبة وجعل منها صنما يحمله دائما معه  
وكلما أراد أحدهم سفرا أو لقاء عدو قبل هذا الصنم وسجد له ،  
وقال ان منهم من يعبد الحيات ومنهم من يعبد السمك ومنهم  
من يعبد الكراكى ، وزعم الاخيريون أنهم كانوا يحاربون قوما  
من أعدائهم فهزموهم ، وصاحت الكراكى من ورائهم ، فعبدها  
وقالوا هذه ربنا ، لأنها هزمت أعداءنا

وزار أبو حامد الفرناطى الرحالة الاندلسى المشهور هذه



الانحاء فى القرن السادس الهجرى ، وتحدث عنها حديثا تغلب عليه الخرافة والاسطورة بأكثر مما يقلبان على حديث ابن فضلان ، وسجل ذلك فى كتابه «تحفة الاصحاب ونخبة الاعجاب» وقد نشرت قطع منه ، ووصف فيها شرقى أوربا ، ولانزال ننتقل فيها من خرافة الى خرافة ، يقول :

« ودخلت البحر الى بلاد الحزر ، فوصلت الى نهر عظيم ( لعله نهر الفولجا ) كأنه بحر تخرج منه أنهار عظيمة ، وفى هذا النهر من أنواع السمك ما لم أشاهد قط فى الدنيا مثله ، السمكة الواحدة حمل رجل قوى ، بل حمل جمل قوى ! • وقد عملت الجن لسليمان فى جانب ذلك النهر ألف نهر مقدار ميل ، وأخرجوا ترابه ، فصار كأنه جبل بجانب ذلك النهر

وبلغار مدينة عظيمة جميعها مبنية بخشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط ، والنهار عندهم فى الصيف عشرون ساعة •• ويوجد فى أرضهم من عظام قوم عاد ، السن الواحد ، عرضه شبران وطوله أربعة أشبار ومن رأسه الى منكبه خمسه أبواع ، ورأسه مثل القبة العظيمة • وتوجد تحت الارض أنياب الفيلة • وتحدث عن الاقاليم الممتدة شمالى بلغار الفولجا الى المحيط المتجمد الشمالى ، وهو يسميها ويسوا ويورا على الترتيب • ويقول فى «ويسوا» القندز والقماقم والسنجاب • وما يلبث أن ينسج بعض أساطيره قائلا : «والقندز حيوان عجيب يتخذ بيوتا فى البر الى جانب النهر ، ويجعل لنفسه غرفة عالية وعن يمينه لامراته درجة دون التى له ، وعن شماله لاولاده ، وفى أسفل ذلك البيت موضع لعبيده وللبيت باب الى النهر وباب الى البر ، ويأكل تارة السمك وتارة خشب الخلنج ، ويغير بعضهم على بعض ، ويسبى بعضهم بعضا ••

ووراء ويسوا ويورا بحر الظلمات ( بحر البلطيق أو المحيط  
الاطلسي ) وعندهم لا تغيب الشمس أربعين يوما وكذلك الليل  
فى الشتاء ، وهم يدخلون فى تلك الظلمة بالمشاعل ، فيجدون  
شجرة عظيمة مثل القرية ٠٠ وهم فى ارض لايفارقها الثلج  
أبدا ، ويتخذ الناس لارجلهم الواحا ينحتونها ، طول كل لوح  
باع وعرضه شبر ، مقدم ذلك اللوح ومؤخره مرتفعان عن  
الارض ، وفى وسط اللوح موضع يضع الماشى فيه رجله ، وفيه  
ثقب قد شدوا فيه سيورا من جلود قوية يشدونها على أرجلهم ،  
ويقرن الرجل بين اللوحين اللذين يكونان فى رجله بشندال  
( بحبل ) طويل مثل عنان الفرس ، يمسكه فى يده الشمال ،  
وفى يده اليمنى عصا بطول الرجل ، وفى أسفل العصا مثل  
كرة من الثياب محشوة بصوف كثير مثل رأس الانسان خفيفة .  
ويعتمد على تلك العصا فوق الثلج ، ويدفع العصا خلف ظهره  
كما يصنع الملاح فى السفينة ، فيذهب على ذلك الثلج بسرعة .  
ولولا تلك الحيلة لم يستطع أحد أن يمشى هناك ألبتة ، لان  
الثلج على الارض مثل الرمل لا يتلبد ، وأى حيوان مشى عليه  
يفوص فيه ، فيموت ، ألا الكلاب والحيوان الخفيف كالثعلب  
والارنب ، فانها تمشى عليه بخفة وسرعة . ويحمل الى ويسوا  
السيوف من بلاد الاسلام ، وهؤلاء يحملونها الى يورا . وكل  
آدمى هناك يحتاج كل سنة الى سيف يلقيه فى بحر الظلمات .  
واذا القوا سيوفهم فيه أخرج الله لهم منه سمكة مثل الجبل  
العظيم ، تطردها سمكة أخرى أكبر منها أضعافا مضاعفة ،  
تريد أكلها فتفر الصغرى من الكبرى ، فتقرب من البر وتصير  
فى موضع لا يمكنها الرجوع منه الى البحر ، فتبقى هناك ،  
وترجع الكبرى الى البحر . ويدخل أهل يورا الى البحر فى

السفن ويقطعون من جوانبها ، وهى لا تحس ولا تتحرك ، فيملئون بيوتهم من لحمها ، ويصعدون على ظهورها وهى كالجبل العظيم . وفى بلادهم نوع من الطير الكبير ، له مناقير طوال مقلوبة على اليمين وعلى الشمال ، الأعلى على اليمين ستة أشبار والأسفل على الشمال ستة أشبار مثل لام ألف . وإذا وقعت بيضة هذا الطير على الجمد أو على الثلج أذابته كما تذيب النار . ويركب البحر الأسود الى بلاد الصقالبة ، ويقول ان فيه حيات سوداء كبيرة بعضها على بعض ! وينزل بين الصقالبة ويروى عنهم بعض العجائب ، فمن ذلك انه يكثر السحر عندهم على رأس كل عشر سنوات ، وهم يعتقدون أن عجائز النساء هن اللاتى يصطنعن ويشعن ، ولذلك يأخذون كل عجوز منهن بينهم ، فيشدون يديها ورجليها ويلقون بها فى النهر عندهم ، فمن رسبت فى الماء تركوها وعلموا انها ليست بساحرة ، ومن طفت على الماء حرقوها بالنار . ويتغفل فى بلاد باشغرد ويذكر أن عندهم بقرا وحشيا مثل الفيلة ، لعله التيتل ، ويقول :

« رأيت فى تلك البلاد من قبور قوم عاد قبورا كثيرة ، وأخرجوا لى نصف أصل ثنية واحدة ( الثنية الاضراس الاربع فى مقدم الفم ) منهم عرضها شبر ووزنها ألف ومائتا مثقال ، وأخرجوا لى رأس رسنخ ( مفصل ما بين الذراع والكف ) واحد منهم ، فما استطعت أن أرفعه من الارض بيد واحدة ! . . . ورأيت فى بلغار رجلا من نسل العاديين ، طوله أكثر من سبعة أذرع ، وكان قويا يأخذ الفرس المذبوح فيكسر عظمه ، ويقطع جلده وأعصابه فى سرعة خاطفة . وكان ملك البلغار قد اتخذ له درعا يحمل معه فى الحروب على عجلة كبيرة ، وله خوذة من حديد مثل الرجل الكبير »

وأكبر رحالة زار هذه البلاد بعد أبى حامد هو ابن بطوطة الطنجى ، وقد عبر اليها البحر الاسود من الاناضول بعد أن تجول فى كثير من بلاده قبل أن يصبح دولة واحدة على يد العثمانيين ، وراعه فى بلدانه نظام من نظم الفتوة كانوا يسمونه الاخوية ، جمع أخى بالياء ، وهم جماعات تضم أبناء حرفة واحدة يقدمون عليهم رئيسا ، وكلهم من الشبان الاعزاب ، ويتخذون مقرا لجمعيتهم زاوية من الزوايا ، ويتعاونون على الخير واكرام الضيف ، وهو نظام يتصل بنظام الفتوة فى الاسلام ، ويقول ابن بطوطة انهم بجميع البلاد التركمانية فى كل بلد ومدينة وقرية . وما زال يتنقل بين هؤلاء الاخوية فى بلاد الاناضول حتى وصل الى « صنوب » على البحر الاسود فركب منها سفينة الى شبه جزيرة القرم ، وكانت تابعة للسلطان محمد أوزبك خان المغول المعروفين بالقبيلة الذهبية ، وكانوا قد دخلوا فى الاسلام بعد هجماتهم المشهورة على العالم الاسلامى فى آسيا . وغادر القرم الى أزاك والماجر بالقوقاز ، حيث زار معسكر السلطان أوزبك ، ووصفه بأنه يشبه مدينة عظيمة ، فيها المساجد والاسواق والمطابخ ، وتوسع فى الكلام وأسهب عن مواكب السلطان ومواكب زوجاته الاربع . وتوجه الى مدينة بلغار على الفولجا ، وكان بينها وبين معسكر السلطان عشرة أيام وهناك فكر فى اقتحام أرض ويسوا ويورا فى الشمال ، ولكنه أحجم لعظم المثونة وبعد الشقة وتعب السفر . قال نقلا عن دخلوا فيها من التجار :

« السفر اليها لا يكون الا فى عجلات صفار تجرها كلاب كبار فان تلك الارض فيها الجليد ، فلا تثبت قدم الأدمى ولا حافر الدابة فيها ، والكلاب لها الاظفار فتثبت أقدامها فى الجليد .

واذا كملت للمسافرين بهذا الاقليم اربعون مرحلة نزلوا عند  
الظلمة وترك كل واحد ما جاء به من المتاع هنالك ، وعادوا الى  
منزلهم المعتاد ، فاذا كان الغد عادوا لتفقد متاعهم فوجدوا من  
فراء السمور والسنجاب. والقاقم ، فان ارضى صاحب المتاع  
ما وجده ازاء متاعه اخذه ، وان لم يرضه تركه ، فيزيدونه .  
وهكذا يبيعهم وشراؤهم



## فى العالم العربى

أكثر الجغرافيون والرحالة وهواة العجائب من ذكر الاعاجيب والاساطير عن العالم العربى وأمه القديمة وآثاره ، وحتى صحراء جزيرة العرب أفردوا لها فصولا فى القصة ، وهى فصول لا تتحدث غالبا عن عالم الانس ، وإنما تتحدث عن عالم الجن فقد كانوا يزعمون أن أرض « وبار » سكنتها الجن وحمتها من كل من يريد الدخول فيها ، وزعموا أنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا ، فان دنا منها انسان متعمدا أو مخطئا حثوا فى وجهه التراب ، فان لم يرجع خبلوه أو قتلوه . وليست أرض وبار وحدها التى تمتلئ بالجن ، فكذلك تمتلئ بها الدهناء والصمان ويبرين ، فهى مبنوثة بكل مكان ، وهى تتراءى فى صور من الانس والحيوان ، ومنها جنس على صورة نصف الانسان يسمونه شقا ، وهو يتربص للمسافرين وقد يفتك بهم

وفى الشعر الجاهلى أحاديث كثيرة عن الجن والعفاريت ، استغلها مؤلفو كتب العجائب ، كما استغلوا ما جاء فى القرآن الكريم عن جن سليمان الذى سخرهم الله تعالى له ، فقصوا أقاصيص كثيرة عن تزاجهم بالانس ، واختطافهم لبعض الفتيات أو بعض النساء ، وكم من شخص عشت به الجن والشياطين أو استهوته ، وكانوا يزعمون أن عين الجن

أشد من عين الانسان ، وأنها جميعا تتحول فى أى صورة  
شئ ، الا الغول فانها تتحول فى صورة المرأة وثيابها  
الا رجلها فلا بد أن تكونا رجل حمار ، وتترأى غير الغول  
فى صورة الثيران والنسور والنعام والكلاب ، وحديثهم عن  
شياطين الشعراء مشهور

وإذا تركنا بلاد العرب الى اليمن والعراق والشام ومصر  
والاندلس ، تلك البلاد التى تمتلئ بأطلال مدنات قديمة  
وجدناها تزخر بالعجائب ، فليس بها تمثال أو كتابات الا وهى  
طلاسم وأرصاء ، اما من عمل الجان أو من عمل السحرة  
من الملوك والملكات ، ونسوق بعض ما سجلوه من هذه العجائب  
والغرائب الفريدة

### فى اليمن

أما اليمن ففيها تمثال على هيئة فارس فى أرض كلها  
ملحة ، فإذا دخلت الأشهر الحرم فاض من ذلك التمثال ماء  
كثير داب ، وظل يجرى فى الفضاء الى انقضاء الأشهر الحرم  
وبها جبل الشب ، وهو جبل على رأسه ماء يجرى من كل جانب  
وسرعان ما ينعقد حجرا قبل وصوله الى الأرض . ومن غريب  
ما قصوه عن مدينة ارم ذات العماد ، وهى إحدى المدن اليمنية  
القديمة التى اندثرت ، هذه الاسطورة :

« بنى شداد بن عاد هذه المدينة بين صنعاء وحضرموت  
وكان جبارا من الجبابرة ، يقال انه سمع بالجنة وما وعد  
الله تعالى فيها أوليائه من قصور الذهب والقضة التى تجرى من  
تحتها الانهار ، فقال : انى متخذ فى الأرض مدينة على صفة  
الجنة ، ووكل عنه فى القيام بذلك مائة رجل وضع تحت يد  
كل منهم ألفا من الرجال والاعوان وقال لهم : « ابحثوا عن

أفضل مكان فى أرض اليمن وابنوا فيه هذه المدينة ، ، وأمدهم بالاموال ومثل لهم كيفية بنائها ، وكتب الى عماله فى سائر البلدان الخاضعة له أن يجمعوا كل ما عندهم من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ، فجمعوا منها تلالا ، فأمر بتحويلها الى لبنات تبنى بها المدينة ، كما أمر أن ترصع حيطانها بجواهر الدر والياقوت والزبرجد ، ثم أجرى اليها نهرا ساقه اليها من أربعين ميلا تحت الارض ، فظهر فى المدينة ، وأجرى منه سواقى فى الشوارع والسكك ، وأمر بحفتى النهر والسواقى أن تطل بالذهب الاحمر ، وان يلقى فيها بالحصى من أنواع الجواهر ، وينصب عليها أشجار من الذهب ، وان تجعل ثمارها من الجواهر والياقيات . وجعل طول المدينة اثني عشر ميلا ، وبنى فيها ثلثمائة ألف قصر ، مرصعة بواطنها وظواهرها بالحجارة الكريمة . وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران ، وجعل خارجها مائة ألف منظر من الذهب والفضة لجنوده . ومكث فى بنائها خمسمائة عام ، فبعث الله اليه هودا عليه السلام ، فتمادى فى الكفر والطغيان ، ولم يجب داعى ربه ، فأنذره هود بعذاب الله ، وخوفه زوال ملكه فلم يرتدع ولم ينزجر ، فأخذته صيحة من السماء فمات هو وأصحابه . وأخفى الله المدينة فلم يدخلها أحد ، الا رجل فى زمن معاوية ، يقال له ابن قلابة ، ذكر فى قصة طويلة أنه خرج من صنعاء فى طلب ابل له ضلت ، فأفضى به السير الى مدينة هذه صفتها ، فأخذ منها شيئا من المسك والكافور وشيئا من الياقوت ، وقصد الشام ، وأخبر معاوية بالمدينة وعرض عليه ما أخذه منها من الجواهر . وارم ذات العماد حق لامرية فيه ، ذكرها القرآن الكريم ، وكذلك رسالة هود



الى عاد ، ولكن قصة المدينة وبنائها هي التي دخلتها  
الاسطورة

### فى العراق

وفى العراق كثير من هذه المدن التي اتخذت مسرحا  
للاساطير من مثل مدينة بابل ، وقد قالوا انه كان بها  
سبع مدن ، وفى كل مدينة أعجوبة : أما المدينة الاولى فكان  
ينزلها الملك ، وكان فيها بيت به صورة الارض بقراها  
ومزارعها وأنهارها ، فمتى امتنع أهل بلدة من حمل الضرائب  
والاموال اليه خرق أنهارهم فى تلك الصورة ، وأغرق زروعهم ،  
فيحدث ذلك بأهل البلدة حتى يؤدوا اليه ما عليهم من المال ،  
فيسد أنهارهم فى الصورة ، فينسد النهر فى بلدهم . والمدينة  
الثانية كان بها حوض عظيم ، اذا جمع الملك قومه حمل كل  
واحد منهم معه شرايا يشربه عنده وصبه فى ذلك الحوض فاذا  
جلسوا للشرب تناول كل منهم من الحوض شرايه الذى حمله  
معه من منزله . والمدينة الثالثة كان على بابها طبل معلق ،  
فاذا غاب انسان من أهل بابل ، ولم يعلم أحي هو  
أم ميت ، دقوا ذلك الطبل على اسمه فان كان حيا  
ارتفع صوت الطبل ، وإن كان ميتا لم يسمع منه صوت  
البتة . والمدينة الرابعة كان فيها امرأة من حديد ، فاذا  
غاب رجل عن أهله وأرادوا أن يعرفوا حاله التي هو فيها ،  
أتوا تلك المرأة على اسمه ونظروا فيها فراوه على الحالة التي  
هو فيها . والمدينة الخامسة كان على بابها عمود من نحاس  
وعلى رأسه اوزة من نحاس ، فاذا دخلها جاسوس صاحت  
صيحة سمعها كل أهل المدينة ، فعلموا ان جاسوسا دخل  
بلدهم . والمدينة السادسة كان بها قاضيان جالسان على طرف

ماء ، فاذا اختصم اليهما شخصان قرأ شيئا وأمرهما بالعبور  
على الماء ، فيفوص فيه المبطل وينجو المحق . والمدينة السابعة  
كانت بها شجرة كثيرة الاغصان ، ان جلس تحتها الف شخص  
اظلتهم ، فان زادوا واحدا انحسر عنهم ظلها وأصبحوا جميعا  
فى الشمس !

### فى الشام

وفى الشام عجائب كثيرة منها مدينة بناها جن سليمان له  
هى مدينة تدمر . ومنها بئر فى بعض ضياع حلب ، اذا شرب  
منها من عضه الكلب المريض برى . وفى حمص صورة نصفها  
الاعلى انسان والاسفل صورة عقرب ، من لدغته حية أو سام  
وأخذ طينا وطبع به على تلك الصورة ، والقاء فى الماء ، ثم  
شربه برى فى الحال . وفى موضع من أعمال طبرية هيكل  
يخرج الماء من صدره من اثنتى عشرة عينا ، وكل عين مخصصة  
بمرض ، اذا اغتسل فيها صاحب هذا المرض عوفى باذن الله  
تعالى . وبها نهر عظيم ، يجرى فيه ماء نصفه حار ونصفه  
بارد ولا يمتزج أحدهما بالآخر . وبها موضع به سبع عيون  
ينبع الماء منها سبع سننات متوالية ، ويجف سبعا أخرى  
متواليات ، وهكذا على مدى السنين والايام . وتقص كتب  
العجائب كثيرا عن مدن الشام ومزاراتها ومن مات بها من  
الصحابة والصالحين ، وقد أكثروا من القصص عن  
أصحاب الكهف والرقيم الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم  
فمن قائل ان موضع الكهف والرقيم فى البلقاء ،  
ومن قائل ان موضعهما بالقرب من افسوس وهذا  
هو الصحيح . ويقول القزوينى ان الكهف على بعد فرسخين  
من المدينة ، لا تدخله الشمس ، وفيه رجال موتى لم يتغيروا

وعدهم سبعة ، ستة منهم نيام على ظهورهم ، والسابع فى آخر الكهف مضطجع على يمينه ، وظهره الى جدار الكهف ، وعند أرجلهم كلب ميت ٠٠ وعلى الكهف مسجد يستجاب فيه الدعاء يقصده الناس

### فى مصر

وامتلات كتب الرحلات والجغرافيا بالمعجائب بالاحاديث عن مصر وما فيها من الغرائب ، ومن أهم ما عرضت له هذه الكتب الاهرامات وأبو الهول ، وفيهما يقول عبد اللطيف البغدادى ، بعد أن زار مصر بين سنتى ( ٥٩٧ هـ و ٥٩٩ هـ ) :

« من الآثار القديمة الاهرام ، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها ، وهى كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة وعلى سمت مصر القديمة ، وتمتد فى نحو مسافة يومين ، وفى بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار ٠٠ وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس ٠٠ والاهرام المتحدث عنها المشار اليها الموصوفة بالعظم ثلاثة موضوعة على خط مستقيم بالجيزة ، قبالة الفسطاط ، وبينها مسافات يسيرة ، زواياها متقابلة نحو المشرق ، واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد ، وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين ، قد نهذا فى صدر الديار المصرية . وقد سلك فى بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الزمان ، بل على ممرها صبر الزمان ، فانك اذا تبصرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هو غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم ،

وتنطق عن علومهم وأذهانهم . وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجّه الناس يقضى بهم إلى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة ، وآبار وممالك ، وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى أصل البناء ، وإنما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا . وهذه الاهرام مبنية بحجارة يكون طول الحجر منها ما بين عشرة أذرع إلى عشرين ذراعا ، وسمكه ما بين ذراعين إلى ثلاث وعرضه نحو ذلك . والعجب كل العجب فى وضع الحجر على الحجر بهندام ، ليس فى الامكان أصح منه ، بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة ، وبينهما طين كأنه الورقة لا أدري ما صنّفه ولا ماهو . وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه . وهذه الكتابات كثيرة جدا . . . وعند هذه الاهرام صورة رأس وعنق بارزة من الارض فى غاية العظم يسميه الناس أبا الهول . وفى وجهه حمرة ودهان أحمر يلعب عليه رونق الطلاوة ، وهو حسن الصورة مقبولها ، عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك مبتسما . وسألنى بعض الفضلاء ما أعجب ما رايت ؟ فقلت تناسب وجه أبى الهول ، فإن أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة . والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب فى الأعضاء مع عظمها ، وأنه ليس فى أعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله . . . وتحدث عبد اللطيف ، وكأنه عالم عصرى من علماء الآثار ، عن عين شمس وصورها وتمائيلها ومسلتيها المشهورتين ، ووصف المسلة بأنها قاعدة مربعة ، طولها عشرة أذرع فى مثلها عرضا فى نحوها سمكا ، قد وضعت على أساس ثابت فى الارض ، ثم أقيم عليها عمود

مربع مخروط ، ينيف طوله على مائة ذراع ، يتبدى من قاعدة  
لعل قطرها خمس أذرع ، وينتهى الى نقطة ، قد البس رأسها  
بقلنسوة نحاس ، الى ثلاث أذرع منها كالقمع ، . وأطال عبد  
اللطيف فى وصف مدينة منف وآثرها ، وعرض لمقابر الفراعنة  
التي تملأ الصعيد ذاكرًا تخريب الناس لها بحثًا عن الذهب  
المدفون مع الموتى ، وانحى باللائمة على من يحاولون نقض هذه  
الأثار . وتكلم عن الاسكندرية ووصف عمود السوارى بها  
وصفا دقيقا

وممن أسهب فى وصف هذه العجائب بمصر أبو الحسن  
الهروى المتوفى بحلب سنة ( ٦١١ هـ ) وذلك فى  
كتابه « الإشارات الى معرفة الزيارات » وقد قال ان المأمون  
فتح الهرم الأكبر فوجدوا فى داخله بئرا مربعة فى تربيعها  
أبواب ، يقضى كل باب منها الى بيت فيه موتى بألفاتهم .  
وذكر أنهم صنعوا فى الهرم ، ووجدوا فى رأسه بيتا فيه  
حوض من الصخر ، على مثال القبر ، وفيه صنم كالأدمى وفى  
وسطه انسان عليه درع من ذهب مرصع بالجوهر وعلى صدره  
سيف لا قيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ، ضوءه  
كالنار . وعرض للبرابى ( المعابد ) بالصعيد وغير الصعيد  
وما عليها من كتابات بقلم الطير ( الكتابة الهيروغليفية ) وقد  
استطرد يتحدث عن عجائب تدخل فى باب الاسطورة أو الخرافة  
فزعم أنه فى شمالى المنيا بالصعيد جبل يسمى الطيلمون ،  
وهو جبل الطير ، تجتمع اليه الطيور فى كل سنة ، وهى  
تسمى بوقير ، وترى وهى تدخل رأسها فى ثقب صغير بأعلاه ،  
ولا تزال كذلك حتى يقبض ذلك الثقب على طير منها فيبقى  
معلقا بمنقاره الى أن يموت . وبالصعيد جبل الساحرة ، وله

قصة طويلة ، وبه مغائر مليئة بالموتى من الناس والطيور  
والسنائير والكلاب وقد رأى بها جارية ، نزع عنها كنفها وفى  
يديها ورجليها آثار خضاب بالحناء

### فى الاندلس

وفى الاندلس عجائب كثيرة ، منها جبل عليه عينان ينبع  
من احدهما ماء حار ومن الاخرى ماء بارد ، أما الحار فلو رميت  
فيه بدجاجة انطبخت فى الحال ، وأما البارد فمثلج لا يستطيع  
أحد شربه . وبها جبل الكحل ، وهو يخرج منه فى هيئة نفس  
قوى ، ويظل الى نصف الشهر ، ثم ينقص ، حتى اذا كان  
الشهر الثانى عاد الى قوته ، ثم يأخذ فى النقصان وهكذا  
دواليك . ويقرب طليطلة حجر اذا أقاموه أمطرت السماء ، ولا  
تزال تمطر الى أن يلقوه ، وكلما أرادوا المطر أقاموه ، وبها  
صورة ثورين من حجر صلد ، يقال انهما طلسمان . وتكثر  
الطلاس فى الاندلس مثل غيرها من البلاد . ويقرب غرناطة  
عين ماء وشجرة زيتون ، يقصدهما الناس فى يوم معلوم من  
السنة ، تفيض العين فيه بالماء حين تطلع الشمس ، ويظهر  
على الشجرة زهر الزيتون ، وينعقد زيتونا ويكبر ويسود فى  
نفس اليوم ، فيأخذون منه كفايتهم ، كما يأخذون من ماء  
العين حاجتهم للتداوى . وبقادس طلسم مشهور ، عمل لدفع  
المغاربة عن الاندلس !



وللبر - كما للبحر - حكاياته وأقاصيصه ، وهى تستمد من  
عالم الحقيقة حيناً ومن عالم الخيال والخرافة حيناً آخر ،  
وإذا كانت جزر بحر الهند قد أمدت القصاص بمادة وفيرة فى  
هذا الباب ، فإن الهند نفسها وما وراءها من الصين وإيران ،

قد امدتهم بمادة لا تقل وفرة ولا قيمة قصصية عما امدهم به  
عالم البحر ، وكذلك الشأن في بقية البلدان والبقاع بآسيا  
وافريقيا

وفي كتب العجائب كثير من هذه الحكايات الخيالية ، لا عن  
الملوك والامم البائدة فحسب ، بل عن كل مشاهد البلدان  
ومظاهر الطبيعة فيها من جبال وغيـر جبال ، ويخيل الى  
الانسان انهم لم يتركوا كهفا في جبل ، ولا بئرا ولا نهرا الا  
قصوا عنه غرائب القصص . ودخل هذا كله في نسيج كتب الرحلات  
والجغرافيا . وسنقف اولا عند بعض حكايات عرضها الثعالبي  
في كتابه غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ، ثم نتحول الى كتب  
العجائب ، ومنها الى رحلة ابن بطوطة التي تمتلئ بالقصص  
والنوادير



من كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم :

## اسفنديار يقتل ثينا

لما شارف الامير الفارسي اسفنديار المرحلة الثالثة في طريقه المخوف الى بلاد الترك تقدم الجيش واسرع بالسير حتى انتهى الى موضع تينين ، فلبس اسفنديار السلاح وأمر بتحول العجلة والصندوق الى فرسين آخرين أقوى من الاولين ، وركب في الصندوق وفتح الباب الامامي وصاح بالفرسين فجريا وجرا العجلة بما عليهما ، وكأنهما اتخذا الريح الاربع نعالا لهما .  
وحين اقتريا من التينين سار اليهما كأنه سحاب أسود فجذبهما بأنفاسه ، وأراد أن يتلعهما فقص ( شرق ) بالصندوق ونشبت النصول في حنكه ، فلم يقدر على البلع ولا على التخلص من الصندوق وفتح اسفنديار بابه المتأخر ووثب منه ، وطفق يضرب التينين بسيفه ، حتى قطعه ، غير انه سقط صعبا من هوله ومن الرائحة المنتنة التي وجدها من جسمه . ولحق به جيشه ، ورآه القواد كاسف الوجه ، فظنوا أن التينين قد عمل عمله ، وأنه مات ، وأمر بعضهم برش الماء البارد على وجهه وصدره ، فافاق ، وقال : لاتهتموا فاني سالم ولم يمسنى سوء ، وانما ساءتني الرائحة المنتنة للتينين ، واجتمع الجيش ينظر الى هذا الثعبان المهول وهو لا يزال يتحرك ، فتعجبوا من كبر جسمه وهول منظره وكثرة دمانه ، واثنوا على اسفنديار ودعوا له



## اسفنديار يقتل ساحرة

أمر اسفنديار بالرحيل بعد قتله للتنين ، وحين ارتفع الحجاب عن حاجب الشمس شارف المرحلة الرابعة ، فتقدم الجيش كعادته ، وأخذ معه بعض الطعام والشراب وعودا لطيفا ، وسار مسرعا حتى انتهى الى منزل ساحرة كان سمع عنها انها تعيش فى هذا الطريق وتفتك بمن يمر فيه ، ولما انتهى الى منزلها رأى روضا وغديرا وأشجارا كأن الحور اعارتها قدودها وكستها برودها ، فنزل فى ظل شجرة ملتفة الاغصان على غدير صاف ، وقيد فرسه ، وتناول بعض طعامه ، ثم اخذ العود ، فنقره واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : الى متى تترامى المغاور والجيال بى ، وتنبو الاوطان والاطوار عني ؟ حتى متى خوض الحروب ومعاونة الخطوب ؟ وابن السرور بوجوه الحسان ومغازلة الغزلان ؟ ان الذى انزلنى هذا المكان الذى يحكى الجنان ، قادر على ان يقر عينى بجارية وسيمة ، تسرنى بطلعتها وتؤنسنى بمساعدتها . وكل ذلك على مرأى ومسمع من الساحرة ، فقالت فى نفسها : قد وقع الاسد فى الجبالة ، وجاءتنى الغنيمة ، ولم تلبث ان برزت فى صورة جارية كأنها فلقة قمر على برج فضة ، وعليها من الحلى والحل ما يروق ويشوق . واقبلت فجلست بجواره ، فرفع يده وقال : سبحانك ما اعظم شانك واتم سلطانك وانعامك اذ رزقتنى فى مثل هذه البقعة مثل هذه الصورة المقصورة على الجمال والكمال ، وصب من زق خمر كان معه كأسا ، وشربه على وجهها ، وملأ الكأس فناوله اياها ، فشربته ، واخذا يتنادمان . وكانت مع اسفنديار سلسلة لا يعمل فيها السحر ، فأخرجها فى خفية منها ، وأعدها ، حتى اذا عطست الساحرة

ألقاها في عنقها ، واوثقها بها ، فتحوّلت في صورة أسد ،  
تخرج النار من فمه ، وجعلت تجذب نفسها من يده ، فقال لها  
انى انا اسفنديار ، وهذه سلسلة لا يعمل فيها السحر ، ولن  
تغلتى من يدي ، فأظهرى نفسك كما أنت لى . فظهرت عجوزا  
شوهاء أقبح من زوال النعمة ، وأوحش من موت الفجأة ،  
وقالت له : يا اسفنديار لا تكن ضيف سوء ، ولا تنس حرمة  
النادمة ، وأطلقنى أنفك ، فضربها بسيفه ضربة فرقّت بين  
راسها وجسدها ، فثارت غبرة شديدة وانتشرت ظلمة أعادت  
النهار ليلا ، وتجلت عما قليل . ونصب رأس الساحرة على  
خشبة وركزها في تل حتى أقبل العسكر فنظروا الى رأس  
كهول طلوع الروح ، ووجه كقضاء السوء ، وشكروا الله على  
جميل صنعه

### اسفنديار يصيد العنقاء .

ورحل اسفنديار بجيشه حتى قارب منزل العنقاء (أنثى الرخ) في  
المرحلة الخامسة من طريقه ، فأمر بأعداد العجلة التي يركبها وتركيب  
السيوف الحداد والاسنة الشداد في الصندوق الذي عليها  
واحكامها من خارج ، ثم حملها على فرسين مستوفيين شرائط  
العتق وجودة الجرى ، وقعد في الصندوق وصاح بهما ، فجريا  
كالهواء العاصف ، وانتهيا الى شجرة باسقة ، فوقفهما في ظلها ،  
وأقبلت العنقاء من الهواء كالسحابة المرعدة لعظم  
جسمها وحفيف أجنحتها . وانقضت على العجلة تريد أن  
تخطفها هي والفرسين ، فلما أهوت اليها وضربت نفسها بها  
نفذت فيها السيوف والاسنة المركبة في الصندوق ، وكلما  
زادت ضربا بأجنحتها ازدادت التصول نشوبا في جسمها  
وأجزائه . ووثب اسفنديار من تلك العجلة ، فرشقا بالسهم

المسومة حتى ضعفت ، ثم وأصل ضربها بسيفه حتى سقطت  
وخمدت • ووصل الجيش ، فرآها العسكر ماقطة كالطود  
العظيم ، ومنقارها كأعظم ما يكون من العاقل ، ومخالبها كأطول  
ما يكون من الحراب ، فتعجبوا من أمرها واثنوا على أسفندبار  
ثناء كثيرا



## العنقاء تشفى رستم من جروحه

لما ملك منوهر ، كان عمدة أمره وعدة ملكه ووجه قواده سام يل ، وكان سام يتمنى على الله أن يرزقه ابنا ، فلما طعن في السن ، ولد له مولود أبيض شعر الرأس والحاجب ، فأنكره وأنف منه ، وأمر بنبذه وطرحه في بعض الجبال الشاهقة الشاسعة ، ليقضى الله فيه ما هو قاض ، فامتثل بعض أصحابه أمره ، ورأت العنقاء ( أنثى الرخ ) هذا المولود ، فحملته ونقلته الى وكرها وربته مع فراخها الى أن بلغ سبع سنين ، فرأى سام يل في منامه من أخيره ب حياة ابنه ، ودله على مكانه ، فتوجه في طلبه ، حتى وصل اليه ، وعرفت العنقاء أنه أبوه ، فردته عليه وزودته من ريشها ما يحرقه اذا نابته نائبة ، فانها حينئذ تأتي لتغيثه ومرت الايام وشب « زال » وخدم منوهر مع أبيه ، وأصبح له أمر سجستان . وفي يوم سار متصيدا يقطع الاصقاع والبقاع حتى وصل الى غزنة فاخترقها الى كابل ، وحين شارفها استقبله سلطانها مهراب ، وسمع بابنته وجمالها وسمعت به وبشجاعته ، فعشق كل منهما صاحبه قبل رؤيته ، وتزوجا وولدا رستم طفلا جميلا قويا كأنه الاسد ، وجعل يزداد جماله مع بسطة في العقل والجسم ، فقد كان يجمع ضخامة الفيل الى قوة الليث ، وتادب بأداب الفرسان ، وبز الابتال والشجمان ، حتى أصبح جيشا في فرد ، لا يغلب ولا يقهر وكان رستم من ضخامة الجسم وامتداد القامة واشتداد

القوة بحيث لا يستطيع فرس أن يحمله ، حتى يقال انه عرض عليه خمسون ألف فرس ، فلم يوجد بينها ما يستطيع حمل ركابه ، واتفق يوما أنه رأى خيلا مجلوبة من قشعر في الهند ، فوقع بصره على مهر أصيل ، فأمر برده عليه ، فقال جالبه : انه لامطمع فيه ، فقال : ولم ؟ قال : انه لرستم قال : وما يدريك ؟ قال : انه منذ وضعته امه يسمى رخس رستم ويدعى به ، وقد اركب منذ سنتين فلم يمكن أحدا من ركوبه ، فوضع رستم يده على ظهر المهر ، فلم يضطرب ، فقال : هذا هو فرسي الذي يحملنى ، فقال له جالبه : أن كنت رستم فهو حقك وقد قادته السعود اليك ، فضحك وأمر له بصلة كبيرة . وأحسن تعهد فرسه وتفقدته ، وكان اذا ركبته حكى الطود الموثق وتحت السيل المتدفق

وكان أول انتصارات رستم التي شاع بها اسمه واشتهر ، ظفره « بأفراسياب » ملك الترك بعد أن دبوخ الفرس حتى أصبح الشجعان يرهبون اسمه ، وانتقاد له الحكام والامراء في شرقى ايران الى الهند والى بلاد الترك . وحدث أن دب الحلاف بين رستم وملك الفرس بشتاسف ، فأرسل اليه ابنه اسفنديار وكان هو الآخر بطلا مغوارا ، فجمع لرستم الجيوش ، وذهب اليه يطلب منه تسليم نفسه او الحرب ، فأبى رستم أن يعطى عن يد صاغرا . وبارزه اسفنديار وحمى الوطيس بين الجيشين وتداولوا الابطال ، وجرت الدماء ، وقتل ابنا اسفنديار ، فاجتمع عليه الحزن والغيظ ، وأخذ يرمى رستم بسهم نافذة ، ورمى فرسه رخشا بسهم خاط فخذيه ، فانقطع لجامه وانقد حزامه ، وسقط رستم عن ظهره ، ونفر الفرس راجعا الى منزله والدم يسيل من جراحه ، وانحاز رستم الى تل وهو

يجر قلعه ويقاسى من آلام جروحه ، وانسحب موليا الى  
عسكره ، فحملوه على عجلة الى داره ، وارتفعت منها الاصوات  
بالكاء والعويل من اجله

وجزع أبوه «زال» حين رآه ودمعت عيناه ، ولم يلبث أن تذكر  
ريشة العنقاء التى كانت أعطتها اياه فى صباه ، وامرته باحراقها  
والتدخين بها اذا نابته نائبة ونزلت به نازلة ، فأمر بذبح  
الاغنام والخرفان لاستقبالها ، ولم تلبث ان اقبلت كأنها سحابة  
مرعدة ، وهبطت على تل عظيم فى بستان زال ، فتقدم اليها  
وسجد لها ، وقدم لها ذبائح الاغنام والخرفان فنالت منها ،  
ثم بكى بين يديها ، وقص قصته عليها ، وقدم رستم اليها ،  
فتأملت جراحاته ، ثم أهوت عليه بمنقارها ومخالبها فنزعت عن  
أعضائه أكثر من عشرين نصلا ، يقال انها كانت قرابة حمل  
بعر من الحديد ، ثم مسحت مواضعها بجناحها ، فالتحمت فى  
الوقت والساعة ، ثم لحيته بلسانها ، فأبل رستم ، وعاد  
أصح مما كان ، ولبس أثواب العافية باذن الله ومشيئته .  
وفعلت العنقاء بفرسه «رخش» فعلها به ، فنزعت منه نصولا  
كثيرة ، ثم مسحته بجناحها ولحيته بلسانها ، فصح وصلاح ،  
وانفض وصل ، ونشط وانبسط . وكان زال يعرف منطق  
العنقاء اذ كانت مرضعته ومربيته سبع سنين فقالت له :  
ينبغى الان ان يركب رستم ظهري لاطير به الى جزيرة تشتمل  
على شجرة الطرفاء ، وأدله على غصن منها يقطعه ويتخذ منه  
سهما ، حتى اذا بارز اسفنديار ، رماه به فى عينه ، فيكفى  
أمره ، لان دروعه لا تدخل فيها السهام ، وليس فيه حيلة  
سوى هذه . فترجم زال لرستم قولها ، فسر بذلك واستعد ،  
واستصحب سكيئا أقطع من الفراق ، وانفذ من القضاء ،

وركب ظهر العنقاء ، فطارت به الى الجزيرة في سرعة البرق ، ودلته على الفصن الذى وصفته ، فقطعه ، واحتفظ به محتاطا عليه ، وكرت به راجعة الى منزل أبيه وقد أعد لها ذبائح الاغنام والخرفان المشوية . فلما هبطت ووضعت رستم على الارض سجد لها زال وقدم اليها الذبائح ، فنالت منها ، واوصت بالتلطف مع اسفنديار ومصالحته وسل سخيته ، فانه اوجد عصره في الشرف والشهامة ، ثم قالت : وان ابى الا الحرب فهلاكه في هذا السم وودعت زال وطارت

فاتخذ رستم من ذلك الفصن سهما وركب فيه نصلا ، ولما أصبح من غد لبس السلاح وركب رخشا بنشاط واغتباط ، واقبل الى سراق اسفنديار فناده ، وقال له : قد عاودك القرن فابرز اليه ، فتعجب اسفنديار من بكوره وقوة كلامه ، وكان يعتقد انه نكا فيه نكاية اليمّة ، اما ان يموت بها او يستأسر معها ، ثم تذكر ما سمعه من سحر زال ومهارته في السحر ، فصيح عنده ما سمعه ، فقد ابرا رستم بهذه السرعة بعد أن فارقه بالامس جريحا هضينا ، وهماو ذا يعود صحيحا نشيطا يجر ذيل خيلائه ، ثم قال فى نفسه : سأصنع به اليوم ما لا يقدّر زال معه على مداوانه . ودعا اسفنديار بسلاحه فلبسه وبفرسه فركبه ، واقبل الى رستم ، فتلطف له ونصحه الا يؤثر الشقاء على السعادة ، ولكن اسفنديار لم يستمع اليه ، وطلب منه احدى اثنتين : اما ان يستأسر واما أن ينزله ، فتضرع اليه رستم ، ولم يدخر وسعا فى استكفاف غائلته واستمالته ، غير ان اسفنديار اصر على غلوائه ، ولم يزد الا جدا فى مقارعته ، وحمل عليه برمحه ، فاحتال رستم لدفعه عن نفسه ، ثم صوب اليه سهم الطرفاء من وتر قوسه ومد فيه

بقوته ورماه به رمية نفذت في عينه الى قفاه ، فاتكا اسفنديار  
على سرجه ونزع السهم من عينه ، واخذه بيده ، وسال من  
دمه ما اضعفه واسقط قوته ، ولم يتماسك معه ، فترجل عن  
فرسه وتوسد ذراعه ، وترجل رستم وبكى بأعلى صوته ،  
ومزق ثيابه ودرعه على نفسه . وجاء زال وقواده والایرانية ،  
يسيلون العبرات ، ويطلقون الزفرات ويعلنون الصياح  
ويعزقون الثياب ، واحدق الجميع به وفرشوا له واضجفوه .  
فدعا بماء فشربه ، وقال : على برستم ، فتقدم اليه وقعد  
عند رأسه ، وقال : يا رستم اعلم ان أبى بشتانسف هو الذى  
قتلنى لا أنت ، وقد اهلكنى على يدك ، واذا عمل القدر عمله  
فانى استودعك ابنى بهمن واسلمه اليك لتؤدبه بأدابك ، فقال  
رستم : سمعا وطاعة لك وقد تسلمته منك ، وسأبذل جهدى  
فى اكرامه وتهذيبه وصيانتة ، ولم يلبث ان فاضت نفسه





## الاسكندر المقدونى فى الهند

لما فرغ الاسكندر من حرب دارا ملك الفرس ، وفور ملك الهند الكبير ، هاجته الملوك فأذعنوا له وتلقوه بالسمع والطاعة ، واقتدى بهم « كيد » أحد ملوك الهند الاباعد ، وحين كاتبه الاسكندر فى الزامه الضريبة ، اجابه باظهار الخضوع والاذعان لسلطانه ، وقال : ان عندى اربعة اشياء من عجائب الدنيا وغرائبها ليست لاحد من الملوك ، وانا متقرب اليك باهدائها واشارك بها ، فانها لا تصلح الا لك ، ولا تحسن الا لديك ، فمنها ابنة لى لم تطلع الشمس على مثلها جمالا وكمالا ، فهى قيد الابصار ونهاية الابداع ، ومنها طبيب لى كانما أوحى اليه فى الطب ومعرفة الادواء ( الامراض ) والادوية ومعالجة العلل الزمنة ، ومادام عندك فثق بحفظ صحتك ، ومنها نديم لى فيلسوف اوتى جوامع الحكمة ، فهو ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ، ومنها قدح من خشب الحنة ، اذا ملئ مرة ماء اروى العساكر من غير أن ينفد ماؤه

فلما ورد كتابه على الاسكندر بذلك سر به وكتب اليه فى انفاذ الاربعة ولو على اجنحة الطير واعناق الرياح ، فامتثل امره ووصلت الجارية واسمها كنكة ، فلما رآها الاسكندر ملأت عينه وقلبه ، وملكت نفسه ولبه ، فلم يقدر على صرف لبطه عنها ، وافتتن بمحاسنها وامر باكرام مثواها ، واتخذها نزهة لعينه ومتعة لنفسه . ثم دعا بالطبيب واسمه منكت ،

فلم يسأله عن شيء من أصول الطب وفروعه الاجاب بالصواب  
وشفى وكفى ووفى وأوفى ، ثم سأله عن اصل الادواء فقال :  
التخمة قال الاسكندر له : وما حقيقة معناها ؟ قال : الزيادة  
فى الاكل والشرب على ما تحتمله الطبيعة ، وتقوى عليه القوة  
الهاضمة ، ثم سأله عن اعون الاشياء على حفظ الصحة ، فقال :  
الاقلال من الاكل والشرب والتمتع ، ثم سأله عن شرب الدواء  
فقال : مثله للجسم كالصابون للثوب ينقيه ولكن يبلبه ، ثم  
قال له : اوصنى بأوجز ما يحضرك من الكلام فى حفظ الصحة ،  
فقال : اجتنب ثلاثا وعليك بأربع ولا حاجة بك الى الطبيب ،  
اجتنب الغبار والنتن والدخان ، وعليك بخبز الحنطة (القمح)  
ولحم الخرفان وحلواء السكر وشراب العنب مع الاقتصاد  
فى الوجبة . فأعجب الاسكندر بقوله واستخلصه لنفسه وأمر  
باجزال رزقه

وأمر الاسكندر باكرام الفيلسوف واحسان تعهده ، وكان  
اسمه شنكة ، ثم بعث اليه باناء ملئ سمنا ، فأخذه الفيلسوف  
بيده ونظر فيه وتأمله باتقاد بصيرته ثم غرز فيه الف ابرة  
ورده الى الاسكندر ، فأمر بأن تذاب الابر ويتخذ منها كرة  
سوداء ، وردها الى الفيلسوف ، فاتخذ منها مرآة مصقولة  
وردها اليه ، فأمر الاسكندر بالقائها فى الماء حتى صلدت وردها  
الى شنكة ، فجلاها وصقلها وردها الى الاسكندر ، فتعجب  
من فطنته واحاطته بفكرته . ثم استدعاه واستدناه ، وسأله ،  
فقال : حدثنى بما كان بينى وبينك من الرسائل : ما الذى  
أردت بانفاد الاناء المملوء بالسمن اليك قال الفيلسوف : أردت  
أن تقول : ان قلبى مملوء من العقل والحكمة فلا مدخل فيه  
لشيء منهما ، قال الاسكندر : صدقت ، فما أردت أنت بالابر

التي غرزتها في السمن ، قال : أردت أن أقول : أن عندي من دقائق الحكمة الحسنة ما يتغلغل الى قلبك وإن كان مملوءاً من الحكمة قال : أصبت ، فما أردت باتخاذها كرة سوداء ؟ قال : أردت أن تقول أن قلبي قد قسا وغلظ من كثرة الدماء التي أرقتها ، قال الاسكندر : أحسنت ، فما الذي أردت أنت باتخاذك منها مرآة ؟ قال : أردت أن أقول : انى استطيع أن اتوصل الى تغيير قلبك واصلاحه ومداواته بدوائه ، قال الاسكندر : اجدت فما الذي أردت بردها اليك صدئة ؟ قال : أردت أن تقول : أن قلبي الفاسد لا تصلحه مواضعك ، قال الاسكندر : ما أردت سوى ذلك ، فما الذي أردت أنت بردها مجلوة ؟ قال : أردت أن أقول : أن كان قلبك قد صدىء فانى أصقله وأزيل عنه ما تغشاه بلطائف كلامى وبدائع الفاظى ، فقال الاسكندر : ما أعجب شأنك ولا خربت أرض أخرجت مثلك ، ثم خيره بين المقام معه والرجوع الى وطنه ، فاختار الرجوع ، فأمر له بصلة ، وسرحه الى بلده

ثم لما كان من الغد وفرغ الاسكندر من الاكل مع ندمائه دعا بالقدح وأمر بأن يملأ ماء ، فشرب منه حتى ارتوى ولم ينقص الماء ، وأمر بادارته على جلسائه ، فشربوا منه كلهم والماء بحاله ، فتعجب من تلك الخاصية ، وقال : قد قضى « كيد » ما عليه ، وقد بقى أن نقضى ما علينا له ، فأمر بمكاتبته فى الشاء عليه ، وأقراره على عمله ، وإنفاذ الهدايا اليه . ثم بدا له فى أمر كنتكة ، وقال : هى فتنة عظيمة وعقيلة عجيبة ، تشغلنى عما أنا بصدده من فتح الدنيا ، وقهر الملوك ، وتدبير الممالك ، وقبيح بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء ، وليس الراى الا ردها الى والدها ، فأمر بتجهيزها وتسريحها الى أبيها

## الندم على الزمرد الغائق

ثم ان الاسكندر اخذ في التغريب برا وبحرا ، لما كان في نفسه من دخول الظلمات ، وتطلب ماء الحياة من عين الخلد ، واستمر طول طريقه على عادته في قهر الملوك والجبابرة ، حتى بلغ مغرب الشمس فوجدها كما قال الله عز ذكره تغرب في عين حمئة ، فنظر اليها كيف تغرب في منازلها ، ثم دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالى في اربعمائة من اصحابه ، وساروا فيها ثمانية عشر يوما على ارض من الحجارة لا يدرون ما همى ، فقال لهم الاسكندر : خذوا منها ، واعلموا ان من اخذ منها ندم ومن تركها ندم ، فاخذ منها بعض القوم ووضعوها في مخالي دوابهم ، ولم يأخذ منها اكثرهم . ولم يظفر الاسكندر بما اراد من عين الخلد ، ويقال ان الخضر عليه السلام عثر عليها ، وشرب منها ، ولم يخبر احدا بمكانها لما كان في سابق قضاء الله تعالى من امتداد المدة في حياته الى يوم الوقت المعلوم . ولما خرجوا من الظلمات الى نور الشمس تأملوا الحجارة الماخوذة ، فاذا هى زمرد كلها ، فندم من اخذ على ترك الاستكثار منها ، وندم من لم يأخذ على عدم اخذه . يقال ان الذى في ايدي الناس الى الان هو من الزمرد الغائق ن هذه الارض البعيدة ، ويقال ان جبل المقطم بمصر معدن زمرد دون غيره من جبال الدنيا

## بهرام جور

اشتهر بهرام جور ، وهو احد الاكاسرة ، ببراعته ومهارته في صيد الطباء ، ويقال انه قسم ايامه بين اللهو والطرب والصيد واللعب ، فاراد ان يجمع يوما بين لذات الصيد والشراب والسماع الى الغناء ، فامتطى فرسا كريما ، واخرج

معه جاريته آزاد الصناجة ومعها صئجها ، واستصحب زقا  
 من الحمر وكاسا من الذهب ، وسار الى الصيد ، فجعل يصيد  
 ويشرب ويسمع الى ضرب جاريته وغنائها . وعن له سرب  
 من الطباء ، فقال لازاد : ايها تريدان ان اصيده لك ؟ فقالت :  
 انما اريد ان تصير ( تجعل ) ذكرا منها كالانثى وانثى منها  
 كالذكر ، فتحير بهرام ، وقال في نفسه : ان لم استطع قيل انه  
 منى جارية ولم يف بأمنيتهما ، والتفت اليها قائلا : لشد  
 ما اقترحت ، ورمى ظبيا بسهم له نصل على صورة الهلال ،  
 فاستأصل به قرنيه ، حتى صار كالانثى التي لاقرن لها من غير  
 ان يمس رأسه الم ، ثم رمى ظبية في رأسها بنشابتين نشبتا  
 فيه قائمتين كالقرنين حتى اشبهت ذكرا من الطباء ، فقالت  
 آزاد : احسنت وبقي ان تجمع بين اذن تلك الظبية ورجلها ،  
 فغضب بهرام من اشتطاطها ورمى رأس الظبية ببندقية ، فحين  
 حكته برجلها ارسل في التو سهما الصق اذنها برجلها وخاطها  
 بها . ولما فرغ من هذه الرمية العجيبة ، والفعله البديعة ،  
 رمى بالجارية الى الارض واوطأها فرسه وشتها وقال لها :  
 انك اردت ان تفضحيني بهذا الاشتطاط في الاقتراح ، فاندقت  
 ولم تصلح ، ويقال انها ماتت من تلك السقطة والوطأة الشديدة

## الشطرنج والترد

كان الملوك في الزمن القديم يتراسلون ويتهادون ، ويسأل بعضهم بعضا عن المشكلات والفرائب ، فلما دان ملوك الاقاليم لكسرى انوشروان ، وانفذوا اليه الهدايا ، انفذ اليه ملك الهند هدايا كثيرة نفيسة وفيها الشطرنج ورقعتها ، وسأله عن سرها ليرى هل يفطن اليها . ولما عرضت على انوشروان علم انه لا يستطيع معرفة كنهها سوى وزيره بزرجمهر الذي اشتهر بالذكاء والحكمة ، فبعث في طلبه وعرضها عليه ، فتأملها وادق النظر فيها حتى فطن لسرها ، وعرف حقيقتها في مجراها ومبناها ، فقال : هذه انما وضعت للحرب وجعل الاكبر منها الملك ، والذي يليه الوزير ، والقطع الكبار القواد والبياذق الرجالة أو العسكر ، وحركاتها مصاولة القتال

فتعجب رسول ملك الهند من فطنته ، ولم يلبث بزرجمهر ان عارضه بوضع الترد ( الطاولة ) ، وانفذه الى ملك الهند ، فلم يفطن هو ولا حكماءه له ، وكتب الى كسرى انوشروان يسأله ان يأمر بزرجمهر بتنبيهه عليه ، فصدع بأمره بزرجمهر ، وقال ان خطوطه الاثنى عشر على عدد الشهور ويروج الفلك وقطعها السود والبيض هي الليالي والايام والمكعبان ( قطعتا الزهر ) حظوظ الناس وجدودهم . ولما أبلغ ملك الهند ذلك استحسنت الترد وزاد في مواصلة الهدايا لملك الفرس

وفي بعض الكتب ان اخوين من ابناء ملوك الهند تنازعا الملك

بعد أبيهما ، فتجاربا ، وهلك أحدهما في حومة الحرب ، فجزعت عليه والدته جزعا شديدا ، وأرادت ان تحرق نفسها ، فمنعت من ذلك . ومازالت تبكى وتلوم ابنها الباقي على اتلافه أخاه ، فأراد ان يدل أمه على براءة ساحته وأنه لم يقصد قتله ، وإنما أنت عليه طبيعة المعركة ، اذ لابد ان يقتل أحدهما . فأمر الحكماء بوضع ما يصور الحرب والمعركة والمكافحة بين الجيشين ، وهلاك أحد الملكين أو الأميرين المتعاركين ، فوضعوا الشطرنج وصوروا هيئة الحال في المباراة والمصاولة والمغالبة ، وكيفية الامر في موت الشاه ( الملك ) ، ولعبوا بين يديها ، حتى احاطت بصورة المعركة وعرفت الكيفية في تلف ابنها ، فعذرت ابنها الباقي ، واتخذت من لعبة الشطرنج بعض السلوان لما نزل بها



## عقاقير تحيى الموتى

كان لكسرى انوشروان مائة وعشرون طبيباً بين رومى وهندى وفارسى ، وكان برزويه من امهر اطباء الفرس واكثرهم دراسة للكتب ، فوجد فى بعضها ان ببلاد الهند جبالا ، فيها من غرائب العقاقير ما يحيى الموتى . فمازال ذلك يدور برأسه ، ويسمو بهمة الى تطلبه وتحصيله ، حتى اخبر انوشروان بما فى نفسه ، واستأذنه للنهوض والسعى فى الظفر ببغيته ، فأذن له واعانه على سفره ، وزوده بكتاب الى ملك الهند حتى يهتم بأمره ، ويعمل على انجاح مطلبه

ولما دخل برزويه الهند واصل كتاب انوشروان الى ملكها اكرمه وحكمه فى مناه ، وانهضه لوجهته فى طلب العقاقير من مظانها ، فمازال يجد ويجتهد ويتعب ويدأب فى محاولة اجتنائها والتقاطها وتأليفها وتركيبها ، حتى كان مثله بعد حين من الدهر كما تقول عامة بغداد : « مازلنا فى لاشئ حتى فرغنا . واستشعر الكآبة والانخزال لما فاتته من مراده وما ضاع من أيامه ، وتصور الخجل من انوشروان اذا عاد مخففا اليه ، فسأل عن اطب الاطباء واحكم الحكماء بأرض الهند ، فدل على شيخ على السن ، فأتاه ، وقص عليه قصته ، وذكر له ماقرأه فى بعض الكتب من حديث جبال الهند واشتمالها من العقاقير على ما يحيى الموتى ، فقال له : « يا برزويه حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء ، اما علمت ان ذلك رمز للقدماء ، والمراد بالجبال العلماء



وبالعقائير كلامهم الشافي الكافي وبالموتى الجبال ، يعنون ان العلماء يؤدبون الجبال بحكمهم ، فكانهم يحيون الموتى . وهذه الحكم موجودة في كتاب معنون باسم كليله ودمنة ، لا يوجد الا في خزانة الملك ، فسرى عن برزويه وسر بما سمع

ورغب برزويه الى الملك في اعارته هذا الكتاب ، وتقليد الملك انو شروان بذلك منة مشكورة ، فقال له الملك : سأمـر باعارته لك ايجابا لصاحبك ، ورعاية لحقك ، على شريطة ان تقراه بين يدي ولا تتخذ منه نسخة لنفسك ، فأجابه برزويه بالسمع والطاعة ، وجعل يحضر في كل يوم مجلسه ، ويدعو بالكتاب فينظر فيه ، ويتحفظ معانيه ، ويقيدها بالكتابة اذا رجع الى منزله ، حتى اتى على جميعه . واستأذن الملك للعودة الى صاحبه ، فأذن له وأهدى اليه وخلع عليه . وحين وصل الى انو شروان أخبره بقصته وبشره بحصول الكتاب لديه ، ثم عرضه عليه ، فأعجب به وأجزل صلته ، وأمر بزرجمهر بنقله الى اللغة الفارسية ، فتلفظ برزويه وتضرع الى الملك في الاذن ، بافتتاح الباب الاول منه باسمه وذكره ، فأجابه اليه . ولم يزل الكتاب مخزونا عند ملوك الفرس حتى نقله ابن المقفع الى العربية

### صندوق السر القامض

لما نكب كسرى انو شروان بزرجمهر أمره بأن يختار لسكناه موضعا لا يبغي عنه حولا في الصيف والشتاء ، ولطعامه شيئا واحدا لا يستبدل به ولللباسه ثوبا لا يتعداه الى غيره ، فاختر السرب ( البيت الذاهب تحت وجه الارض ) لكونه في الصيف باردا وفي الشتاء حارا ، واختار اللبن لانه طعام وشراب ، وهو غذاء الصغير والكبير ، واختار الفرو ، ليلبسه في الشتاء حتى اذا دخل

الصيف قلبه . فطالت أيامه في المحنة حتى كف بصره ، وانفق ان انفذ قيصر الى انوشروان صندوقا صغيرا مقللا مختوما ، وسأله ان يحاول معرفة ما فيه قبل فتحه ، فسأل انوشروان من يبابه من العقلاء عن ذلك ، فتساوت اقدامهم في القصور عن الاجابة والاصابة . وعلم انوشروان ان ليس له الا بزرجمهر على عماه ، فأمر باطلاقه وادخاله الحمام والباسه ما كان يلبسه من ثياب الوزراء وادخاله . فامتثل أمره ، واوصل بزرجمهر الى مجطسه ، فقربه ، واعتذر اليه ، وأخبره بحال الصندوق ، وسأله عما فيه ، فاستمهل ليلة . ثم ركب من الغد وقدم امامه رجلين وأمرهما ان يخبراه بأول من يستقبله ، فاستقبلته امرأة فقال لها : أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت : بكر ، فانطلق فاستقبلته ثانية فقال لها : أأيم ( لزوج لها ) أم ذات بعل ( زوج ) فقالت : بل ذات بعل ، فقال لك ولد ؟ قالت : لا ، وانطلق فاستقبلته ثالثة ، فسألها عن حالها ، فقالت ذات ولد . وانطلق بزرجمهر حتى دخل على انوشروان ، وسأله الامر باحضار الرسول والصندوق المختوم فأحضرا ، فقال بزرجمهر : أن في الصندوق ثلاث درر احداها غير مثقوبة والثانية منصفة ، والثالثة مثقوبة ، ففتح عنها ، فكانت كما وصف . وتعجب انوشروان من فطنته وندم على نكبته ، وعاد الى قديم صلته والرفق به

### صقرو وعصفور

يحكى أن خسرو بن فيروز ، أحد ملوك الفرس ، جلس يوم مهرجان للهدايا ، فجاء منها طبق ذهب مغطى بمنديل حرير ، أرسله اليه موبدان ( من كهنة المجوس ) فأمر بكشفه واذا في الطبق فحمتان محترقتان ، فتعجب

من سخف الهدية مع شرف ظرفها ( وعائها ) ، ثم قال ما أراها  
 الا مشتملة على حكمة فعلى بالموبدان ، فلم يلبث ان قدم ،  
 وسأله خسرو عن الفحمتين ، فقال : اعلم ايها الملك انى اجتزت  
 بروضة عالية الاشجار ، قد اشتعلت فيها النار ، ورايت  
 صقرا يتعقب عصفورا ، لهرب منه العصفور ، واقتحم النار  
 من خوفه ، وتبعه الصقر حتى دخل فى النار على اثره حرصا  
 على صيده ، فاحترقا معا ، وسقطا فحمتين ، فأخذتهما معتبرا  
 بهما ، وقلت فى نفسى : لا ينبغي للانسان ان يستشعر خوف  
 عدوه كل الاستشعار ، حتى يقدم من شدة الخوف على الاستجارة  
 بما يهلكه كالعصفور الذى أحرق نفسه لفرط خوفه . ولا ينبغي  
 للانسان أيضا ان يحرص جدا على متاع الدنيا ، حتى يمشى  
 بقدمه على دمه فى التوصل اليه ، كالصقر الذى جنى على نفسه  
 بشدة حرصه ، فقال خسرو : ما أوعظ هديتك وما أحسن  
 موقعها ، وما هديت الى اليوم مثلها ، وبالعق في اكرامه والاحسان اليه



من كتاب عجائب الهند

## فيلة تخدم أصحابها

في الهند فيلة تتصرف في حوائج أصحابها ، فترى صاحب الفيل يدفع اليه الوعاء الذي يشتري فيه ما يريد ، وفيه الودع ، وهو نقد القوم ، وانموذج ( مثال ) الحاجة المطلوبة كأننا ماكانت ، فيكون معه الانموذج والنقد ، ويمضى الى البقال ، فاذا رآه نزل من جميع شغله مهما كان على رأسه ممن يشتري منه كأننا من كان ، وأخذ الوعاء منه ، فعد الودع الذي فيه ، ونظر ما يريد بانموذج وعائه ، ودفع اليه أجود ما عنده من ذلك النوع بأرخص سعر . ويستزيده ، فيزيده . وربما عد البائع الودع ففלט فيه ، فيشوشه الفيل بخرطومه ، فيعد البقال مرة ثانية . ويمضى الفيل بما اشتراه ، فربما استقله صاحبه فيضربه ، فيعود الى البقال ، فيشوش متاعه ، ويخلط بعضه ببعض ، فاما ان يزيده أو يرد عليه الودع . والفيل الذي هذا صورته يكنس ويرش ويدق الارز بمدقة ، يأخذها بخرطومه ، فيدق ، ورجل يجمع عليه الارز حتى يطحنه . ويستقى الماء ، وذلك انه يأخذ الوعاء الذي يستقى فيه الماء ، وفي الوعاء جبل مشدود يدخل خرطومه فيه ويحمله . ويقضى جميع الحوائج ، ويركبه صاحبه في حوائجه البعيدة . ويركبه الصبي ويمضى عليه الى المزارع ، فيقطع الحشيش وورق الشجر بخرطومه ، ويدفعه

الى الصبى ، فيجعله فى وعاء معه ، ويحمله ، فيكون ذلك طعامه . واذا كان الفيل على هذه الصفة بلغ مالا عظيما ، قيل عشرة آلاف درهم

### صناعة الورود والرياحين بالصين

قال كاوان : ادخلنى باغ بور ( ابن ماء السماء ) ملك الصين الى بستان بخانفو ( كانتون ) مقدار عشرين جريبا ( مزرعة ) فيه نرجس ومنثور وشقائق وورد وسائر الانوار ( الازهار ) فعجبت من اجتماع ازهار الصيف والشتاء فى وقت واحد فى بستان واحد ، فقال لى : كيف ترى ؟ فقلت : مارايت حسنة الا وهذا احسن منها ، ولا طرفة الا وهذا اطرف منها . فقال لى : جميع ماترى من الاشجار والازهار مصنوع من الحرير . فتفقدته بعد ان قال لى هذا ، فوجدت الورق والازهار من الحرير الصينى ، قد عمل وضفر وحبك ونسج وسوى على هذه الصورة . ومن رآه لم يشك فى انه شجر وزهر حقيقى ، لا يفادر شيئا من الواقع

### اسلام ملك من ملوك الهند

كتب مهروك بن رائق ، احد ملوك الهند ، وملكه بين قشمر الاعلى والاسفل ، الى صاحب مدينة المنصورة ( فى الهند ) سنة مائتين وسبعين ، يسأله ان يفسر له شريعة الاسلام بالهندية ، فاحضر صاحب المنصورة رجلا عربيا حاد القريحة حسن الفهم شاعرا ، كان قد اقام ببلاد الهند وعرف لغاتهم على اختلافها ، فعرفه ماسأله مهروك ، فكتب قصيدة يمدحه بها ويعرفه ما يسأل عنه ، فلما قرئت عليه استحسناها وكتب الى حاكم المنصورة يسأله حمل صاحب القصيدة اليه ، فارسله له ، فاقام عنده ثلاث سنين . ثم رجع فسأله حاكم المنصورة

عن امر هذا الملك وهل اسلم ؟ فشرح له اخباره ، وقال انه تركه وقد اسلم قلبه ولسانه ، ولكنه كتم اسلامه مخافة ذهاب ملكه . وكان فيما حكاه عنه انه ساله ان يفسر له القرآن بالهندية ، فانتهى من التفسير الى سورة يس وفسر له قوله عز وجل : « قل من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم » وكان جالسا على سرير من الذهب مرصع بالجوهر والدر ، فقال له : أعد على ، فأعاد عليه تفسيره ، فنزل عن سريريه ، ومشى على الارض ، وكان قد رشها بالماء وهى ندية ، فوضع خده عليها وبكى ، ثم قال : هذا هو الرب المعبود والاول القديم الذى ليس يشبهه احد . وبنى بيتا لنفسه ، وأظهر انه يخلو فيه لمهمة . فكان يصلى فيه سرا حتى لا يطلع على ذلك انسان ، ووهب له ثلثمائة أوقية من الذهب



من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد

## الزوجة الموافقة

حكى رجل قال : وجدنا بحضرموت سنبلة قمح ملأت طبقا من الفخار ، وكل حبة منها كبيضة دجاجة ، ووزناها ، فكانت رطلين ، وراينا شيخا له خمسمائة سنة ، وله ولد له أربعمائة سنة ، وحفيد له ثلثمائة سنة . فذهبنا الى ابن الابن ، نسأله عن ذلك ، وقلنا انه اقرب الى الفهم والعقل ، فوجدناه لايعرف الخير من الشر ، فقلنا اذا كان هذا حال الحفيد فما حال الاب والجد ، فذهبنا الى صاحب الاربعمائة ، فوجدناه اقرب الى الفهم من ابنه ، فذهبنا الى الجد صاحب الخمسمائة ، فوجدناه احسن حالا منهما ، سليم العقل والفهم ، فقلنا له : ما سبب فساد عقل حفيدك ؟ فقال : كانت له زوجة سيئة الخلق ، لاتوافق في شيء اصلا ، فأثر فيه ضيق خلقها ، ودوام الغم بمعايشتها ، واما ابني فكانت له زوجة توافقه مرة وتخالفه مرة ، ولهذا كان احسن حالا واقرب فهما وتمييزا منه ، واما انا فلى زوجة موافقة في جميع الامور ، فلذلك سلم فهمي وعقلي . فسألناه عن سنبلة القمح ، فقال : هذا زرع قوم من الامم الماضية كانت ملوكهم عادلة ، وعلمائهم امناء ، وعوامهم منصفة

صنم سومنة

لما غزا السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى بلاد الهند

سمى في فتح بلدة سومناتا ( في شمالى الهند ) ، حتى يزيل  
صنمها الذى يحج اليه الهنود من جميع ديارهم ، طمعا فى  
دخولهم فى الاسلام وانتشاره فى جميع بلادهم . فوصل اليها  
فى منتصف ذى القعدة سنة ست عشرة وأربعمائة ، فقاتل  
الهنود عنها أشد قتال ، وكانوا يدخلون على سومناتا ويكون  
ويتضرعون ، ثم يخرجون الى القتال فتحصدهم سيوف السلطان  
محمود وجنوده . واستولى على المدينة ، فرأى ازالة هذا الصنم  
الكبير ، وكان عجيبة من العجائب اذ كان قائما فى هيكلا ،  
معلقا فى فراغ قبة كبيرة ، لا يمسكه شيء فى الارض ولا فى  
السقف . فقال السلطان لاصحابه ومن حوله : ما تقولون فى  
هذا الصنم وأمره ووقوفه فى الهواء بلاعماد ؟ فقال بعض  
السامعين انه علق بأسباب وعلائق ، أخفيت عن الانظار حتى  
لا تراها . فأمر السلطان شخصا يدور برمحه حول الصنم ومن  
اعلاه واسفله ففعل فلم يمنع الرمح شيء . وتأكدوا ان ليس  
هناك علائق ولا أسباب تصله بشيء مما حوله . فتقدم رجل  
عارف الى السلطان وقال له : انى اظن أن القبة من حجر  
المغناطيس والصنم من الحديد ، وقد بالغ الصانع فى تدقيق  
صنعه ، فراعى تكافؤ قوة المغناطيس من جميع الجوانب ، بحيث  
لا تزيد قوة جانب على جانب آخر ، فوقف الصنم فى وسط الفضاء  
وحفظ توازنه . فوافقه قوم وخالفه آخرون . فقال الرجل للسلطان :  
الذن لى ان ارفع حجرين من رأس القبة ليظهر ذلك فاذن له .  
فلما رفع الحجرين اعوج الصنم ومال الى أحد الجوانب ، ولم يزل  
الرجل يرفع الحجارة والصنم يهبط الى أسفل حتى سقط على  
الارض



## بربا ( هيكل ) اخميم

من عجائب مصر البرابى ( معابد و هياكل الفراعنة ) وهى بيوت بها صور طير و تباتات واشجار وعليها كتابات و طلسمات ( الكتابة الهيروغليفية ) • و بربا اخميم بيت فيه صور و تماثيل ثابتة ، وقد ذكر انه لما اغرق الله تعالى فرعون وجنوده فى البحر خلت مصر من الرجال • وكانت امرأة من بيت الفراعنة تسمى دلوكه ارادت أن تصنع شيئا يمنع المانك المجاورة من الاغارة على البلاد ، وكانت باخميم ، وكان بها ساحرة يشهد لها سحرة مصر بالتفوق فى علم السحر ، وكانت تسمى تدورة ، فقالت لها دلوكه : اننا نحتاج اليك فى شئ تصنعينه يكون حرزا لبلادنا ممن يرومها من الملوك ، نحن كما ترى بغير رجال ! فأجابتها الى ما ارادت وصنعت لها بربا ، وهو بيت له أربعة أبواب الى أربع جهات ، وصورت فيه السفن والرجال والحيل والبغال والحمير ، وقالت لها قد عملت لك شيئا يغنيك عن الرجال والسلاح والحصون ، فان من أتاكم من البر يكون على الحيل والبغال والحمير ومن أتاكم من البحر يكون فى السفن • فحين يأتى أحد من البر أو البحر تحرك الصور التى على مثاله ، فما يفعل بها يعييه مثل ذلك فى نفسه ورجاله • فكانوا بعد ذلك اذا أتاهم عدو تحركت الصور ، فقطعوا سيقان الدواب وفتحوا عيون الرجال وبقروا بطونهم ، فيصيبهم مثل ذلك

قال القزوينى : وهذه الحكاية تشبه الحرافات ، ولكنى وجدتھا فى جميع كتب اخبار مصر • وهى خرافة لا ريب فيها • ونجد فى كتابات مؤرخى العرب كثيرا من مثل هذه الحرافة التى لا تتفق وما كسفت عنه الآثار الفرعونية ، ويغلب أن يكونوا قد نقلوها من التخصص الشعبى الذى كان يدور على اللسان

## عروس النيل

لما فتح المسلمون مصر جاء أهلها الى عمرو بن العاص حين دخل شهر بثنوة ( يونية ) من أشهر القبط وقالوا : أيها الأمير ان لبلدنا سنة ( عادة ) لايجرى النيل الا بها ، وذلك أنه اذا كان لائنتى عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا الى فتاة ، فأرضينا أبوها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل ما يكون ، ثم القيناها فى النيل . فقال لهم عمرو : ان هذا لا يكون فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا اشهر بثنوة وأبيب ( يولية ) ومسرى ( أغسطس ) والنيل لايجرى أبدا ، لاقليلا ولا كثيرا حتى هم اهل مصر بالجلء عنها ! . فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب عمر اليه : قد أصبت ان الاسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت اليك بطاقة ( رسالة ) فألقها فى داخل النيل ، واذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأله أن يجربك » . فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل وقد تهيا أهل مصر للجلء ! لان مصالحهم لا تقوم الا بالنيل ، فأصبحوا وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة . وهى قصة لا تؤيدها حقائق التاريخ

## قاص يخون الأمانة

« كرد فنا خسرو » مدينة يضرب بقاضيه المثل فى الحيانة ، حكى أن بعض الناس أودعه مالا كثيرا ، فلما أراد أن يسترده جعده وانكره ، فاجتمع صاحب المال بعضد الدولة البويهى ( ٣٣٧ - ٣٧٢ هـ ) منشىء المدينة وبانيها ، وقال له : أيها السلطان انى ابن فلان التاجر ، ورثت من أبى خمسين ألف

دينار ، وأودعت عشرين ألفا منها فى قمقم ( وعاء ) عند قاضيك الى وقت الحاجة ، وكنت أتصرف فيما معى ، فوقعت فى بعض أسفارى فى أسر الروم ، وبقيت أربع سنين حتى تخلصت . فلما رجعت وطلبت الوديعة من القاضى جردها ، وظهر انه لا يعرفنى ولا يسمع بى . وكمرت عليه الطلب ، فقال لى : انك رجل مجنون ، قد غلبتك السوداء ، فدع عنك هذا الجنون ، والا بعثت بك الى المارستان ( مستشفى المجانين ) وقيدتك فى السلسلة هناك . فتأثر عضد الدولة ، وقال له : أنا الذى ظلمتك بتولييتى مثل هذا القاضى ، وأعطاه مائتى دينار ، وقال له : لا تذكر هذا القول ولا هذه القصة لاحد حتى يأتيك أمرى . وانتظر عضد الدولة شهرا ، ثم طلب القاضى يوما فى الظهيرة واختلى به وبالع فى اكرامه ، ثم قال له : ايها القاضى ان لى سرا ما وجدت له فى جميع مملكتى غيرك محلا له لما تمتاز به من كمال العلم ووفور العقل والدين ، وهو أن لى أولادا ذكورا واناثا ، أما الذكور فلسنت أهتم بأمهم ، وأما الاناث فهن اللائى أخشى عليهن ، فأردت أن تتخذ فى دارك موضعا صالحا لوديعة لا يعلم بها أحد غير الله ، تدفعها الى بناتى بعد موتى ، ودفع الى القاضى مائتى دينار وقال : اصرفها فى عمارة بناء صغير ببيتك يسع مائتين وأربعين قمقما . وإذا تم لك ذلك أخبرنى حتى أبعث اليك القماقم على يد بعض من يستحق القتل ، ثم أقتله فلا يعلم أحد السر . فقال القاضى سمعا وطاعة ، وقام من عنده فرحا يحدث نفسه بأنه سيستمتع بهذا المال هو وأولاده وأحفاده ، فان عضد الدولة اذا مات لا يوجد بعده من يطلب المال ، اذ لا حجة ولا شاهد . واشتغل بعمل بناء صغير ، وبعث عضد الدولة الى الفتى المظلوم ، فلما أخبر القاضى عضد الدولة باتمام

البناء قال عضد الدولة للفتى : اذهب الى القاضى وطلبه  
بالوديعة وهدده برفع الامر الى . فذهب الفتى الى القاضى وقال  
له : ايها القاضى ساء حالى وطال ظلمى ، ولئن لم تدفع لى الوديعة  
لاخذن غدا بلجام عضد الدولة وأخبرته القصة . فقام القاضى ،  
ودخل حجرة ، وطلب الفتى وعانقه ، وقال له : يا بن اخى ان  
أباك كان صديقى ، وما حبست المال الا لمصلحتك ، لانى سمعت  
أنك أتلفت مالا كثيراً ، فأخبرت وديعتك الى أن أعرف رشدك ،  
والآن عرفت رشدك ، فخذ حقك ، بارك الله لك فيه . وأخرج  
المال وسلمه اليه . فأخذه الفتى ومضى الى عضد الدولة به ،  
فأحضر القاضى ، وقال له : ايها الشيخ القاضى أنى أجريت عليك  
رزقك ، لتقطع طمعك عن أموال الناس ، ولولا أنك شيخ  
لجعلتك عبدة لمن بعدك ، وقد ثبت عندى ان جميع مالك حرام  
من أموال الناس . وختم على جميع ماله وعزله ، وقال : الحمد  
لله الذى وفقنى لازالة ظلم هذا القاضى الظالم



## العمل الصالح

انطلق ثلاثة نفر فى الزمن القديم ، حتى دخل عليهم الليل ،  
بالقرب من البلقاء فى الشّام ، فباتوا فى غار بجبل ، فلما  
أصبحوا وجدوا صخرة انحدرت من الجبل وسدت عليهم باب  
الغار ، فقالوا لا ينجينا من هذه الصخرة الا أن ندعو الله بصالح  
اعمالنا ، فقال رجل منهم : اللهم أنه كان لى أبوان كبيران ،  
فكنت اطعمهما اللبن صباحا ولا أقدم عليهما أهلا ولا ولدا ،  
وأخذهما التوم يوما ، ولما حلبت اللبن وجدتاهما نائمين ، فمكثت  
بجانبيهما والقدح فى يدي ، انتظر استيقاظهما حتى طلع النهار  
والصبية من حولى يتصايحون جوعا ، فاستيقظا وشربا اللبن ،  
اللهم أن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا مانحن فيه  
من هذه الصخرة ، فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .  
فقال الثانى : اللهم أنه كان لى ابنة عم احبها ، فألمت بنا سنة مجدية  
فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا ، وقد تعرضت لى وقالت :  
هيت لك ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى ، اللهم ان كنت  
فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه ، فانفجرت  
الصخرة قليلا ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . فقال  
الثالث : اللهم انك تعلم اننى استأجرت أجراء ( عمالا ) فأعطيتهم  
أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذى له وذهب ، فممت أجرته فى  
تجارتي حتى كثرت وازدادت زيادة كبيرة ، فجاءتنى بعد حين ،  
وقال : يا عبد الله هات أجرتي ، فقلت له : كل ماترى من الإبل

والبقر والغنم والعبيد من أجرتك فقال : يا عبد الله لاتستهزئ  
بى ، فقلت له : لآستهزئ ، وانما هى الحقيقة • فاستاق ذلك  
كله ، ولم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء  
وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة • وخرج من  
الغار النفر الثلاثة لم يصبهم اذى

### نبوة منجمين

حكى ان المنجمين قالوا لسابور بن اردشير ملك الفرس :  
ان الملك يزول عنك ، ثم يعود اليك ، فقال لهم : وما علامة  
عودته ؟ قالوا : اذا اكلت خبزا من الذهب على مائدة من الحديد ،  
فلما ذهب ملكه خرج وحده تخفضه ارض ، وترفعه أخرى ،  
الى أن صار الى قرية أسفجين من قرى همذان ، فاستأجره شيخ  
القرية ، على أن يزرع له أرضا نهارا ويطرد عنها الوحش ليلا •  
فبقى على ذلك مدة ، فرأى شيخ القرية منه جلدا وأمانة ، فزوج  
بنته منه • فلما انقضت أربع سنين اتفق أن كان فى القرية  
عرس ، اجتمع فيه الرجال والنساء ، وكانت امرأته تحمل اليه  
كل يوم طعامه ، فاشتغلت عنه فى ذلك اليوم الى ما بعد العصر •  
ولما ذكرته عادت الى بيتها ، فلم تجد الا قرصين من الدخن  
( حب أصفر يابس ) فحملتهما اليه فوجدته يسقى الزرع  
وبينهما وبينه ساقية فمد المسحاة اليها ، فجعلت القرصين عليها  
فقعده ياكلهما • وتذكر سابور قول المنجمين انه ياكل خبز  
الذهب على مائدة من الحديد ، فعرف ان أيام بؤسه انقضت ،  
فظهر للناس واجتمعت عليه الجنود ، وعاد الى ملكه • فقالوا له :  
ما أشد شئ لقيته فى أيام بؤسك ؟ فقال : طرد الوحوش عن  
الزرع ليلا ، فصادوا فى ذلك الموضع مالا يحصى من حمر الوحش  
وأمر أن يبنى من حوافرها منارة ، ارتقاها خمسون ذراعا •

يقول القزويني : والمنارة مشهورة في هذه القرية الى زماننا

### فرس كسرى أبرويز

كان لكسرى أبرويز فرس يسمى شبديز ، أهدها اليه ملك الهند ، وكان من أذكى الدواب ، وأعظمها خلقا ، وأصبرها على طول الركض ، فاتفق أنه اعتل وزادت علته ، فقال كسرى : من أخبرني بموته قتلته ، ومات فخاف صاحب خيله أن يسأله عنه ، فيجيبه بموته ، فجاء الى مغنى كسرى ، وسأله أن يحتال عليه في اثناء غنائه ، ويخبره بذلك ، فلما سمعه كسرى يذكره متحسرا عليه في شيء من غنائه فطن لما صار اليه ، فقال له : ويحك مات شبديز ، فقال : الملك يقول ذلك ، فقال كسرى حسنا ، ما أحسن ما تخلصت وخلصت غرك . وأمر فطرس بن سنمار بتصويره ، فصنع طاق بستان بجبل بيستون ، وهو ايوان في الحجر وفي وسطه صورة فرس كسرى شبديز ، وكسرى راكب عليه ، وجعل على حيطان الايوان صورة شيرين وجواربها ومواليها . وقد زعم بعض الناس لدقة صنع تمثال شبديز ، أنه ليس من عمل البشر لما فيه من الفكر اللطيف والنظر الدقيق ، وكذلك صورة شيرين فانها تظهر الحسن والملاحة في وجهها ، حتى فتن بها بعض الناس ، وعشق صورتها عشقا شديدا . ولما جاء كسرى وتأمل الطاق والتمثال قال لشده ما نعي هذا التمثال الينا أنفسنا ، وذكرنا مانصر اليه من موت جسدنا وطموس صورتنا

### عاشق شيرين

عشق رجل حجار اسمه فرهاد شيرين حظية كسرى أبرويز ، وكانت رائعة الحسن والجمال ، وتدل في عشقها ، واشتهر ذلك بين الناس ، حتى عرفه أبرويز ، فقال لحاشيته :

ماذا ترون في امر هذا الرجل ان تركته وما هو عليه قبح ذلك ،  
 وان قتلته او حبسته عاقبت غير مجرم ؟ فاشار عليه بعض  
 السامعين ان يشغله بفتح درب شاق في جبال يصرف عمره  
 فيه . فاستصوب ابرويز هذا الرأي ، وامر باحضار الرجل ،  
 فدخل عليه ، فراه رجلا ضخما طويل القامة ، فامر باكرامه ،  
 وقال له : ان جبال بيستون تمنعنا من المرور الى ماوراءها ،  
 ونريد ان نفتح فيها طريقا لسلوكنا فيها ، وقد عرفت دربك  
 وذكاءك ، فقال الصانع : افعل ان وعدتني ببقاء شيرين ،  
 فتاذي كسرى ابرويز من قوله ، ولكنه قال في نفسه : من  
 يستطيع ان يقطع جبال بيستون ، ان هذا مستحيل ؟ فقال  
 في جواب الرجل : نفعل ماتريد وتقضى طلبك اذا فرغت من  
 عملك . فخرج فرهاد من عنده ، وشرع في قطع الجبال ،  
 ورسم فيها دربا يسع عشرين فارسا عرضا ، ويسع سمكه  
 اعلى الرايات والاعلام . فكان يقطع الصخور طول نهاره ،  
 وينقلها طول ليله ، ويرصف من قطعها الكبار في سفح الجبل  
 ويسويها حتى يستقيم الطريق . ولما كاد ان يتمه ذكر ذلك  
 لكسرى ابرويز ، فأخذه الهم ، فقال له بعض الحاضرين : انا  
 اكفيك امره ، وبعث الى فرهاد من أخبره بموت شيرين ، فلما  
 سمع ذلك أخرج زفرة حارة من كبده وضرب الفأس  
 في الصخرة ، ثم جعل يضرب رأسه على الفأس الى ان  
 مات . فقال القزويني : وتلك الآثار باقية الى الآن  
 لا ريب فيها ! وقد رايت عند اجتيازى بالدرب شبه  
 منارة عظيمة فتح فرهاد جوانبها وما قطعها بعد ، ورايت قطعا  
 كبيرة من الاحجار ، عليها آثار ضرب الفأس وفي كل قطعة  
 حفرتان على جانبيها ، ليجعل يديه فيهما عند رفعها !



## عدل كسرى انوشروان

حكى انه لما اراد كسرى انوشروان بناء قصره الابيض ،  
الذى وصف ايوانه البحترى فى قصيدته السينية ، امر بشراء  
كل ماحوله ، ورغب الناس فى البيع بالثمن الوافر . وكان من  
جملتهم عجوز لها بيت صغير ، فقالت : لست ابيع جوار كسرى  
بالدنيا كلها ، فاستحسن انوشروان منها هذا القول ، وامر  
بترك بيتها على حاله وبناء الايوان محيطا به ، واتخذت على  
الايوان نقوش وصور بالتزاويق ، منها صورة مدينة انطاكية  
وانوشروان يحاصرها ويحارب اهلها راكبا على فرس اصفر ،  
وعليه ثياب خضر وبين يديه صفوف الفرس والروم . ولما تم البناء  
وسكن كسرى القصر شكا اليه غلمانه من ان العجوز تدخن فى  
بيتها ، ودخانها يفسد نقوش الايوان ، فقال : دعوها وكلما  
افسدت النقوش بدخانها اصلحوها . وكان للعجوز بقرة  
تأتيها آخر النهار لتحلبها وتأخذ لبنها ، فاذا وصلت الى الايوان  
طوى الغلمان فرشه والبسط الممدودة امامه ، لتمشى البقرة  
الى باب العجوز . فاذا فرغت من حلبها رجعت وسويت البسط  
والسجاجيد !

## الاسم الاعظم

كان اهل نجران ( مدينة فى اليمن ) اهل شرك وكان عندهم  
ساحر يعلم صبيانهم السحر ، فنزل بهم رجل صالح وابنتى  
خيمة بجنب قرية الساحر ، فكان يرى اهل نجران يرسلون  
باولادهم الى الساحر ليعلمهم سحره ، وكان فيهم غلام اسمه  
عبد الله ، فكان يمر معهم على الرجل الصالح ، واعجبته عبادته ،  
فكان يجلس اليه ويسمع منه امور الدين ، فدخل الايمان فى  
قلبه واسلم ، وتعلم منه الشريعة والاسم الاعظم ، وقال له

الرجل الصالح : لقد عرفت الاسم الاعظم ، فاحفظه لنفسك .  
 وجعل عبد الله اذا رأى شخصا من اصحاب العاهات يقول له :  
 ان دخلت في ديني دعوت الله ان يعافيك ، فاذا اجابه دعا له  
 وشفى من عاهته ، ولم يزل على ذلك حتى شفى جميع اهل  
 نجران ولم يبق بينهم صاحب آفة . ورفع امره الى الحاكم  
 فاحضره ، وقال له : افسدت على اهل مدينتي وخالفت ديني  
 ودين آبائي لامثلن بك ، فقال له عبد الله : انك لن تستطيع  
 ان تصيبنى بسوء . وجعل الحاكم يلقيه من شاهق فيقوم  
 كأن لم يمسه ضر ، واغرقه في البحر فلم يصبه اذى .  
 فأمن بدينه ووحد ربه ، ودخل اهل نجران جميعا في دين  
 عبد الله



## أصحاب الكهف

أفسوس مدينة مشهورة ، وهى مدينة ديقيانوس الجبار الذى هرب منه أصحاب الكهف ، وهو على بعد فرسخين من المدينة ، وهم سبعة نفر ماتوا وظلوا ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا ، ثم عادوا الى الحياة ، ولم يلبثوا أن ماتوا بعد أن ظهرت معجزتهم الخارقة . قال القزوينى :

كان ملك مدينتهم ديقيانوس ارتد الى عبادة الاصنام، ورصد كل من خالفه ودعا الى التوحيد فعذبه بالقتل والصلب والحرق . واتفق أن بعض الفتيان من أولاد بعض البطارقة ( الاشراف ) خرجوا ذات يوم لينظروا الى المعذبين من الموحدين ، ففتح الله أبصارهم ، وهدى بصائرهم ، وكتب هدايتهم ، فكانوا يرون الموحدين اذا قتل أحدهم هبطت اليه الملائكة من السماء وعرجوا بروحه . فأمنوا بربهم ، ومكثوا كذلك مدة ، حتى عرف أمرهم وسمع الملك بايمانهم ، فدعا آباءهم وعاتبهم على ما أقدم عليه أبناؤهم من ايمانهم بربهم ، فقالوا له : انا بريئون منهم ، واصنع بهم ما تريد ، فاحضرهم ، وقال لهم : انى ممهلكم ثلاثة أيام سأخرج فيها عن البلد ، فان عدت فى اليوم الرابع ووجدتكم مخالفين لطاعتى عذبتكم عذابا اليما . ولما كان اليوم الثالث صمم الفتية على الهرب ، ولما جنهم الليل حمل كل منهم شيئا من مال أبيه ، وخرجوا من المدينة يمشون ، فمروا براعى غنم لبعض آبائهم ، فعرفهم وقال

لهم : ما شأنكم ؟ فاطهروا أمرهم له ، ودعوه الى التوحيد ،  
فأجابهم ، فآخذوه معهم ، وتبع الراعى كلبه ، فساروا ليلتهم  
حتى وصلوا الى كهف ، فدخلوا فيه يختبئون ، وقالوا للراعى :  
خذ شيئا من الورق ( النقود ) وانطلق الى المدينة ، واشتر لنا  
طعاما ، فان القوم لاعلم لهم بخروجك معنا . فأخذ الدراهم  
ومضى نحو المدينة وتبعه كلبه ، وكان على باب المدينة صنم ،  
وكان لا يدخلها أحد الا بدأ بالسجود لذلك الصنم قبل دخوله  
فيها ، فبقى الراعى برهة متحيرا مفكرا فى السجود للصنم .  
وبينما هو كذلك اذا الكلب يعدو بين يديه ، ومازال يعدو حتى  
دخل المدينة فعدا الراعى خلفه ، وهو يقول : امسكوه امسكوه  
حتى جاوز الصنم ولم يسجد له . ولما انتهى الى السوق ،  
واشترى بعض حوائجه سمع قائلا يقول : ان راعى فلان  
ايضا تبع الفتية . فلما سمع ذلك فزع وترك استكمال ما اراد  
شراؤه ، وخرج من المدينة مبادرا حتى وافى أصحابه ، فأخبرهم  
بما كان من أمره ، فأكلوا طعامهم وأخذوا مضاجعهم ،  
فضرب الله على آذانهم . فلما رجع الملك اخبروه بهربهم ،  
فخرج يقفو آثارهم ، حتى انتهى الى باب الكهف ، ووقف على  
أمرهم ، فقال : يكفيهم من العذاب ان ماتوا جوعا . فاهلك الله  
ديقيانوس وأنزل على باب الكهف صخرة ، وبعث الى الناس  
الأنبياء ، فدعوه الى التوحيد ، فأجابهم خلق كثير ، آمنوا  
بهم ، ومرت السنون ، فلما كانت السنة التى اراد الله فيها  
احياء الفتية ، انطلق رجل من أهل المدينة ، واقام بالقرب من  
الكهف يرعى غنمه ، فأراد ان يتخذ لغنمه حظيرة ، فأمر اعوانه  
بتنحية الصخرة التى كانت على باب الكهف ، فعند ذلك قام  
الفتية كمن يبيت ليلة صافية هنيئة ، وراوا كلبهم باسطا ذراعه

بالوصيد ( فناء الكهف ) وكان ذلك بعد ثلثمائة سنة بحساب الروم وزيادة تسع بحساب العرب ، لان سننى الروم شمسية وسننى العرب قمرية . وكان انتباههم آخر النهار ، ودخولهم فيه اول النهار ، فقال بعضهم لبعض : كم لبثتم ؟ قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ، لانهم راوا الشمس غير غاربة ، فلما نظروا الى طول شعرهم واظافرهم قالوا : ربكم اعلم بما لبثتم ، وقالوا للراعى : انك اتيت البارحة بطعام قليل لم يكفنا ، فخذ شيئا من هذا الورق ( النقذ ) ، وانطلق الى المدينة واشتر لنا طعاما ؛ فانطلق خائفا حتى اتى باب المدينة ، فرأى الصنم قد ازيل عنه ، لان أهلها أصبحوا موحدين . ثم دخل المدينة وجعل يتصفح وجوه الناس ، فلم يعرف منهم احدا ، وانتهى الى سوق الطعام ودفع الى بائع ما معه من الورق فردده عليه ، وقال : هذا عتيق لا يروج اليوم ، فناوله كل مامعه ، وقال له : خذ حاجتك منه . ورأى صاحب الطعام يهمس الى جاره ويقول : احسب ان هذا قد وجد كنزا ، فلما رآهما يتهامسان ظن انهما عرفاه ، فترك الدراهم وولى هاربا ، فصاح به الناس ان خذوه ، فانه وجد كنزا . فأخذوه وانطلقوا به الى الملك ، فأخبروه — وكان موحدًا — بأمره وبالنقود التى معه . فتركه الملك حتى سكن روعه ثم قال له : ما شأنك يا فتى ؟ اخبرنى بأمرك ولا بأس عليك ، فقال الفتى : ما اسم هذه المدينة قالوا : افسوس ، قال : وما فعل ديقيانوس ؟ قالوا : أهلكه الله منذ ثلثمائة سنة . فأخبرهم بقصته وقصة أصحابه ، فقال الملك : ارى فى عقل هذا الرجل نقصانا . قال الراعى : ان أردت تحقيق ما أقول انطلق معى الى أصحابى لتراهم فى الكهف . فركب الملك وعامة اهل المدينة فقال الراعى : ان أصحابى اذا سمعوا جلبة الناس

خافوا فائذن لى ايها الملك حتى اتقدم وابشرهم ، فاذن له ، فتقدم حتى انتهى الى باب الكهف ، فدخل على اصحابه واخبرهم بهلاك ديقيانوس ، وظهور التوحيد ، وان القوم فى ولاية ملك صالح ، وهاهو ذا قد اقبل اليكم ومعه عامة اهل المدينة ، فلما سمعوا ذلك كبروا وحمدوا الله . ووافاهم الملك وعامة اهل المدينة ، وسلم عليهم الملك وسأل عن رجل منهم ، وعانقهم وسلم عليهم الناس . فبادروا بذكر قصتهم حتى اذا فرغوا منها خروا ميتين

### سحابة تهزم جيشا

ددر اسماعيل بن احمد السامانى صاحب بخارى فى خراسان ، وكان ملكا عادلا غازيا ، انه غزا الترك فى بلادهم ( التركستان ) ذات مرة ، وكان فى عشرين الف فارس ، فخرج عليه منهم ستون الفا فى السلاح التام ، فاشتبك معهم اياما ، وبينما كان يوما يقاتلهم جاءه بعض مماليكه الاتراك وقالوا له : ان لنا فى معسكر الكفار قرابات ، وقد اندرونا بموافاة شخص منهم ، يحرك حجارة خاصة فتمطر السماء المطر والثلج والبرد ، وقد عزم أن يمطر علينا غدا ثلجا وبردا عظيما لا يصيب أحدا الا قتله ! فانتهرهم وقال لهم : ان هذا لا يستطيعه احد من البشر . ولما كان الغد وارتفع النهار نشأت سحابة عظيمة من وراء جبل كان مستندا اليه بمعسكره ، ولم تزل تنتشر حتى اظلت جيشه ، قال اسماعيل السامانى : فهالنى سوادها ، وما رأيت فيها من الهول ، وما سمعت من الاصوات المزعجة ، فخشيت الفتنة ، فنزلت عن دابتي وصليت ركعتين والعسكر يموج بعضهم فى بعض ، ثم دعوت الله تعالى معفرا وجهى بالتراب ، وقلت : اللهم اغشنا ، فان عبادك يضعفون عن محنتك ، وانى اعلم ان

القدرة وأن النفع والضرر لا يملكهما إلا أنت . اللهم ان هذه السحابة ان امطرت علينا كانت فتنة للمؤمنين ، وسقطوة للمشركين ، فاصرف عنا شرها بحولك وقوتك ياذا الحول والقوة . قال : واكثر من الدعاء رغبة ورهبة الى الله تعالى ووجهي على التراب . فبينما انا كذلك اذ بادر الى الرجال يبشرونني بالسلامة واخذوا بعضدي ينهضونني وكنت ثقيلاً من عدة الحديد . فرفعت رأسي ، فاذا السحابة قد زالت عن عسكري ، وقصدت عسكر الترك وامطرت برداً عظيماً ، فاذا هم يموجون وتنفر دوابهم . وما وقعت بردة على احد الا اوهنته او قتلته ، فقال اصحابي : نحمل عليهم ، فقلت : لا ، فان عذاب الله ادهى وامر ، فمات منهم خلق كثير ، ولم يفلت الا القليل . فلما كان من الغد دخلنا معسكرهم فغنمنا ما فيه من الغنائم الكثيرة ، وحمدنا الله تعالى على السلامة



## مدينة النحاس

لما بلغ الوليد بن عبد الملك خبر مدينة النحاس ، وخبر ما فيها من الكنوز ، وأنه الى جانبها بحيرة فيها جواهر واموال كثيرة عظيمة ، كتب الى موسى بن نصير عامله على المغرب والاندلس ، يأمره بالمسير اليها والحرص على دخولها وأن يعرفه حالها . ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله الى موسى بن نصير وهو بالقيروان ، فلما قرأه تجهز وسار في ألف فارس نحوها . فلما رجع كتب الى الوليد بن عبد الملك :

« بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله الامير صلاحا يبلغ به خير الدنيا والاخرة ، أخبرك يا امير المؤمنين اني تجهزت جهازا يكفيني أربعة أشهر ، وسرت في مغاور الاندلس ومعى ألف رجل ، حتى أوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست وانمحت فيها الآثار وانقطعت عنها الاخبار . فسرت ثلاثة واربعين يوما أحاول رؤية مدينة لم ير الرايون مثلها ، ولا سمع السامعون بنظيرها ، فلاح لنا بريق مشارفها من مسيرة ثلاثة ايام ، فافزعنا منظرها الهائل من بعيد وامتلات قلوبنا رعبا من عظمها وبعد أقطارها . ولما قربنا منها اذا امرها عجيب فنزلنا عند ركنها الشرقي . ثم وجهت رجلا من اصحابي في مائة فارس ، وامرته أن يدور حول سورها ليعرف بابها ، فغاب عنى يومين ، ثم وافانا في اليوم الثالث ، فأخبرنا انه ما وجد لها بابا ولا رأى اليها مسلكا . فجمعت امتعة اصحابي الى جانب



سورها وجعلت بعضها على بعض لانظر من يصعد اليها فيأتيني بخبر ما فيها ، فلم تبلغ امتعتنا ربع السور لارتفاعه . فأمرت عند ذلك باتخاذ سلالم وشد بعضها الى بعض بالجبال ، ونصبتها على الحائط ، وجعلت لمن يصعد اليها ويأتيني بخبر ما فيها عشرة آلاف درهم . فانتدب رجل من اصحابي نفسه لذلك ، واخذ يتسنى السلالم ويقرأ ويتعوذ . فلما صار على سورها ، وأشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ، وسقط فيها ، فناديناه ان اخبرنا بما فيها وبما رأيته فلم يجبنا . فجعلت لمن يصعد بعده ويأتيني بخبرها وخبر الرجل ألف دينار ، فانتدب رجل من حمير نفسه لذلك واخذ الدنانير ، ثم صعد ، فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ، ثم سقط فيها . وناديناه ان اخبرنا بما رأيت فلم يجبنا ، فصعد ثالث وكان حاله مثل حال صاحبيه ، فامتنع اصحابي بعد ذلك عن الصعود . فلما أيست منها رحلت نحو البحيرة التي بجانبها وسرت مع سور المدينة ، فانتهيت الى مكان من السور فيه كتابة بالحيرية ، ثم سرت حتى وافيت البحيرة عند غروب الشمس ، فاذا هي مقدار ميل في ميل كثيرة الامواج ، واذا رجل قائم فوق الماء ، فناديناه من أنت ؟ فقال : انا رجل من الجن حبسنى ههنا سليمان بن داود ، قلنا فما بالك قائما فوق الماء ؟ قال : سمعت صوتا فظننته صوت رجل ياتي هذه البحيرة مرة في كل عام فيصلى على شاطئها اياما ويهلل لله ويمجده ، قلنا من تظنه ؟ قال : اظنه الحضر عليه السلام . وغاب عنا ، ولم ندر أين توجه . وكان معي عدة من الفواصين فأمرتهم ان يغوصوا في الماء فغاصوا وراوا قمقما من نحاس مختوما برصاص ، جلبوه معهم ، فأمرت به ففتح ، وخرج منه مارد من نحاس على فرس

وبيده رمح من نحاس ، فطار في الهواء ، وهو يقول : يا بى  
الله لا أعود . ثم غاصوا ثانية وثالثة فأخرجوا قماقم مثل هذا  
القماقم . ولما بُسِست وضج الجيش خوفا من انقطاع الزاد  
أخذت الطريق التي سلكتها والحمد لله الذى حفظ لامير  
المؤمنين أموره وسلم له جنوده والسلام ،

وهى خرافة لا شك فيها وقد استغلها القصاص فى كتاب  
الف ليلة وليلة ، وأضافوا اليها من بنات افكارهم مادة خيالية  
وفيرة ، أخرجوها بها اخراجا قصصيا بدعيا فى قصة بنفس  
العنوان هى قصة مدينة النحاس ، وفيها يظهر الخضر ، وتظهر  
القماقم والجن والسور العجيب

### من كتاب عجائب المخلوقات

#### رجل من ياجوج وماجوج

ذكر احمد بن فضلان رسول الخليفة المقتدر الى صاحب  
البغداد ، انه لما وصل الى هذه البلاد سمع ان بها رجلا عظيم  
الخلقة جدا ، فلما اجتمع بالملك سألته عنه ، فقال له : نعم  
ولكنه مات ولم يكن من أهل بلادنا ، ثم قال من خبرة : ان قوما  
خرجوا الى نهر اتل ( الفولجا ) وكان قد مد وفاض فوافونى  
ذات يوم وقالوا : ايها الملك خوفنا على الماء رجل فى خلقة  
عظيمة ، ان كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فى هذه الديار .  
قال الملك : فركبت معهم الى النهر ، فاذا برجل طوله اثنا عشر  
ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدور وأنفه أطول من شبر ،  
وله عينان عظيمتان ، وكل أصبع من أصابعه طوله شبر .  
فأقبلنا تكلمه وهو لا يزيد على النظر الينا ، فحملته الى مكانى .  
وكتبت الى أهل ويسوا وريتنا وبينهم مسيرة ثلاثة أشهر ،  
أسألهم عنه فعرفونى ان هذا الرجل من ياجوج وماجوج ، وهم

منهم على ثلاثة اشهر ، وهم قوم عراة كالبهائم يخرج الله تعالى لهم في كل يوم سمكة من البحر ، فيأتى الواحد منهم بمدينة فيجتز منها بقدر ما يكفيه ، ويكفى عياله ، حتى اذا استكفوا انقلب السمكة فى البحر .. ثم قال الملك : اقام هذا الرجل عندى مدة ثم اصابته علة فمات منها . قال ابن فضلان : فخرجت اليه ، فرايت عظامه هائلة جدا

### شجرة العنب

ذكروا ان «جمشيد» احد ملوك الفرس القدماء ، كان فى بعض متصدياته ، فتفرق منه اصحابه فى طلب الصيد ، فرأى نفر منهم فى بعض الجبال شجرة عنب ، عليها عناقيد ، فتعجبوا منها ، وقطعوها وحملوها الى الملك ، فتعجب منها ، وقال : انا سمعنا ان الجبال تنبت فيها السموم ، فلعلها من سموها . ثم امر بحفظها حتى يجربها فى بعض من يستحقون القتل ، فتركوها فى شيء من رحالهم ، فتكسرت حباتها ، فعصروها ، وجعلوا ماءها فى وعاء ، حتى عاد الملك الى مستقره ، فامر باحضار رجل يجب عليه القتل ، واحضر العصير وقد احدثت مرارته ، فسقوا الرجل منه ، فشرب ما اعطوه بمشقة شديدة ، فايقنوا انه سم ، وزادوا فى سقيه من العصير ، فقام الرجل يرقص ويصفق بيديه ، فقالوا : انها فرحة الوداع ، وزادوا فى سقيه ، فنام نوما ثقيلا ، لم يشكوا فى انه سيجود بنفسه فى اثنائه ، وسرعان ما انتبه وقال لهم اسقوني ، فسقوه مرارا . وامنوا فشرب غيره من العصير وذكر ما فيه من اللذة والطرب ، وشرب جمشيد ، وامر بغرس تلك الشجرة فى بلاد الفرس لتكثر ثمرتها فصعدوا بامرهم

## الليمون وسم الافعى

ذكر ابو عبد الله الضبى ، وكان من اصحاب الضياع بالبصرة ، انه كان بجنب داره بستان له كثير الاشجار ، فظهرت فيه افعى كانتها جراب طولاً وسعة وانتفاخاً ، وكثرت جناياتها . قال : فطلبت حاوياً يصيدها ، وبذلت على ذلك مالا ، فجاءنى حاو ، وبخر بدخنة فخرجت عليه ، فحين رآها هاله امرها ، فنهشته ، فتلف فى الحال . فانتشر خبرها وامتنع الحوؤون عن صيدها . وتركت البستان والدار حتى جاءنى رجل يوما وقال : بلغنى امر الحية التى عندكم ، فجئت لندلى عليها ، فقلت له : ما احب ان اعرضك لها ، فقد قتلت حواء عن قريب . فقال : كان ذلك الحواء اخى ، وانا جئت لآخذ بثأره . فأريته البستان ، فأخرج دهنا وطللى به جميع بدنه ، وجلست أنا فوق السطح أنظر اليه ، فأخرج دخنة بخر بها ، فما كان اسرع ظهور الافعى ، وحين قربت منه هربت فتبعها الحواء فلحقها وقبض عليها ، فالتفتت وعضت يده وافلتت . فحملنا الرجل فمات فى ليلته . وترك الناس الضيعة وانتشر حديث الافعى ، ومضت على ذلك مدة من الزمان ، فاذا رجل جاءنى فى بعض الايام وسألنى ماساله الحواء قبله ، وكان يشبهه فى صورته ، فمنعته ، فقال : ان الرجلين الذين قتلتهما كانا اخوى ، ولا بد من الاخذ بثأرهما او للحق بهما ، فعميت له البستان ، وصعدت السطح ، فأخرج الدهن وطلا به بدنه مرة بعد مرة حتى صار الدهن يتقاطر من جسده ، ثم بخر ، فخرجت الافعى ، فطلبها ، فأخذت تحاوره ، وما زال بها حتى تمكنت يده من قفاها ، فأنشنت عليه وعضت ابهامه ، فبادر وخزم فاهها وجعلها فى سلة واخرج سكيناً كانت معه وقطع

ابهام نفسه ، وأغلى زيتا وكواها به . فحملناه الى الضيعة  
فراى ليمونة بيد صبي يلعب بها ، فقال : اهذا موجود عندكم ؟  
قلت : نعم ، فقال : اغثنى بكل ما تقدر عليه ، فان هذا فى بلدنا  
يقوم مقام الترياق فقلت : وما هى بلدكم ؟ قال : عمان . فأتيته  
بشئ كثير من الليمون فاخذ يأكله ويسرع فى اكله ، وعصر  
ماءه ، وطللى به موضع اللدغة . وأصبح من غد سالما وقال :  
ماخلصنى الله تعالى الا بالليمون ، وأظن ان أخوى لو اتفق  
لهما ان شاهدا هذا الليمون ماتلغا . ثم استخرج الافعى وقطع  
رأسها وذنبها ، وغلاها فى قدر واستخرج دهنها وجعله فى  
قوارير وانصرف



## كيد ابليس

سمع عابد أن قوما يعبدون شجرة من دون الله ، فأخذ فأسا وذعب ليقطع الشجرة ، فلقبه ابليس في صورة شيخ كبير ، فقل له : ماذا تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة حتى تبطل عبادتها ، فقال له ابليس : لقد تركت عبادتك وتفرغت لهذا العمل الذي لن يجديك شيئا ، فانك ان قطعتها عبد القوم غيرها ، فقال العابد : لا بد من قطعها ، فقال له ابليس : نا أمنعك من قطعها وتصارعا فصرعه العابد وقعد على صدره ، فتوسل اليه ابليس أن يطلقه حتى يكلمه فأطلقه ، فقال له : ان الله تعالى أسقط عنك هذا الامر ، فان له في الارض عبيدا كثيرين ، ولو شاء لامرهم بقطعها فدعها وشأنها ، فأجاب العابد : لا بد أن أقعطها ، ونايذه القتال فغلبه العابد مرة أخرى وصرعه . فقال له ابليس : هل لك أن تجعل بيني وبينك امرا هو خير لك من هذا ؟ فقال العابد : ما هو ؟ قال ابليس : انت رجل فقير ، ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وجيرانك وتستغنى عن الناس ؟ قال العابد : نعم ، فقال له : ارجع عن ذلك ولك على أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين نأخذهما وتنفقهما على عيالك وتتصدق منهما ، فيكون ذلك انفع لك والمسلمين من قطع هذه الشجرة واستئصالها . ففكر العابد ، وقال له : صدقت ، وعاهدته على ذلك واعطه الايمان والمواثيق ، وعاد الى متعبده . فلما أصبح

راى دينارين تحت رأسه ، فأخذهما ، وصنع به ذلك ابليس  
 أيضا فى اليوم الثانى ، فلما كان اليوم الثالث وما بعده لم ير  
 شيئا ، فغضب وأخذ الفأس وذهب الى الشجرة ، فاستقبله  
 ابليس فى صورته السالفة ، وقال له الى اين ؟ قال : أريد أن  
 أقطع الشجرة ، فقال له : ليس لك الى ذلك سبيل . فأمسك  
 به العابد ليصرعه كما صرعه قبل ذلك فقال له ابليس : هيهات ،  
 وأخذ العابد يده وضرب به الأرض كأنه عصفور ، وقال له :  
 ان لم تنته عن هذا الامر ذبحتك ، فقال له العابد : خل عني ،  
 وأخبرنى كيف غلبتنى وصرت الى ما انا عليه ، فقال له ابليس :  
 لما غضبت لله تعالى سخرنى لك ، والآن غضبت لنفسك  
 وللدنيا فصرعتك

### عفريت يختطف فتاة

قال أعرابى من بنى الحارث : خرجت عاشر عشرة نريد  
 الشام ، فتأخرت عن أصحابى حتى اختلط الظلام ، فرفعت  
 لى نار ، فقصدتها ، فاذا خيمة امامها جارية جميلة ، فقلت لها :  
 ما تصنعين فى هذا المكان وحدك ؟ فقالت : أنا جارية من بنى  
 فزارة اختطفنى عفريت ، وهو يغيب عني بالليل ويأتينى  
 بالنهاى ، فقلت لها : امضى معى ، فقالت : أخاف على نفسى  
 الهلاك . فالححت عليها وأركبتها ناقتى ، وسرنا حتى طلع  
 القمر ، والتفت فاذا ظليم ( ذكر النعام ) عظيم عليه راكب  
 يسوقه ، فقالت : ها هوذا قد أتانا فماذا نصنع ؟ فانخت راحتى  
 وأنزلتها وخططت حولها آيات من القرآن ، وتعوذت بالله ،  
 فتقدم ولم يلبث أن برز الى فى صورة رجل اسود ، فتصارعنا  
 فلم يغلب أحد منا صاحبه ، فقال لى : هل لك فى خصلة من  
 ثلاث خصال ؟ قلت : ما هى ؟ قال : تجز ناصيتى وتترك

الجارية ، قلت : ناصيتك أهون شيء على ، قال : فتأخذ ما تشاء من الإبل أحضرها إليك قلت : لا أبيع ديني بعرض من الدنيا ، قال : فأخدمك أيام حياتك ، قلت : مالى الى خدمتك حاجة . فسرت بها الى أهلها فزوجونيها ولى منها أولاد

### عراف

كان ببغداد عراف يتكهن بالغيب ، ويخبر بأشياء تقع في الغد ، فما يخطيء في شيء منها ، فجاءه رجل وقال : ان لى مسألة ان أصبت فيها فلك كذا وكذا من الدراهم ، فقال : سلها ، فقال : لا اطمئن الى جوابك عنها حتى تخبرنى بها أولا ، فمكث العراف يسيرا ثم قال : تريد ان تسألنى عن محبوس ، فقال الرجل : أصبت ، فأخبرنى عن حبسه أيوم عليه او يتخلص منه عن قريب ؟ فقال العراف : الشرط املك ، واذا وفيت بما وعدت أخبرتك بحاله ، فمضى الرجل الى بيته وأخذ ما وعده به ، وأتاه وأعطاه إياه ، وقال : أخبرنى عن حبسه ، فقال له العراف : سيخرج صاحبك قريبا ويخلع عليه فلم تمض أيام حتى كان الامر كما قال العراف ، فأتاه الرجل وقال : أخبرنى عن كيفية معرفتك امر هذا المحبوس ، فقال له : اعلم انى اذا سئلت عن امر أنظر أمامى وعن يمينى ويسارى فان رأيت شيئا يكون بينه وبين المسئول عنه مناسبة او مشابهة ، أجبت على وفق تلك المناسبة أو المشابهة ، وانت لما سألتنى أولا نظرت فرايت قرية فيها ماء مع بعض السقائين ، فقلت : السؤال عن محبوس ، ثم لما سألتنى ثانيا رأيت تلك القرية بعينها قد أفرغت ، وألقاها السقاء على منكبه فقلت له سيخرج ويخلع عليه



## خلق الانسان

قال بعض الحكماء : ان الله تعالى خلق الانسان على مثال مدينة بنيت من اشياء مختلفة ، كالحجارة والحصى والرماد والخشب والحديد وما شاكل ذلك ، فأحكم بناءها وحصن سورها وخط شوارعها وقسم محالها وزين منازلها وملا خزائنها وأجرى أنهارها وأقام سواقها وضياها وأعد تجارها ودبر ملكها . فخلق تسعة جواهر مختلفة اشكالها هي ملاك بنيانها ، ثم ألفها وركب بعضها فوق بعض عشر طبقات متصلات ، ثم أسندها بمائتين وثمانية وأربعين عمودا ، ثم أنه سمرها ومد جبالها وشد أوصالها بسبعمائة وعشرين رباطا ممدودات ملتفات عليها ، ثم قدر ثبوتها وقسم حوانيتها . وأودعها إحدى عشرة خزانة مملوءة جواهر مختلفة ألوانها ، وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح أبوابها فجعلها ثلثمائة وثلاثين مسلكا لسكانها ، واستخرج منها عيونا وشق فيها أنهارا جعلها ثلثمائة وستين جدولا مختلفات في جريانها ، وفتح على سورها اثني عشر بابا من درجات مسالك لجيرانها ، وقد أحكم بناء هذه المدينة على أيدي ثمانية صناع متعاونين هم خدامها ، ووكل خمسة حراس لحفظ أركانها ، ثم رفع هذه المدينة في الهواء على عمودين وحركها الى ست جهات بجناحين ، ثم أسكن فيها ثلاث قبائل من الجن والانس والملائكة هي سكانها ، ثم جعل عليهم رئيسا واحدا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستها

تفسير ذلك : أما الجواهر التسعة فهي العظام والمنح والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر . وأما الطبقات العشر فهي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان

( الحصران ) والوركان والفخذان والساقان والقدمان . وأما  
الاعمدة فهي العظام وأما الرباطات فهي الاعصاب . وأما الاحدى  
عشرة خزانة فهي الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد  
والطحال والمرارة والمعدة والامعاء والكليتان والاثنيان . وأما  
الشوارع والطرقات فهي العروق الضوارب ، وأما الانهار  
فالاوردة . وأما الابواب الاثنا عشر فهي العينان والاذنان  
والمنخران والثديان والسييلان والفم والسرة ، وأما الصناع  
الثمانية فهي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية  
والنامية والمولدة والمصورة . وأما الحراس فهم الحواس  
الخمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس . وأما  
العمودان فالرجلان ، وأما الجناحان فاليدان ، والجهات الست  
معروفة . وأما القبائل الثلاث فالنفوس الثلاث : الشهوانية  
والحيوانية والروحانية ، وأما الرئيس الواحد فالعقل



من كتاب خريدة العجائب

## المدينة المسخورة

حكى أن رجلا من صعيد مصر اتاه رجل آخر وأعلمه انه يعرف مدينة في أرض الواحات ، بها كنوز عظيمة فتزودا رخرجا ، فسافرا في الرمل الى الواحات ثلاثة أيام ، ثم أشرفا على مدينة عظيمة ، بها أنهار وأشجار ، وثمار وأطيار ، ودور وقصور ، وبها نهر محيط ، وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة ، فأخذ رجل منهما من ورق الشجرة ، ولف ما أخذه على رجله وساقه بخيوط كانت معه ، وفعل برفيقه مثل ما فعل بنفسه ، وخاضا النهر ، فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه ، فصعدا الى المدينة ، فوجدا فيها من تلال الذهب مالا يوصف ، فأخذوا منه ما أطاقت حمله ، ورجعا سالمين . ودخل أحد الرجلين على بعض ولاية الصعيد ، وعرفه بالقصة ، وأراه بعض ما جلبه من الذهب ، فوجه معه جماعة وزودهم بزاد كثير يكفيهم مدة طويلة ، فجعلوا يطوفون في تلك الصحارى ، ولا يجدون للمدينة أثرا ، وطال عليهم الامر فسئموا ورجعوا خائبين

## براعة اهل الصين فى التصوير

كان من عادات ملوك الصين أن الملك منهم اذا سمع بنقاش أو مصور فى أقطار بلاده أرسل اليه بمال ورغبه فى الشخصوص اليه ، فاذا حضر عنده أجرى عليه المال والصلات . وأمره أن يصنع تمثالا أو نقشا وتصويرا مما يتقنه . ويبدل الصانع فى ذلك غاية جهده ومقدرته، ويحضر ما صنع وصور الى الملك ،

فيعلقه بباب قصره ويتركه سنة كاملة ، والناس يهرعون اليه  
 في تلك المدة للفرجة عليه ونقده وبيان ما فيه من خطأ أو نقص ،  
 فإذا مضت السنة ولم يقف أحد من الناس على عيب به أو  
 خلل في صنعه أحضر الملك الصانع وخلع عليه وجعله من  
 خواص الصناع والحقه بدار الصناعة ، وأجرى عليه الاموال  
 الجزيلة . وحدث أن ملكاً من ملوك الصين سمع بنقاش ماهر في  
 النقش والتصوير ببلاد الروم ، فأرسل اليه رسولا ، طلب منه  
 أن يعمل شيئاً مما يقدر عليه ، ليعلقه الملك بباب القصر على  
 العادة . فنقش له في لوحة صورة سنبله حنطة خضراء قائمة  
 وعليها عصفور ، وأتقن نقشها وتصويرها ، حتى إذا نظرها  
 شخص لم يشك في أنها عصفور حقيقي على سنبله خضراء ،  
 لولا ما ينقصها من النطق والحركة ، فأعجبت الصورة الملك وأمر  
 بتعليقها ، وبإجراء الرزق على صانعها مدة تعليقها ، فمضت  
 سنة الا بعض أيام ، ولم يتقدم أحد ل اظهار عيب فيها ولا خلل ،  
 وبينما السنة تشرف على النهاية تقدم شيخ مسن ، ونظر الى  
 الصورة ، وقال : هذه الصورة مختلة ، وفيها عيب ، فأحضر  
 الى الملك ، وجاءوا بالصانع والصورة ، وقال له الملك : ما الذي  
 تراه في الصورة من الخلل والعيب ، وضع ذلك بدليل ظاهر  
 والا حل بك الندم ، واستحققت العقوبة . فقال الشيخ : مثال  
 اى شيء هذه الصورة ؟ فقال الملك : مثال سنبله من حنطة  
 قائمة على ساقها وفوقها عصفور ، فقال الشيخ : اما العصفور  
 فليس به خلل ، انما الخلل في وضع السنبله ، فقال الملك :  
 وما الخلل ؟ قال الشيخ : الخلل في استقامة السنبله ، لان  
 المعروف ان العصفور اذا سقط على سنبله ووقف عليها  
 امالها لثقله وضعف ساقها ، ولو كانت السنبله مائلة ماعبت  
 الصورة . فاقتمنوا بكلامه وكافاه الملك على فطنته وحسن نقده

## النيل ينبع من الجنة

حكى ان رجلا دخل مصر ورأى عجائبها ، فألى على نفسه  
الا يفارق ساحل النيل الى منتهاه الا ان يموت ، فسار ثلاثين  
سنة في العامر ، وثلاثين سنة اخرى في الخراب ، حتى انتهى  
الى بحر اخضر ، فرأى النيل يشق ذلك البحر ، وركب دابة  
هناك سخرها الله له ، فمشى به زمانا طويلا ، حتى وقع في  
ارض من حديد ، جبالها وأشجارها حديد ، ثم وقع في ارض  
من نحاس ، جبالها وأشجارها نحاس ، ثم وقع في ارض من فضة ،  
جبالها وأشجارها فضة ، ثم وقع في ارض من ذهب ، جبالها  
وأشجارها ذهب . ومازال يسير حتى انتهى الى سور مرتفع  
من ذهب ، وراءه قبة عالية من ذهب ايضا ، ولها أربعة أبواب ،  
ورأى الماء ينحدر من ذلك السور ويستقر في القبة ثم يخرج من  
الابواب الأربعة ، فتكون انهار النيل والفرات وسيحون وجيحون .  
وبينما الرجل يتأمل في السور اتاه ملك حسن الهيئة ، فقال  
له : هل تدري أى شيء تنظر ؟ فقال له : انى لا أدري ، فقال له  
الملك : ان التي تنظر اليها هي الجنة ، وسيأتيك رزق منها فلا  
تؤثر عليه شيئا من أرزاق الدنيا ، ولم يلبث ان سقط عليه من  
حيث لا يعلم عنقود من عنب ، فيه ثلاثة ألوان مجموعة ، لون  
كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر . فأخذ  
الرجل العنقود ، وعزم على الرجوع ، فرجع في نفس الطريق  
الذى سلكه ، فرأى شيئا تحت شجرة من تفاح ، فمكث غير

بعيد منه ، فحدثه هذا الشيخ وآتسه ، وقال له : الا تاكل من هذا التفاح ؟ فقال له : كلا انى معى طعام من الجنة ، وانا مستغن به عن تفاحك وكل طعام فى الدنيا ، فقال الشيخ له : صدقت ، وهذا التفاح ايضا من الجنة ، ولم يزل به حتى طعم منه . وبمجرد ان بدأ الرجل فى اكل التفاح تراءى له الملك وقال له : اتعرف هذا الشيخ ؟ قال : لا ، قال : هو والله ابليس الذى اخرج اباك آدم من الجنة ، ولو قنعت بالعنقود الذى معك لاكل منه اهل الدنيا جميعا ولم ينفد . فبكى الرجل وندم على ما كان من فعله ، وسار متجها مع النيل الى مصر حتى دخلها ، فحدث الناس بما رأى فى طريقه ومنابع النيل من العجائب

### من رحلة ابن بطوطة

#### التحرز من الحرام

مر شيخ صالح يسمى «ادهم» ببساتين مدينة بخارى ، وتوضا من بعض الانهار التى تتخللها ، فاذا بتفاحة يحملها ماء النهر فقال : هذه لا خطر لها ، فاكلها ، ثم وقع فى خاطره من ذلك وسواس ، فعزم على ان يستحل التفاحة من صاحب البستان ، فقرع باب البستان ، فخرجت اليه جارية ، فقال لها : ادعى لى صاحب المنزل ، فقالت : انه لامرأة فقال : استأذن لى عليها ، ففعلت . فأخبر المرأة بخبر التفاحة ، فقالت له : ان هذا البستان نصفه لى ونصفه للسلطان ، والسلطان يومئذ يبلغ ، وهى على مسيرة عشرة ايام من بخارى ، واحتلت المرأة من نصفها

وذهب الشيخ الى بلخ ، فاعترض السلطان فى موكبه ، فأخبره الخبر واستحله ، فأمره ان يعود اليه من الغد . وكان للسلطان بنت بارعة الجمال ، قد خطبها ابناء الملوك فتمنعت ، وحبيت

اليها العبادة وحب الصالحين وهى تحب ان تتزوج من ورع زاهد فى الدنيا . فلما عاد السلطان الى منزله اخبر بنته بخبر الشيخ ادهم ، وقال فى حديثه لها : ما رايت اورع من هذا الرجل ، ياتى من بخارى الى بلخ لاجل نصف تفاحة . فرغبت فى تزوجه . فلما اتاه من الغد قال له : لا احلك الا ان تتزوج ببنتى ، فانقاد لذلك بعد اباء وتمنع ، فتزوج منها ، فولدت له ابراهيم ، وشب على غرار ابيه من الزهاد الصالحين المتعبدين الورعين

### حلواء صوفية

ومن قونية بالاناضول الشيخ الامام الصالح القطب جلال الدين الرومى ، وتنتمى اليه طائفة هناك تعرف بالجلالية . ويذكر انه كان فى ابتداء امره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته فى قونية . فدخل يوما الى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها ، وهى مقطعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس ( ملیم ) فلما اتى مجلس التدريس قال الشيخ : هات طبقك ، فأخذ الحلوانى قطعة منه واعطاها الشيخ ، فأخذها بيده واكلها

وخرج الحلوانى ولم يطعم احدا سوى الشيخ ، فخرج الشيخ فى اتباعه وترك التدريس ، وأبطأ على الطلبة ، وطال انتظارهم اياه ، فخرجوا فى طلبه ، فلم يعرفوا له مستقرا ، ثم انه عاد اليهم بعد اعوام وصار لا ينطق الا بالشعر الفارسى المزدوج ( ذى القافية الواحدة فى الشطرين ) الذى لا يفهم . فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر ، والفوا منه كتابا سموه المثنوى اى المزدوج . واهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعلمون كلامه ويقرءونه بزواياهم فى ليالى الجمععات

## نساء الهندوس

وقال ابن بطوطة : « اتفق أثناء مقامي بالهند انى كنت وقتا بمدينة اكثر سكانها من الكفار وأمرها مسلم ، وعلى مقربة منها جماعة من الكفار العصاة ، فقطعوا الطريق يوما ، وخرج الأمير المسلم لقتالهم ، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار ، ووقع بينهم وبين قطاع الطريق قتال شديد مات فيه من رعية الأمير سبعة من الكفار وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات ، فاتفقن على احراق انفسهن ، واحراق المرأة لنفسها بعد موت زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب ، لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ، ونسبوا الى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بأئسة ممتهنة لعدم وفائها ، ولكنها لا تكره على احراق نفسها

ولما تعاهدت النسوة الثلاث على احراق انفسهن ! قمن قبل ذلك ثلاثة أيام فى غناء وطرب وأكل وشرب ، كأنهن يودعن الدنيا ، وتزورهن النساء من كل جهة . وفى صبيحة اليوم الرابع اتوا لكل واحدة منهن بفرس فركبته وهى متزينة متعطرة ، وفى يمينها جوزة نارجيل ( جوزة هند ) تلعب بها ، وفى يسراها امرأة تنظر فيها وجهها ، والبراهمة يحفون بها ، وأقاربها معها ، وبين يديها الطبول والابواق ، وكل كافر تمر به يقول لها : ابلغى السلام أبى أو أمى أو أخى أو صاحبى ، وهى تجيب : نعم ، وتضحك لهم

وسرت أنا وأصحابى معهن نحو ثلاثة اميال ، وانتهينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار ، متكاثف الظلال ، وبين اشجاره اربع قباب ، فى كل قبة صنم من الحجارة ، وبين



القباب صهريج ماء ، تجمعت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار .  
فلما وصلنا الى تلك القباب نزلنا الى الصهريج وانغمسنا فيه ،  
وجردنا ماعليهن من ثياب وحلى فتصدقن به ، واتيت كل  
واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط ، فربط بعضه  
على وسطها ، وبعضه على رأسها وكتفها ، والنيران قد أضرمت  
على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض ، وصب عليها  
زيت ، فزاد في اشتعالها ، وهناك نحو خمسة عشر رجلا  
بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم  
خشب كبار . وأهل الطبول والابواق وقوف ينتظرون مجيء  
المرأة التي ستتقدم الى النار ، وقد حجبوها عنها بملحفة  
يمسكها الرجال بأيديهم ، لئلا يدهشها النظر اليها

فرايت احدها لما وصلت الى تلك الملحفة نزعتها من ايدي  
الرجال بعنف وقالت لهم وهى تضحك : أبالنار تخوفوننى ؟  
انا اعلم انها نار محرقة ، ثم جمعت يديها على رأسها خدمة  
للنار ، ورمت بنفسها فيها . وعند ذلك ضربت الابواق والطبول  
ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها ، وجعل الآخرون  
الخشب من فوقها لئلا تتحرك ، وارتفعت الاصوات وكثر  
الضحيج . وكذلك يفعل أهل الهند في حرق انفسهم ، وفي  
الفرق اذ يفرقون انفسهم في نهر الكنج ، وهو الذى اليه  
يحجون ، وفيه يرمون برماد هؤلاء المحرقين . وهم يقولون انه  
من الجنة ، واذا اتى احدهم ليفرق نفسه يقول للحاضرين الذين  
يشاهدونه : لا تظنوا انى أغرق نفسى لاجل شىء من أمور الدنيا  
او لقلّة مال انما قصدى التقرب الى الهى، ثم يفرق نفسه، فاذا  
مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في النهر المذكور «

## السحرة الجوكية

في الهند سحرة يسمون الجوكية ، وهم يتصورون في صور الحيوانات المفترسة ، وتظهر منهم عجائب ، منها أن أحدهم يقيم أشهرا لا يأكل ولا يشرب ، والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة على ذلك. ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظره ، وتقول العامة هناك : انه اذا قتل انسان بالنظر وشق عن صدره وجد بدون قلب ، والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

ويحكى ابن بطوطة انه في اثناء توليه القضاء في الهند اتوه بامرأة من هؤلاء السحرة ، وقالوا انها كفتار وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها ، واتوا بالصبي ميتا. فأمرهم أن يذهبوا بها الى نائب السلطان ، فأمر باختبارها ، وذلك بأن ملئوا اربع جرات بالماء ، وربطوها بيديها ورجليها ، وطرحوها مع اجرار في النهر ، فلم تفرق ، فعلم انها كفتار ، ولو لم تطف على الماء ما كانت بكفتار ، فأمر باحراقها بالنار ، واتوا بأهل البلد رجلا ونساء ، فأخذوا رمادها وزعموا أن من تبخر به أمن في تلك السنة من سحر أمثاله

قال ابن بطوطة : « وبعث السلطان الى يوما وأنا عنده بالحضرة ، فدخلت عليه وهو في خلوة ، وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية ، وهم يلتحفون بالملاحف ، ويفطون

رءوسهم لانهم ينتفونها بالرماد ، فأمرنى بالجلوس ، فجلست ، فقال لهما : ان هذا العزيز من بلاد بعيدة ، فأرياه مالم يره ، فقالا : نعم ، فتربع أحدهما ، ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعا ، فعجبت منه ، وأدركنى الخوف فسقطت الى الأرض ، فأمر السلطان ان أسقى دواء عنده ، فافقت وقعدت وهو على حاله متربع . فاخذ صاحبه نعلا وشكارة ( زكية صغيرة ) كانت معه ، فضرب بهما الأرض كالغناظ ، فصعدت الى أن علت فوق عنق المتربع ، وجعلت تضرب في عنقه ، وهو ينزل قليلا قليلا ، حتى جلس معنا . فقال لى السلطان : ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل . ثم قال : لولا أنى أخاف على عقلك لامرتهن ان يأتوا بأعظم مما رأيت . فانصرف عنه ، وأصابنى الخفقان ومرضت ، حتى أمر لى بدواء اذهب ذلك عنى ،

### الشيخ جلال الدين

قال ابن بطوطة : وكان قصدى بالمسير الى جبال بنجالة ، لقاء ولى من الاولياء بها ، وهو الشيخ جلال الدين التبريزى ، وهذا الشيخ له الكرامات الشهيرة ، وقد ظل أربعين سنة يسرد الصوم ويواصله ولا يفطر الا بعد مواصلة عشرة أيام ، وكانت له بقرة يفطر بعد العشرة على حلبها ، وكان يقوم الليل كله . ويستطرد ابن بطوطة فيقول :

« ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقينى أربعة من اصحابه على مسيرة يومين من موضع سكنه ، فأخبرونى ان الشيخ قال للفقراء الذين معه : قد جاءكم سائح المغرب ، فاستقبلوه ، وانهم اتوا لذلك بأمر الشيخ ، ولم يكن عنده علم بشئ من امرى ، وانما أطلعه الله عليه . وسرت معهم الى الشيخ

فوصلت الى زاويته ، واهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته ، ويأتون له بالهدايا والتحف ، فياكل منها الفقراء والواردون . ولما دخلت عليه قام الى وعائتي وسألني عن بلادي وأسفاري فاخبرته . ورايت عليه فرجية (جبة كبيرة) فاعجبنتي ، وقلت في نفسي : ليت الشيخ يعطينيها . فلما دخلت عليه للوداع خلعها والبسنيها مع طاقية كانت على راسه ، ولبس مرقعة ( ثوب الصوفية البالي ) . فاخبرني الفقراء انه ليس من عادته ان يلبس تلك الفرجية ، وانما لبسها عند قدومي وانه قال لهم : هذه الفرجية يطلبها المغربي ، وياخذها منه سلطان كافر ، ويعطيها اخانا برهان الدين الصاغرجي ، وهي له وبرسمه كانت ، ولما قال لي الفقراء ذلك قلت لهم : قد حصلت لي بركة الشيخ بأن كساني لباسه

واتفق لي بعد مدة طويلة اني دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا ، وكانت الفرجية على ، فبينما انا في بعض الطرق اذ بالوزير في موكب عظيم ، فوقع بصره على ، فاستدعاني واخذ يدي ، وسألني عن مقدمي ، ولم يفارقني حتى وصلت الى دار السلطان معه . فأردت الانفصال فمنعني ، وادخلني على السلطان ، فسألني عن سلاطين الاسلام ، فاجبته . ونظر الى الفرجية فاستحسنها ، فقال لي الوزير : اخلعها ، فلم أستطع خلاف ذلك . فأخذها وامر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة . وتغير خاطري لذلك ، ثم تذكرت قول الشيخ جلال الدين : انه ياخذها سلطان كافر فطال عجبى من ذلك

ولما كانت السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق ( بكين ) فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي ، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها . فعجبت من ذلك وقبلتها

بيدي ، فقال لى : لم تفعل هذا وانت تعرفها ؟ فقلت له : نعم  
هى التى اخذها منى سلطان الخنسا ، فقال : هذه الفرجية  
صنعها اخى جلال الدين برسمى ، وكتب الى ان الفرجية تصلك  
على يد فلان . ثم اخرج لى الكتاب فقراته ، فعجبت من صدق  
يقين الشيخ ، وأعلمته بأول الحكاية ، فقال لى : اخى جلال الدين  
أكبر من ذلك كله ، وقد انتقل الى رحمة الله . ثم قال لى :  
بلغنى انه كان يصلى الصبح كل يوم يمكة، وكان يحج كل عام،  
لانه كان يفتب عن الناس يومى عرفة والعيد ! فلا يعرف اين  
ذهب »

### شعوذة ساحر

حضر عند الامير قرطى ببلدة الخنسا ( بالصين ) فى احدى  
الليالى أحد المشعوذة ، فقال له : أرنا من عجائبك . قال ابن  
بطوطة : فأخذ كرة لها ثقب ، فيها سيور طوال ، فرمى بها الى  
الهواء ، فارتفعت حتى غابت عن الابصار، ونحن فى وسط المجلس  
أيام الحر الشديد . فلما لم يبق من السير فى يده الا سير أمر تلميذ  
له فتعلق به وصعد فى الهواء الى أن غاب عن ابصارنا ، فدعاه  
ثلاث مرات ، فلم يجبه ، فأخذ سكيناً بيده كالمفتاح ، وتعلق  
بالسير الى أن غاب أيضاً ، ثم رمى بيد الصبى الى الارض ، ثم  
رمى برجله ، ثم بيده الاخرى، ثم برجله الاخرى ، ثم بجسده،  
ثم برأسه . ثم هبط وهو يتفخ وثيابه ملطخة بالدم ، فقبل  
الارض بين يدي الامير وكلمه بالصينى وأمر له الامير بشيء .  
ثم انه أخذ أعضاء الصبى فالتصق بعضها ببعض ، وركله برجله ،  
فقام سوياً . فعجبت منه ، وأصابنى من خفقان القلب ما كان  
أصابنى عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك ، فسقونى دواء  
أذهب عنى ما وجدت . وكان بجانبى قاض مسلم يسمى

فخر الدين فقال لى : والله ماكان من صعود ولا نزول ولا قطع  
عضو ، وانما ذلك شعودة

وتمتلىء رحلة ابن بطوطة بحكايات عجيبة مثل هذه الحكاية  
والحكايات السابقة ، وكثير منها لا يعقل . ولعل مرجع ذلك انه  
كان سريع التصديق لكل ما يقال له ، وكانت له عينان تكبران  
ما يبصره واذنان تضخمان ما يسمعه ، فخرج بكثير مما قصه  
ورواه من باب الواقع المعقول الى باب الخيال والوهم



## فهرس

مقدمة ..... ٧

## فى عالم البحر

فى عالم البحر	١٠٠ - ١١٠
البحر المحيط	١٣
بحر الهند	١٩
بين الحقيقة والخيال	٢٤ - ٤١
أعصار بالقرب من جزيرة النساء	٤٢
جزائر الحوت	٤٧
الرخ يطير بالناس	٥٠
حية تاكل الفيلة	٥٥
جزيرة القردة	٥٨
الد والجذر	٦٢
ملح وبركة	٦٥
أكلة لحوم البشر	٦٧
الدرة اليتيمة	٧٥
ربان ضريو فى بحر الصين	٧٧
آية للناس	٧٨
جزيرة الحكمة	٨٢
لؤلؤة فى فم الثعلب	٨٦
أقصوة الفتية المفردين	٨٨
مفريت من الجن	٩٢
قدم آدم	٩٥
بلاد طوالى	٩٦

## في عالم البر

٢٢٢	في عالم البر .....
١٠١	الارض المعمورة .....
١٠٣	بين الحقيقة والخيال .....
١٦٠	سدياجوج وماجوج .....
١٠٨	في الصين .....
١١١	في بلاد الهند .....
١١٦	في بلاد ايران وآسيا الوسطى .....
١٣٣	في بلفار الفولجا وشرقي أوروبا .....
١٤٣	في العالم العربي .....
١٥١	اسفنديل يقتل تينا .....
١٦١	المنقذ تشفى رستم من جروحه .....
١٦٥	الاسكندر المقدوني في الهند .....
١٧٠	النم على الزمرد الفاقد .....
١٧٣	الشطرنج والورد .....
١٧٥	عقاقير تحيي الموتى .....
١٧٧	فيلة تخدم اصحابها .....
١٨١	الزوجة الموافقة .....
١٨٤	العمل الصالح .....
١٩٠	عاشق شيرين .....
١٩٢	الاسم الاعظم .....
١٩٤	اصحاب الكهف .....
١٩٦	مدينة النحلى .....
٢٠١	عراف .....
٢٠٩	النيل ينبع من الجلة .....
٢١٤	السحرة الجوية .....
٢١٩	شعوذة ساحر .....
٢٢٢	



م. الابداع: ١٦٧٣ / ٢٠٠٤

I.S.B.N

977-07-1021-0

## هذا الكتاب

هذا نوع جديد من الأقايصيص الرائعة ، هي أشبه  
بقصص ألف ليلة وليلة ، وعلى نمطها إلا أنها مكتوبة  
بأسلوب علمي .

وإذا كان كتاب ألف ليلة وليلة مستمدا من أصل  
فارسي ، فإن هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم من أصل  
عربي بحت ، وضعه قصاصو العرب ، ولعب فيه خيالهم  
الخصب دورا عظيما ، فخرجت أساطير عجيبة ،  
وأقايصيص رائعة .

وقد كان لكثير من الأمم طائفة من الأساطير ،  
فاليونان أساطيرها وللهند أساطيرها ، وللفرس  
أساطيرها ، وللغراعة أساطيرها ، ولقد ظلت هذه  
الأساطير من موردها ، ويفيدون منها وما هي ذي  
الأساطير العربية ، جمع شتاتها الدكتور شوقي ضيف  
وعلق عليها .

وستكشف هذه الأساطير العجيبة عن براعة العرب  
وسعة خيالهم في تدوين قصصهم ، وقدرتهم العظيمة  
في النسيج القصصى البديع .